

وی
٣٠٣

عنایتلو دولتلو عاطفتلو مرحمتلو سلطانم

عنا

عنلو

عنایتلو دولتلو عاطفتلو مرحمتلو سلطانم خاک پایه حضرتلرینه

منهاج العابدین امام غزالی — وله ایها الولد امام غزالی — وصیة امام اعظم رضی الله عنه

وفقه اکبر امام اعظم — وکتاب الکشف والیقین امام غزالی

استصحبه الفقیر الی الله تعالی درویش اسعد تربه دار حضرت مرکز افندی خارج باب جدید
سنة ١٢٢٥

وقفت هذه المجموعة حسبةً لله وطلباً لرضاء الله
فی تکیة مرکز افندی قدس سره

Author— Imam Ghazali & Imam Azim
Name— The worshippers highway. a book of prophecy
Place.
Editor.
Date 1136.—

قدس سره العزيز [redacted]

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام عبد الملك بن عبد الله املى علي الشيخ الاجل الزاهد الموفق الاعلم حجة الاسلام زين الدين ابو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي رحمة الله عليه هذا الكتاب وهو اخر كتاب صنفه ولم يشتغل بنسخه غير الخواص من اصحابه وهو هذا الحمد لله الملك الحكيم الجواد الكريم العزيز الرحيم الذي فطر السموات والارض بقدرته ودبّر الامور في الدارين بحكمته ولم يخلق الجن والانس الا لعبادته فالطريق اليه واضح للقاصدين والدليل لائح للناظرين ولكن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين والصلوة والسلام على محمد سيد المرسلين وعلى اله الابرار الطيبين اجمعين وسلم وعظم الى يوم الدين اعلموا اخواني اسعدكم الله واياناه برضاته ان العبادة ثمرة العلم وفائدة العمر وحاصل العبد وبضاعة الاولياء وطريق الاقوياء وقسمة الاعزة ومقصد ذوي الهمة وشعار الكرام وحرفة الرجال واختيار اولي الابصار وهي سبيل السعادة ومنهاج الجنة قال الله تعالى وانا ربكم فاعبدون وقال الله ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا ثم انا نظرنا فيها وتاملنا طريقها في مبادئها الى نهاية مقاصدها التي هي اماني سالكيها فاذا هي طريق عسر وعر وسبيل صعب كثيرة العقبات شديدة المشقات بعيدة المسافات عظيمة الآفات كثيرة العوايق والموانع خفية المهالك والمقاطع غزيرة الاعداء والقطاع عزيزة الاشياع والاتباع وهكذا يجب ان تكون لانها طريق الى الجنة فيصير هذا تصديقا لما قاله رسول الله عليه السلام ان الجنة حفت بالمكاره وان النار حفت بالشهوات وقال رسول الله الا وان الجنة حزن بربوة الا وان النار سهل بشهوة ثم مع ذلك كله فان العبد ضعيف والزمان صعب والامر الدين متراجع والعزاء قليل والشغل كثير والعمر قصير وفي العمل تقصير والناقد بصير والاجل قريب والسفر بعيد والطاعة هي الزاد فلا بد منها وهي فائتة فلا مرد لها فمن ظفر بها فقد فاز وسعد ابد الابدين ودهر الداهرين ومن فاته ذلك فقد خسر مع الخاسرين وهلك مع الهالكين فصار هذا الخطب اذا والله مشكلا والخطر عظيما ولذلك عز من يقصد هذا الطريق وقل مما قيل اذا عظم المطلوب قل المساعد ثم عز من القاصدين من يسلكه ثم عز من السالكين من يصل الى المقصود ويظفر بالمطلوب وهم الاعزة الذين اصطفاهم الله عز وجل لمعرفته ومحبته وسددهم بتوفيقه وعصمته ثم اوصلهم بفضله الى رضوانه

وجنة

وجنته فنسال الله جل ذكره ان يجعلكم وايانا من اولئك الفايزين برحمته ثم ولما وجدنا هذا الطريق
بهذه الصفة نظرنا وامعنا النظر في كيفية قطعها وما يحتاج اليه العبد من الاهبة والعدة
والالة والحيلة من علم وعمل عسى ان يقطعها بحسن التوفيق الى ذلك توفيق الله في سلامة
ولا يقع في عقباتها المهلكة فيهلك مع الهالكين والعياذ بالله فصنفنا في قطع هذا الطريق وسلوكها
كتبا كاحياء علوم الدين واسرار المعاملات والقربة الى الله والغاية القصوى وغير ذلك احتوت
على دقايق من العلوم اعتاصت على افهام العامة فقدحوا فيها وخاضوا فيما لم يحسنوا من فهم
معانيها فاي كلام افصح من كلام رب العالمين وقد قالوا انه اساطير الاولين الم تسمع الى قول
زين العابدين علي بن حسين بن علي بن ابي طالب رضوان الله عليهم اجمعين اني لاكتم من علمي جواهره كي
لا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا وقد تقدم في هذا ابو حسن الى الحسين ووصى قبله الحسنا يا رب
جوهر علم لو ابوح به لقيل لي انت ممن يعبد الوثنا ولاستحل رجال مسلمون دمي يرون
اقبح ما ياتونه حسنا فاقتضت الحال عند ذوي الدين النظر الى كافة خلق الله تعالى بعين
الرحمة وترك المماراة فابتهلت الى من بيده الخلق والامر ان يوفقني لتصنيف كتاب يقع عليه
الاجماع ويحصل بقراته الانتفاع فاجابني الذي يجيب المضطر اذا دعاه واطلعني بفضله على
اسرار ذلك والهمني فيه ترتيبا عجيبا لم اذكره في المصنفات التي تقدمت في اسرار معاملات
الدين وهو الذي انا له واصف فاقول وبالله التوفيق ان اول ما ينتبه العبد للعبادة
ويتحرك لطريق سلوكها بخطرة سماوية من الله تعالى وتوفيق خاص الهي وهو المعني بقوله سبحانه
افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه واشار اليه صاحب الشرع صلوات الله
وسلامه عليه فقال ان النور اذا دخل القلب انفسح وانشرح فقيل يا رسول الله هل لذلك من
علامة يعرف بها فقال التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت
قبل نزول الموت واذا خطر بقلب العبد اول كل شي اني اجد لي نعما بضروب النعم كالحيات
والقدرة والعقل والنطق وساير المعاني الشريفة واللذات وما ينصرف عني من ضروب المضار
والافات وان لهذا المنعم منعما يطالبني بشكره وخدمته واذا غفلت عن ذلك فيزيل عني نعمه ويذ
يقني باسه ونقمته وقد بعث الي رسولا ايده بالمعجزات الخارقة للعادات الخارجة عن مقدور البشر
واخبرني بان لي ربا جل ذكره قادرا عالما حيا مريدا متكلما يامر وينهى قادرا على ان يعاقبني
ان عصيته ويثيبني ان اطعته عالما باسراري وما يختلج في افكاري وقد وعد واوعد
وامر بالتزام قوانين الشرع فيقع في قلبه انه ممكن اذ لا استحالة لذلك في العقل باول

بفزع

البديهة فيخاف على نفسه عند ذلك ويفزع فهذا خاطر الفزع الذي ينبه العبد ويلزمه الحجة ويقطع عنه المعذرة ويزعجه الى النظر والاستدلال فيهتاج العبد عند ذلك ويقلق وينظر في طريق الخلاص وحصول الامان له مما وقع بقلبه او سمع باذنه فلم يجد فيه سبيلا سوى النظر بعقله في الدلايل والاستدلال بالصنعة على الصانع ليحصل له العلم اليقيني بما هو غيب ويعلم ان له ربا كلفه وامره ونهاه فهذه اول عقبة استقبلته في طريق العبادة وهي عقبة العلم والمعرفة ليكون من الامر على بصيرة فياخذ في قطعها من غير توان بحسن النظر في الدلائل ووفور التامل والتعلم والسؤال من علماء الاخرة الذين هم ادلاء الطريق وسرج الامة وقادة الائمة والاستفادة منهم واستهداء الدعاء الصالح منهم للتوفيق والاعانة الى ان يقطعها بتوفيق الله سبحانه وتعالى فيحصل له العلم اليقيني بالغيب وهو ان له الها واحدا لا شريك له وهو الذي خلقه وانعم عليه بكل هذه النعم وانه كلفه بشكره وامره بخدمته وطاعته بظاهره وباطنه وحذره الكفر والمعاصي وحكم له بالثواب الخالد ان اطاع وبالعقاب الخالد ان عصاه وتولى عنه فعند ذلك تبعثه هذه المعرفة واليقين بالغيب على التشمر للخدمة والاقبال على العبادة لهذا السيد المنعم الذي طلبه فوجده وعرفه بعد ما جهله يتعبده لكنه لا يدري كيف يعبده وماذا يلزمه من خدمته بظاهره وباطنه فبعد حصول هذه المعرفة بالله تعالى وما يلزمه من الفرايض الشرعية ظاهرا وباطنا فلما استكمل العلم والمعرفة بالفرايض انبعث لياخذ في العبادة ويشتغل بها فنظر فاذا هو صاحب جنايات وذنوب هذا حال الاكثر من الناس فيقول كيف اقبل على العبادة وانا مصر على المعصية متلطخ بها فيجب اولا ان اتوب اليه ليغفر لي ذنوبي ويخلصني من اسرها ويطهرني عن اقذارها فاصلح للخدمة وبساط القربة فتستقبله ها هنا عقبة التوبة فيحتاج لا محالة الى قطعها ليصل الى ما هو المقصود منها فاخذ في ذلك باقامة التوبة الصادقة في حقوقها وشرائطها الى ان قطعها فلما حصلت له التوبة الصادقة وفرغ من هذه العقبة حن الى العبادة لياخذ فيها فنظر فاذا حوله عوايق محدقة به كل واحدة منها تعوقه عما قصد من العبادة بضروب من التعويق فتامل فاذا هي اربع الدنيا والخلق والشيطان والنفس فاحتاج لا محالة الى دفع هذه العوايق وازاحتها عنه والا فلا يتاتى له امر من العبادة فاستقبلته ها هنا عقبة العوايق فيحتاج الى قطعها باربعة امور

الى نجرد

التجرد عن الدنيا والتفرد عن الخلق والمحاربة مع الشيطان ثم مع النفس واما النفس فاشدها
اذ لا يمكنه التجرد عنها ولا ان يقهرها بمرة ويقمعها بالكلية كالشيطان اذ هي المطية والآلة
له ولا مطمع ايضا في موافقتها له على ما يقصده العبد من العبادة والاقبال عليها اذ هي مجبولة جبرا
على ضد الخير كالهوى واتباعها له فاحتاج اذا الى ان يلجمها بلجام التقوى لتبقى له فلا تنقطع وتنقاد
له فلا تطغى فيستعملها في المصالح والمراشد ويمنعها عن المهالك والمفاسد فيأخذ اذا
في قطع هذه العقبة ويستعين بالله جل ذكره على ذلك فلما فرغ من قطعها رجع الى قصد العبادة
فاذا عوارض تعترضه فتشغله عن الاقبال على مقصوده من العبادة وتصده عن التفرغ لذلك
كما ينبغي فتأمل فاذا هي اربعة الرزق تطالبه النفس به وتقول لابد لي من رزق وقوام وقد
تجردت عن الدنيا وتفردت ايضا عن الخلق فمن اين يكون قوامي ورزقي والثاني الا
خطار من كل شيء يخافه او يرجوه او يريده او يكرهه ولا يدري صلاحه في ذلك او فساده
فان عواقب الامور مبهمة فيشتغل قلبه بها فانه ربما يقع في فساد او مهلكة والثالث
الشدائد والمصائب تنصب عليه من كل جانب لا سيما وقد انتصب لمخالفة الخلق ومحاربة
الشيطان ومضادة النفس فكم من غصة يتجرعها وكم من شدة تستقبله وكم من هم
وحزن يعترضه وكم من مصيبة تلقاه والرابع انواع القضاء من الله سبحانه بالحلو والمر ترد
عليه حالا فحالا والنفس تسارع الى السخط وتبادر الى الفتنة فاستقبلته هاهنا عقبة
العوارض الاربعة فاحتاج الى قطعها باربعة خصال التوكل على الله سبحانه في موضع الرزق
والتفويض اليه في موضع الخطر والصبر عند نزول الشدائد والرضاء عند نزول القضاء
واخذ في قطع هذه العقبة باذن الله تعالى وحسن توفيقه فلما فرغ من قطعها وعاد الى
الى قصد العبادة فنظر فاذا النفس كسلانة فاترة لا تنشط ولا تنبعث الى خير كما يحق
وينبغي وانما ميلها ابدا الى غفلة ودعة وراحة وبطالة بل الى شر وفضول وبلية وجهالة
فاحتاج معها هاهنا الى سائق يسوقها الى الخير والطاعة وينشطها له وزاجر يزجرها
عن الشر والمعصية ويفترها عنه وهما الرجاء والخوف فالرجاء في عظيم ثواب الله سبحانه
وحسن ما وعد من انواع الكرامة وتذكر ذلك سائق يسوقها فيبعثها على الطاعة
ويحركها لذلك وينشطها والخوف من اليم عقاب الله تعالى وصعوبة ما اوعد من انواع
العقوبة والاهانة زاجر يزجرها عن المعصية ويجنبها ويفترها عن ذلك فهذه

الذكر ٤

عقبة البواعث استقبلته هنها فاحتاج الى قطعها بهذين المذكورين فاخذ فيها

بحسن توفيق الله تعالى فقطعها كما فلما فرغ منها رجع الى الاقبال على العبادة فلم ير

عايقا ولا شاغلا ووجد باعثا وداعيا فنشط في العبادة فاقامها وعانقها بتمام من الشوق

والرغبة فاذا هو نظر فاذا هو تبدو لهذه العبادة التي احتمل فيها كل ذلك آفتان

عظيمتان وهما الرياء والعجب تارة يرائى بطاعته الناس فيفسدها واخرى يمتنع

عن ذلك ويلوم نفسه فيه فيعجب بنفسه فيحبط العبادة عليه ويتلفها

فاستقبلته هاهنا عقبة القوادح فاحتاج الى قطعها بالاخلاص وذكر المنة

ونحوهما ليسلم له ما يعمل من خير فاخذ في قطع هذه العقبة باذن الله سبحانه

وتعالى بجد واحتياط وتيقظ بحسن عصمة الجبار تعالى وتاييده فلما فرغ

من هذه كلها حصلت له العبادة كما يحق وينبغي وسلمت من كل آفة ولكنه

نظر فاذا هو غريق في بحار منن الله تعالى واياديه من كثرة ما انعم عليه من

امداد التوفيق والعصمة وانواع التاييد والحراسة وخاف ان يكون منه

اغفال للشكر فيقع في الكفران فينحط عن تلك المرتبة الرفيعة التي هي مرتبة

الصالحين الخالصين لله عز وجل ويزول عنه تلك النعم الكريمة من ضروب

الطاف الله تعالى وحسن نظره اليه فاستقبلته ههنا عقبة الحمد والشكر

فاخذ في قطعها بما امكنه من كثرة الحمد والشكر على كثرة نعمه فلما فرغ من قطع

هذه العقبة تامل فاذا هو بمقصوده ومبتغاه بين يديه فلم يسر الا قليلا

حتى وقع في سهل الفضل وصحراء الشوق وعرصات المحبة ثم يقع في اروضة

الرضوان وبساتين الانس الى بساط الانبساط ومرتبة التقرب
ومجلس المناجات ونيل الخلع والكرامات فهو يتنعم في هذه الحالة ويتقلب
في طيبتها ايام بقائه وبقية عمره بشخص في الدنيا وقلبه في العقبى نيته ينتظر
البريد يوما فيوما حتى يمل الخلق كلهم ويستقذر الدنيا بحمة الى الموت ويستكمل
الشوق الى الملاء الاعلى فاذا هو برسل رب العالمين اليه يرتون عليه بالروح
والريحان والبشرى والرضوان من عند رب راضي غير غضبان فينقلونه في
طيبة النفس وتمام البشر والانس من هذه الدار الفانية المفنية الى الحضرة
الالهية ومستقر رياض الجنة فيرى لنفسه الضعيفة الفقيرة نعيما مقيما و
ملكا كبيرا ويلقى هناك من سيده الرحيم المفضل الكريم جل ذكره من اللطف
والعطف عليه والترحيب والتقريب والانعام والاكرام ما لا يحيط به
وصف الواصفين بكل يوم في زيادة الى ابد الابدين فيالها من سعادة
عظيمة ويالها من دولة عالية ويالة من عبد مسعود وامر مغبوط وشان
محمود وحسن مآب نسأل الله البر الرحيم سبحانه ان يمن علينا وعليكم بهذه
النعمة العظيمة والمنة الجسيمة وما ذلك على الله بعزيز ولا يجعلنا من الذين
لا نصيب لهم من هذه الامر الا وصف او سماع او تمني بلا انتفاع وان لا يجعل
ما تعلمناه من العلم حجة علينا يوم القيامة وان يوفقنا جميعا للعمل بذلك
والقيام به كما يحب ويرضى انه ارحم الراحمين واكرم الاكرمين فهذا هو الترتيب
الذي الهمني مولاي في طريق العبادة فاعلم الآن ان الحاصل من الجملة سبع عقبات
الاولى عقبة العلم الثانية عقبة التوبة الثالثة عقبة العوائق الرابعة
عقبة العوارض الخامسة عقبة البواعث السادسة عقبة القوادح السابعة

عقبة العلم

عقبة الحمد والشكر وبتمامها يتم كتاب منهاج العابدين الى جنة رب العالمين ونحن الان
نتبع هذه العقبات بشرح موجز اللفظ مشتملة على النكت المقصودة من هذا الشان كل
منها في باب منفرد ان شاء الله تعالى والله سبحانه ولي التوفيق والتسديد بمنه ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم العقبة الاولى وهي عقبة العلم فاقول وبالله التوفيق
العلم في — يا طالب الخلاص والعبادة عليك اولاً وفقك الله بالعلم فانه القطب وعليه المدار
واعلم ان العلم والعبادة جوهران لاجلهما كان كل ما ترى وتسمع من تصنيف المصنفين
وتعليم المعلمين ووعظ الواعظين ونظر الناظرين بل لاجلهما انزلت الكتب وارسلت الرسل
فيهما خ — بل لاجلهما خلقت السموات والارض وما بينهما من الخلق وتأمل آيتين في كتاب
الله تعالى احديهما قوله عز وجل الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل
الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علماً
وكفى بهذه الاية دليلاً على شرف العلم لا سيما علم التوحيد والاية الثانية قوله عز وجل
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وكفى بهذه الاية دليلاً على شرف العبادة
ولزوم الاقبال عليها فاعظم بامرين هما المقصود من خلق الدارين فحق للعبد ان لا
ولا يشتغل في — يشتغل الا بهما ولا يتعب الا لهما ولا ينظر الا فيهما فاعلم ان ما سواهما من الامور
باطل لا خير فيه ولغو لا حاصل له فاذا علمت ذلك فاعلم ان العلم اشرف الجوهرين
وافضلهما ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ان فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى
رجل من امتي وقال صلى الله عليه وسلم نظرة الى العالم احب الي من عبادة سنة صيامها
بدل او نسخة — وقيامها وقال صلى الله عليه وسلم الا ادلكم على اشرف اهل الجنة قالوا بلى يا رسول الله
قال هم علماء امتي فبان لك ان العلم اشرف جوهراً من العبادة ولكن لا بد للعبد
من العبادة مع العلم والا كان علمه هباءً منثوراً فان العلم بمنزلة الشجرة
ثمرها خ — والعبادة بمنزلة ثمرة من ثمراتها فالشجرة اشرف اذ هي الاصل لكن الانتفاع انما يحصل
بالثمرة فاذاً لا بد للعبد ان يكون له من كلا الامرين نصيب ولهذا قال الحسن البصري

في الشرف للشجرة

اطلبوا

اطلبوا هذا العلم طلبا لا يضر بالعبادة واطلبوا العبادة طلبا لا يضر بالعلم
فلما استقر انه لا بد للعبد منهما جميعا فالعلم اولى بالتقديم لا محالة
لانه الاصل والدليل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم العلم امام العمل والعمل
تابعه ولما صار العلم اصلا متبوعا يلزمك تقديمه على العبادة لامرين
احدهما ليحصل لك العبادة وتسلم فانك اولا يجب عليك ان تعرف
المعبود ثم تعبده وكيف تعبد من لا تعرفه باسمائه وصفات
ذاته وما يجب له وما يستحيل في نعته فربما تعتقد في صفاته شيئا
والعياذ بالله تعالى مما يخالف الحق فتكون عبادتك هباء منثورا
وقد شرحنا ما في ذلك من الخطر العظيم في بيان معنى سوء الخاتمة من كتاب
الخوف من جملة كتب احياء علوم الدين ثم يجب ان تعلم ما يلزمك
فعله من الواجبات الشرعية على ما امرت به لتفعل لك وما يلزمك
تركه من المناهي لتترك ذلك والا فكيف تقوم بطاعات لا تعرف ما هي وكيف
هي وكيف يجب ان تفعل ام كيف تجتنب معاصي لا تعلم انها معاص حتى لا توقع
نفسك فيها فالعبادات الشرعية كالطهارات والصلوة والصوم وغيرها
يجب ان تعلمها بشرايطها واحكامها حتى تقيمها فربما انت مقيم على شيء
سنين وازمانا مما يفسد عليك طهارتك وصلوتك ويخرجهما عن كونهما
واقعين على وفاق السنة وانت لا تشعر بذلك وربما يعترض لك امر مشكل
وانت لا تجد من تسأله من ذلك وانت ما تعلمه ثم يدار هذا الشان ايضا على
العبادات الباطنة التي هي مساعي القلب يجب ان تعلمها من التوكل والتفويض
والرضاء والصبر والتوبة والاخلاص وغير ذلك مما سيأتي ذكره ان شاء الله تعالى
ويجب ان تعلم مناهيها التي هي اضداد هذه الامور كالسخط والامل والرياء

والعجب

والكبر والعجب لتجتنب ذلك فانها فرايض نص الله على الامر بها والنهي عن اضدادها
في كتاب العزيز على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم كما قال الله تعالى {فتوكلوا ان كنتم
مؤمنين واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون واصبروا ان الله مع الصابرين وما
صبرك الا بالله وتبتل اليه تبتيلا} اي اخلص اليه اخلاصا ونحو ذلك من الآيات
كما نص على الامر بالصلوة والصوم فما لك اقبلت على الصلوة والصوم وتركت
هذه الفرائض والامر بها من رب واحد في كتاب واحد بل غفلت عنها فلا تعرف
شيئا منها اغرك فتوى من اصبح بعاجل حظه مشغوفا حتى صير المعروف منكرا والمنكر
معروفا ومن اهل العلوم التي سماها الله في كتابه نورا وحكمة وهدى واقبل على ما به
يكسب الحرام ويكون مصيدة للحطام اما تخاف ايها المسترشد ان تكون مضيعا لشيء
من هذه الواجبات بل لاكثرها وتشتغل بصلوة التطوع وصوم النفل فتكون في لا شيء
وربما انت مصر على معصية من هذه المعاصي التي تستوجب بها النار وتترك مباحا
من طعام او شراب او نوم وغير ذلك وانت تبتغي به القربة الى الله تعالى فتكون في لا
شيء واشد من ذلك كله انك تكون في امن الامل والامل معصية محضة فتظنه
نية خير لجهلك بالفرق بينهما وتقاربهما في بعض الوجوه وكذلك تكون في جزع وسخط
فتظنه تضرعا وابتهالا الى الله عز وجل وتكون في رياء محض وتحسبه حمد الله تعالى او
دعوة للناس الى الخير فتاخذ تعد على الله المعاصي وتحسب الثواب العظيم في موضع
ضع العقوبات فتكون في غرور عظيم وغفلة قبيحة وهذه والله مصيبة فظيعة
للعاملين من غير علم ثم مع ذلك كله ان للاعمال الظاهرة علاقة من المساعي القلب
الباطنة تصلحها وتفسدها كالاخلاص والرياء والعجب وذكر المنة وغيره
فمن لم يعلم هذه المساعي الباطنة ووجه تاثيرها في العبادات الظاهرة وكيفية
احترازه منها وحفظ العمل عنها فقل ما يسلم له عمل الظاهر ايضا فيفوته طاعات الظاهر

منها بها

والباطن

وقوله تعالى

ابتغوا

بالطاعات

والباطن فلا يبقى بيده الا الشقا والكد وهذا هو الخسران المبين ولهذا قال رسول الله
ان نوما على علم خير من صلوة على جهل فان العامل بغير علم يفسد اكثر مما يصلح وقال
صلى الله عليه وسلم في العلم انه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء والعلم عند الله
ان احدى شقوته ان لا يتعلم العلم ثم يسعى فيتعب في العبادة على خبط فما يكون
لذلك الا العناء نعوذ بالله من علم لا ينفع وعمل لا يقبل ولهذا عظمت عناية العلماء
الزهاد العاملين رضوان الله عليهم اجمعين بالعلم خاصة من بين ابناء الناس
فان مدار امر العبودية وملاك العبادة والخدمة لله تعالى على العلم وهكذا تكون
نظر اولى الابصار واهل التاييد والتوفيق فاذا تبين لك بهذه الجملة ان الطاعة لا
تحصل للعبد ولا تسلم له الا بالعلم فلزمه تقديمه في شان العبادات واما الخصلة
الثانية التي توجب تقديم العلم ان العلم النافع يثمر خشية الله تعالى ومهابته قال تعالى
انما يخشى الله من عباده العلماء وذلك ان من لم يعرفه حق معرفته لم يهبه حق مهابته
ولم يعظمه حق تعظيمه وحرمته فصار العلم يثمر الطاعة كلها ويحجز عن المعصية كلها
بتوفيق الله تعالى وليس وراء هذين مقصد للعبد في عبادة الله سبحانه فعليك
بالعلم ارشدك الله يا سالك طريق الاخرة اول كل شيء والله ولي التوفيق العبادة ؟
بفضله ورحمته ولعلك ان تقول قد ورد في الخبر عن صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلم
انه قال طلب العلم فريضة على كل مسلم فما العلم الذي طلبه فرض لازم وما الحد الذي
لا بد للعبد من تحصيله في امر العبادة فاعلم ان العلوم التي طلبها في الجملة فرض ثلاثة
علم التوحيد وعلم السر اعني به ما يتعلق بالقلب ومساعيه وعلم الشريعة واما
حد ما يجب من كل واحد منها فالذي يتعين فرضه من علم التوحيد مقدار ما يعرف به
اصول الدين وهو ان تعلم ان لك الها عالما قادرا حيا مريدا متكلما سميعا بصيرا
واحدا لا شريك له متصفا بصفات الكمال منزها عن دلالات الحدوث متفردا

بالقدم على كل محدث وان محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله الصادق فيما جاء به عن الله تعالى
وفيما ورد على لسانه من امور الاخرة ثم مسائل في شعار السنة يجب معرفتها واياك ان تبتدع
في دين الله تعالى مالم يأت به كتاب ولا اثر فتكون مع الله تعالى على اعظم خطر وجميع ادلة التوحيد
موجوداً مثلها في كتاب الله تعالى وقد ذكرها المشايخ رضي الله عنهم في كتبهم التي صنفوها
في اصول الديانات وعلى الجملة كل ما لا تأمن الهلاك مع جهله فطلب علمه فرض لا يسوغ
لك تركه فهذه هذه وبالله التوفيق واما الذي يتعين فرضه من علم السر فمعرفة مواقعه
جنة ومناهيه حتى يحصل لك تعظيم الله عز وجل سبحانه وتعالى والاخلاص والنية وسلامة
العمل وجميع ذلك يأتي في كتابنا هذا ان شاء الله تعالى واما ما يتعين من علم الشريعة فكل
ما يتعين عليك فرض فعله وجب عليك معرفته لتؤديه كالطهارة والصلوة والصيام
واما الزكاة والحج والجهاد ان تعين عليك وجب عليك علمه لتؤديها والا فلا فهذا
هو ما يلزم العبد تحصيله من العلم لا محالة ويتعين فرضه بحيث لا بد لك من ذلك فان
قلت فهل يفترض على ان اتعلم من علم التوحيد ما انقض به جميع ملل الكفر والزمهم
حجة الاسلام فاعلم ان هذا فرض على الكفاية انما يتعين عليك علم ما تصحح به اعتقادك
في اصول الدين لا غير وكذلك لا يتعين عليك معرفة فروع علم التوحيد ودقايقه
والاتيان على جميع مسائله نعم ان وردت عليك شبهة في اصول الدين تخاف ان تقدح
في اعتقادك فيتعين عليك حل تلك الشبهة بما امكن من الكلام المقنع واياك والمماراة
والمجادلة فانه داء محض لا دواء له فاحترز منه جهدك فان من ارتداه لم يفلح الا
ان يتغمده الله برحمته ولطفه ثم اعلم انه لو كان في كل قطر داع من دعاة اهل السنة
يحل الشبهة ويرد على اهل البدع ويشتغل بهذا العلم ويصفي قلوب اهل الحق عن وساوس
المبتدعة فقد سقط الفرض عمن سواه وكذلك لا يلزمك معرفة دقايق
علم السر وجميع شرح عجايب القلب الا ما يفسد عليك عبادتك فيجب عليك معرفته

وانقض به جميع البدع والزمهم حجة السنة صح

تبجنه

يجتنبه وما يلزمك فعله كالاخلاص والحمد والشكر والتوكل والتفويض ونحو ذلك
فيلزم معرفته لتؤديه واما ما سوى ذلك فلا وكذلك لا يلزمك معرفة ساير ابواب
الفقه من البيوع والاجارات والنكاح والطلاق والجنايات انما كل ذلك فرض على الكفاية
فان قلت هذا المقدار من علم التوحيد هل يحصل بنظر الانسان من غير معلم فاعلم
ان الاستاذ فاتح ومسهل والتحصيل معه اسهل واروح والله تعالى بفضله يمن او يعطي
على من يشاء بعباده فيكون هو معلمهم سبحانه وتعالى ثم اعلم ان هذه العقبة التي هي عقبة
العلم عقبة كؤود ولكن بها ينال المطلوب والمقصود ونفعها كثير وقطعها شديد وخطرها عظيم كم من عدل عنها فضل وكم سلكها فزل وكم من تايه فيها متحير وكم من حسير جاير منقطع وكم من سالك قطعها في مدة يسيرة وآخر متردد فيها سبعين سنة
والامر كله بيد الله تعالى واما نفعه فعلى ما ذكرنا من شدة حاجة العبد اليه وبنا الاس
للعبادة عليه لا سيما علم التوحيد وعلم السر فلقد روي ان الله تعالى اوحى الى داود
عليه السلام يا داود تعلم العلم النافع قال الهي وما العلم النافع قال ان تعرف جلالي
وعظمتي وكبريائي وكمال قدرتي على كل شيء فان هذا الذي يقربك الي وعن علي كرم
الله وجهه انه قال ما يسرني ان لو مت طفلا فادخلت الجنة ولم اكبر فاعرف ربي فان اعلم
الناس بالله اشدهم له خشية واكثرهم عبادة واحسنهم في الله نصيحة واما شدتها فابذل
نفسك في الاخلاص في طلب العلم وليكن طلب دراية لا طلب رواية واعلم ان الخطر عظيم
فمن طلب العلم ليصرف به وجوه الناس اليه ويجالس به الامراء او يباهي به النظراء او يصيد
به الحطام فتجارته بايرة وصفقته خاسرة قال ابو يزيد البسطامي عملت في المجاهدة
ثلثين سنة فما وجدت شيئا اشد علي من العلم وخطره واياك ان يزين لك الشيطان
فيقول لك اذا كان قد ورد هذا الخطر العظيم في العلم فتركه اولى فلا تظن ذلك فلقد
روي عن رسول الله عليه السلام انه قال اطلعت ليلة المعراج على النار فرايت اكثر اهلها
الفقرا قالوا يا رسول الله امن المال قال من العلم فمن لم يتعلم العلم لا يتاتى له احكام العبادة
والقيام بحقوقها ولو ان رجلا عبد الله تعالى عبادة ملائكة السماء بغير علم كان من الخاسرين
فتشمر في طلب العلم بالبحث والتلقين والتدريس واجتنب الكسل والملول والآفات

في خطر الضلال والعياذ بالله تعالى ثم جملة الامر انك اذا نظرت في دلائل صنع الله تعالى وامعنت
النظر علمت ان لك الهًا قادرًا عالمًا حيًّا مريدًا سميعًا بصيرًا متكلمًا منزهًا عن حد وبلا كلام
والعلم والارادة مقدسًا عن كل نقص وانه لا يوصف بصفات المحدثين ولا
يجوز عليه ما يجوز على المخلوقين ولا يشبه شيئًا من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه ولا
تتضمنه الاماكن والجهات ولا تحله الحوادث والآفات ونظرت في معجزات رسول الله
عليه السلام واياته واعلام نبوته فعلمت انه رسول الله وامينه على وحيه وما كان
السلف الصالح يعتقدونه من ان الله تعالى يرى في الاخرة لانه موجود وليس في جهة
محدودة وهو غير محدود وان القران كلام الله تعالى غير مخلوق وليس بحروف مقطعة
ولا اصوات اذ لو كان كذلك لكان من جملة المخلوقات وانه لا يكون في الملك والملكوت
فلتة خاطر ولا لفتة ناظر الا بقضاء الله تعالى وقدرته وارادته ومشيئته فمنه الخير
والشر والنفع والضر والايمان والكفر وانه لا واجب على الله تعالى لاحد من خلقه
فمن اصلحه اثابه فبفضله ومن عاقبه فبعدله وما ورد على لسان صاحب الشرع
صلوات الله عليه وسلامه من امور الاخرة كالحشر والنشر وعذاب القبر وسؤال
منكر ونكير والميزان والصراط والشفاعة فهذه اصول درج السلف الصالح
رضوان الله عليهم على اعتقادها والتمسك بها ووقع عليها الاجماع قبل نبوغ البدع
وظهور الاهواء نعوذ بالله من الابتداع في الدين واتباع الهوى بغير دليل
ثم نظرت في اعمال القلب والمواجب الباطنة والمناهي التي تأتي في هذا الكتاب
ليحصل لك علمه ثم تعرف جملة ما يحتاج الى استعماله الطهارة والصلوة والصوم
ونحوه فاذا فعلت ذلك فقد اديت فرض الله تعالى عليك الذي تعبدك به في
باب العلم فصرت من علماء امة محمد صلى الله عليه وسلم الراسخين في العلم ان انت عملت
بعلمك واقبلت على عمارة معادك وكنت عبدًا عاقلًا عاملًا لله عز وجل على بصيرة
غير جاهل ولا مقلد ولا غافل ولك الشرف العظيم ولعلمك القيمة الكثيرة و
الثواب العظيم وكنت قد قطعت هذه العقبة وخلفتها وراءك وقضيت حقها
باذن الله تعالى والله سبحانه مسؤول ان يمدك وايانا بحسن توفيقه وتيسيره انه ارحم
الراحمين لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم العقبة الثانية وهي عقبة التوبة ثم

عليك

عليك يا طالب العبادة وفقك الله وايانا بالتوبة وذلك لامرين احدهما ليحصل لك توفيق الطاعة
فان شوم الذنوب يورث الحرمان ويعقب الخذلان فان قيد الذنوب يمنع عن المشي الى
طاعة والمسارعة الى خدمته وان ثقل الذنوب يمنع من الخفة للخيرات والنشاط للطاعات الله تعالى
وان الاصرار على الذنوب مما يسود القلوب وتجدها في ظلمة وقساوة لا خلوص فيها ولا
صفاوة ولا لذة ولا حلاوة وان لم يرحم الله تعالى فيستجر صاحبه الى الكفر والشقاوة
فيا عجبا كيف يوفق للطاعة من هو في شوم معصية وقساوة وكيف يدعى الى الخدمة الخيرات
من هو مصر على الذنب والجفوة وكيف يقرب للمناجاة من هو متلطخ بالاقذار
والنجاسات ففي الخبر عن الصادق المصدق صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كذب العبد يتنحى عنه
الملكان من نتن ما يخرج من فيه فكيف يصلح هذا اللسان لذكر الله تعالى فلا جرم لا يكاد
يجد المصر على العصيان توفيقا ولا يخف اركانه لعبادة ربه وان اتفق فبكد لا حلاوة معه
ولا صفوة وكل ذلك لشوم الذنوب وترك التوبة ولقد صدق من قال اذا لم تقو على صيام النهار
وقيام الليل فاعلم انك محروم مكبول قد كبلتك خطيئتك فهذه هذه والثاني من الامرين انما يلزمك التوبة
ليتقبل منك عبادتك فان رب الدين لا يقبل الهدية وذلك ان التوبة عن المعاصي وارضاء الخصوم
فرض لازم وعامة العبادة التي تقصدها نفل فكيف يقبل منك تبرعك والدين عليك
حال لم تقضه وكيف تترك لاجله الحلال والمباح وانت حال مصر على فعل المحظور والحرام وكيف تناجيه المحذور
وتدعوه وتثني عليه وهو والعياذ بالله تعالى عليك غضبان فهذا ظاهر حال العصاة المصرين
على المعصية والله المستعان فان قلت فما معنى التوبة النصوح وما حدها وما ينبغي للعبد
ان يفعله حتى يخرج من الذنوب كلها فاقول اما التوبة فانها سعي من مساعي القلب وهي عند
التحصيل في قول العلماء تنزيه القلب عن الذنوب قال شيخنا رضي الله في حد التوبة انه ترك
اختيار ذنب سبق مثله عنه منزلة لا صورة تعظيما لله وحذرا من سخطه فلها اذا اربع
شرايط احدها ترك اختيار الذنب وهو ان يوطن قلبه ويجرد عزمه على انه لا يعود الى الذنب
البتة فاما ان ترك الذنب وفي نفسه انه ربما يعود اليه او لا يعزم على ذلك بل يتردد بانه
ربما يقع له العود فانه ممتنع عن الذنب غير تايب عنه والثانية ان يتوب عن ذنب سبق
عنه مثله اذ لو لم يسبق عنه مثله لكان متقيا غير تايب الا يرى انه يصح القول بان النبي
صلى الله عليه وسلم كان متقيا عن الكفر ولا يصح القول بانه كان تايبا عن الكفر اذ لم يسبق عنه مثل

ذلك الثالثة ان الذى سبق يكون مثل ما يترك اختياره فى المنزلة والدرجة لا فى الصورة الابرى ان الشيخ الهرم الفانى الذى قد سبق منه الزنا وقطع الطريق اذا اراد ان يتوب عن ذلك يمكنه التوبة لا محالة اذ لم يغلق عنه بابها ولا يمكنه ترك اختيار الزنا وقطع الطريق اذ هو لا يقدر الان على فعل ذلك فلا يقدر على ترك اختياره فلا يصح وصفه بانه تارك له ممتنع عنه وعاجز عنه غير متمكن لكنه يقدر على ما هو مثل الزنا وقطع الطريق فى المنزلة والدرجة كالقذف والكذب والغيبة والنميمة اذ جميع ذلك معاصى وان كان الاثم يتفاوت فى حق كل واحدة وهى دون منزلة البدعة ومنزلة البدعة دون منزلة الكفر فلذلك صح منه التوبة عن الزنا وقطع الطريق وسائر ما مضى من الذنوب التى هو عاجز عن امثالها اليوم فى الصورة الرابعة ان يكون ترك اختياره لذلك تعظيما لله عز وجل وحذرا من سخطه واليم عقابه مجردا الا لرغبة دنيوية اورهبة من الناس او طلب ثناء او [illegible] او جاه او ضعف فى النفس او فقر او غير ذلك فهذه شرايط التوبة واركانها فاذا حصلت وا فهى توبة حقيقة صادقة واما مقدمات التوبة فثلاث احدها ذكر غاية قبح الذنوب والثانية ذكر شدة عقوبة الله سبحانه واليم سخطه وغضبه الذى لا طاقة لك به والثالثة ذكر ضعفك وقلة حيلتك فى ذلك احتمالك لذلك فان من لا يحتمل حر الشمس ولطمة شرطى وقرص نملة كيف يحتمل حر نار جهنم وضرب مقامع الزبانية ولذغ حيات كاعناق البخت وعقارب كالبغال خلقت من النار فى دار الغضب والبوار نعوذ بالله ثم نعوذ بالله من سخطه وعذابه فاذا واظبت على هذه الاذكار وعاودتها اناء الليل واطراف النهار فانها ستحملك على التوبة النصوح من الذنوب والله الموفق بفضله فان قيل اليس قد قال النبى صلى الله عليه وسلم الندم توبة ولم يذكر مما ذكرتم من شرايطها وشدد ثم يقال له اعلم ان الندم غير مقدور للعبد الا يرى انه يقع الندامة عن امور فى قلبه وهو يريد ان لا يكون ذلك والتوبة مقدورة للعبد مامور بها ثم انا قد علمنا يقينا انه لو ندم عن الذنوب لما ذهب بذلك من جاهه بين الناس او ماله فى النفقة فيها فان ذلك لا يكون توبة بلا ريب فعلمت بذلك ان فى الخبر معنى لم تفهمه من ظاهره وهو ان الندم لتعظيم الله سبحانه وخوف عقابه مما يبعث على التوبة النصوح فان ذلك من صفات التايبين وحالهم فهذا ذكر الاذكار الثلاثة التى هى مقدمات التوبة يندم

وحمله

وجملة الندامة على ترك اختيار الذنب وتبقى ندامته في قلبه في المستقبل فتحمله على الابتهال والتضرع فلما كان ذلك من اسباب التوبة وصفات التائب سماه باسم التوبة فافهم ذلك موفقا ان شاء الله تعالى فان قلت كيف يمكن الانسان ان يصير بحيث لا يقع منه ذنب البتة من صغير او كبير كيف و انبياء الله صلوات الله عليهم اجمعين الذين هم اشرف خلق الله تعالى قد اختلف اهل العلم هل نالوا هذه الدرجة ام لا فاعلم ان هذا امر ممكن غير مستحيل والله يختص برحمته من يشاء ثم من شرط التوبة ان لا يتعمد فاما ان وقع منه بسهو وخطاء فهو معفو عنه بفضل الله تعالى وهذا هين على من وفقه الله تعالى فان قلت انما يمنعني من التوبة اني اعلم من نفسي اني اعود الى الذنب ولا اثبت على التوبة فلا فائدة في ذلك فاعلم ان هذا من غرور الشيطان ومن اين لك هذا العلم فعسى ان تموت تائبا قبل ان تعود الى الذنب واما الخوف من العود فعليك العزم والصدق في ذلك وعليه الاتمام فان اتم فذاك من فضله وان لم يتم فقد غفرت ذنوبك السالفة كلها وتخلصت منها وتطهرت وليس عليك الا هذا الحدث الذي احدثته الآن وهذا هو الربح العظيم والفائدة الكبيرة ولا يمنعك خوف العود عن التوبة فانك من التوبة ابدا بين احدى الحسنيين والله ولي التوفيق والهداية فهذه هذه واما الخروج من الذنوب والتخلص منها فاعلم ان الذنوب في جملة ثلثة اقسام احدها ترك واجبات الله تعالى من صلاة او زكاة او صوم او كفارة او غيرها فتقضي ما امكنك منها الثاني ذنوب بينك وبين الله تعالى كشرب الخمر وضرب المزامير واكل الربا ونحو ذلك فتندم على ذلك وتوطن قلبك على ترك العودة الى مثلها ابدا والثالث ذنوب بينك وبين العباد وهذا اشكل واصعب وهي اقسام قد يكون في المال وفي النفس وفي العرض وفي الحرمة وفي الدين فما كان من المال فيجب عليك ان ترده عليه ان امكنك فان عجزت عن ذلك لعدم وفقر فتستحل منه وان عجزت عن ذلك لغيبة الرجل او موته وامكنك التصدق عنه فافعل وان لم يمكن فعليك بتكثير حسناتك والرجوع الى الله تعالى بالتضرع والابتهال اليه ان يرضيه عنك يوم القيمة واما ما كان في النفس فتمكنه من القصاص او اوليائه حتى تقتص منك او يجعلك في حل وان عجزت فالرجوع الى الله سبحانه وتعالى بالتضرع والابتهال اليه ان يرضيه عنك يوم القيامة واما العرض بان اغتبته او بهته او شتمته فحقك ان تكذب نفسك بين يدي من فعلت ذلك عنده وان تستحل من صاحبه ان امكنك هذا

فيهم ح

ذنبا

أي الذنب الواقع بسهو او خطاء ح

اي العلم بالعود الى الذنب بعد التوبة

ثبت على التوبة

ح

اي عزم على ترك الذنوب بان لا تعود

اي ما ابه تك بهذا العلم

اي الشهادة او الاتمام

ح

ان لم تخش زيادة غيظ او هيج فهو فتنة في اظهار ذلك او تجديده فان خشيت ذلك فالرجوع الى الله سبحانه ان يرضيه عنك او الاستغفار الكثير لصاحبه واما الحرمة بان اهنته في اهله اولاده ونحوه فلا وجه للاستحلال والاظهار فانه يولد فتنة وغيظا بل تتضرع الى الله سبحانه ما ليرضيه عنك ويجعل له خيرا كثيرا في مقابلة ذلك فان امنت الفتنة والهيج وهو نادر فتستحل منه واما في الدين بان كفرته او بدعته او ضللته فهو اصعب الامور فتحتاج الى تكذيب لنفسك بين يدي من قلت ذلك له وان تستحل من صاحبك ان امكنك والا فالابتهال الى الله سبحانه جدا والتندم على ذلك ليرضيه عنك وجملة الامر فما امكنك من ارضاء الخصوم عملت وما لم يمكنك رجعت الى الله تعالى بالتضرع والصدق ليرضيه عنك فيكون ذلك في مشية الله تعالى يوم القيامة والرجا منه بفضله العظيم واحسانه العميم انه اذا علم الصدق من قلب العبد فانه يرضي عنه خصماءه من خزائن فضله ولا حكم عليه فاعلم هذه حقا ترح راشدا فهذه هذه فاذا انت عملت ما وصفناه وبرأت القلب عن اختيار مثله في المستقبل فقد خرجت من الذنوب كلها وان حصلت منك تبرية القلب ولم يحصل منك قضاء الفوايت وارضاء الخصوم فالتبعات عتاب لازمة وساير الذنوب مغفورة ولهذا الباب شرح يطول ولا يحتمله هذا المختصر وانظر كتاب التوبة من كتب الاحياء اولا وكتاب القربة الى الله ثانيا وكتاب الغاية القصوى ثالثا تجد فوايد كثيرة وشرحا تاما والذي ذكرنا ها هنا هو الاصل الذي لا بد منه وبالله التوفيق

فصل

ثم اعلم يقينا ان هذه العقبة عقبة صعبة وامرها مهم وضررها عظيم فلقد بلغنا عن الاستاذ ابي اسحاق الاسفرايني رحمه الله وكان من الراسخين في العلم العاملين انه قال دعوت الله سبحانه ثلاثين سنة ان يرزقني توبة نصوحا ثم تعجبت في نفسي وقلت سبحان الله حاجة دعوت الله سبحانه فيها ثلثين سنة فما قضيت الى الآن فرايت فيما يرى النايم كان قايلا يقول لي اتعجب من ذلك اتدري ماذا تسال انما تسئل الله ان يحبك اما سمعت قوله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين اهذه حاجة هينة فانظر الى هؤلاء الائمة واهتمامهم ومواظبتهم على اصلاح قلوبهم والتزود لمعادهم واما الضرر المخوف فان اول الذنب قسوة واخره والعياذ بالله تعالى شوم وشقوة فاياك ان تنسى امر ابليس وبلعام ابن باعورا كان مبداء امرها ذنبا واخره كفرا فهلكا مع الهالكين ابد الابدين فعليك رحمك الله

ملازمة

بالتيقظ

ويجعل له خيرا كثيرا في مقابلته صح

فتنة في الفتنة

والتصدق

بلعم

تنقطع في

بالتيقظ والجهد عسى ان تقلع من قلبك عرق هذا الاصرار وتخلص رقبتك من هذه الاوزار

ولا تأمن قساوة القلب وتاسل حالك فقد قال بعض الصالحين ان سواد

القلب من الذنوب وعلامة سواد القلب ان لا تجد للذنوب مفزعا ولا للطاعة

موقعا ولا للموعظة منجعا ولا تستهن تستحقرن الذنوب فتحسب نفسك تائبا

وانت مصر على الكبائر وانظر فيما قال الشاعر لا تحقرن من الذنوب اقلها

ان القليل مع الدوام كثير ولقد بلغنا عن كهمس بن الحسين انه قال اذنبت

ذنبا وانا ابكي عليه منذ اربعين سنة قيل ما هو يا ابا عبد الله قال زارني اخ لي وانا انا

في الله فاشتريت له سمكا فاكل ثم قمت الى حائط جاري فاخذت منه

قطعة طين فغسل بها يده فناقش نفسك وحاسبها وسارع الى التوبة وبادر سرعة

اليها فان الاجل مكتوم والدنيا غرور وتضرع الى الله سبحانه وابتهل اليه

واذكر حال ابينا ادم صلوات الله عليه وعلى نبينا الذي خلقه الله سبحانه بيده ونفخ

فيه من روحه وحمله الى جنته على اعناق الملائكة لم يذنب الا ذنبا واحدا

ونزل به ما نزل حتى روي ان الله تعالى قال له يا ادم اي جار كنت لك قال نعم

الجار قال يا ادم اخرج من جواري وضع عن راسك تاج كرامتي فانه لا يا رب

يجاورني من عصاني حتى انه فيما يروى بكى على ذنبه مائتي سنة حتى قبلت توبته

وغفر ذنبه الواحد هذا حاله مع نبيه وصفيه في ذنب واحد فكيف حال

الغير في ذنوب لا تحصى وهذا تضرع التائب وابتهاله فكيف بالمصر

المتعسف ولقد احسن من قال يخاف على نفسه من يتوب فكيف ترى حال من

لا يتوب فان تبت ثم نقضت التوبة وعدت الى الذنب ثانيا فعد الى التوبة

مبادرا وقل لنفسك لعلي اموت على التوبة قبل ان اعود الى الذنب هذه المرة

مولانا مدس سره روحه
توبه زهر است گناه و توبه تریاق ویست
چو به زهر بجان رسید تریاق چه سود

وكذا ثانيا وثالثا ورابعا وكلما احدثت الذنب والعود اليه حرفة فاتخذ التوبة والعود اليها حرفة ولا تكن في التوبة اعجز منك في الذنب ولا تيئس ولا يمنعك الشيطان من التوبة بسبب ذلك فانه دلالة الخير اما تسمع قول النبي صلى الله عليه وسلم خياركم كل مفتن تواب اي كثير الابتلاء بالذنب كثير التوبة منه والرجوع الى الله تعالى بالندامة والاستغفار وتذكر قوله تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما وهذه وهذه بالله التوفيق فصل وجملة الامر انك اذا ابتدأت تبرأت قلبك عن الذنوب كلها بان توطنه على ان لا تعود الى الذنب ابدا البتة فليكن ما كان منك على وجه علم الله سبحانه صدق عزمك من قلب نقي وترضي الخصوم بما امكنك وتقضي الفوايت بما تقدر عليه وترجع في الباقي الى الله سبحانه بالابتهال والتضرع ليكفيك ذلك ثم تذهب فتغتسل وتغسل ثيابك وتصلي اربع ركعات كما يجب وتضع وجهك على الارض في مكان خال لا يراك احد الا الله تعالى ثم تجعل التراب على رأسك وتمرغ وجهك الذي هو اعظم اعضائك في التراب بدمع جار وقلب حزين وصوت عال وتذكر ذنوبك واحدا واحدا بما امكنك وتلوم نفسك العاصية على فعلها وتوبخها وتقول اما تستحي يا نفس اما آن لك ان تتوبي ألك طاقة بعذاب الله سبحانه ألك حاجة بسخط الله سبحانه وتذكر من هذا كثيرا وتبكي ثم ترفع يديك الى الرب الرحيم سبحانه وتقول الهي عبدك الآبق رجع الى بابك الهي عبدك العاصي رجع الى الصلح الهي عبدك المذنب اتاك بالعذر فاعف عني بجودك يا مولاي وتقبلني بفضلك وانظر الي برحمتك اللهم اغفر لي ما سلف من الذنوب واعصمني فيما بقي من الاجل فان الخير كله بيدك وانت بنا رؤوف رحيم ثم تدعو دعاء الشدة وهو يا مجلي عظايم الامور يا منتهى همة المهمومين يا من اذا اراد امرا فانما يقول له كن فيكون احاطت بنا ذنوبنا وانت المذخور لها يا مذخورا لكل شدة كنت اذخرك لهذه الساعة فتب علي انك انت التواب الرحيم

تبرأت
فيراك
وتقبلني
لنا

تم

ثم اكثر البكا والتذلل وقل يا من لا يشغله سمع عن سمع يا من لا تغلطه المسائل
يا من لا يتبرمه الحاح الملحين ولا يضجره مسالة السائلين اذقنا برد عفوك وحلاوة
مغفرتك يا ارحم الراحمين انك على كل شيء قدير ثم تصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم تستغفر
لجميع المؤمنين والمؤمنات وترجع الى طاعة الله جل جلاله فتكون قد تبت توبة نصوحا
وخرجت من الذنوب طاهرا كيوم ولدتك امك واحبك الله سبحانه وتعالى وذخر لك
من الاجر والثواب وانزل عليك من البركة والرحمة ما لا يحيط به وصف الواصفين وحصل
لك الامن والخلاص ونجوت من غضبه ومن غصة المعاصي وبليتها في الدنيا والا
خرة وكنت قد قطعت هذه العقبة باذن الله تعالى وهو ولي التوفيق والهداية

العقبة الثالثة وهي عقبة العوائق

ثم عليك يا طالب العبادة
وفقك الله تعالى بدفع العوائق حتى تستقيم عبادتك وقد ذكرنا ان العوائق اربعة
احدها الدنيا ودفعها انما هو بالتجرد عنها والزهد فيها وانما لزمك هذا التجرد
والزهد لامرين احدهما ليستقيم لك العبادة وتكثر فان الرغبة في الدنيا
تشغلك ظاهرا وباطنا اما ظاهرك فبالطلب واما باطنك فبالارادة
وحديث النفس وكلاهما يمنعان من العبادة فان النفس واحدة والقلب واحد
فاذا اشتغل بشيء انقطع عن ضده فان مثل الدنيا والاخرة كمثل الضرتين
ان ارضيت احديهما اسخطت الاخرى وانهما كالمشرق والمغرب بقدر ما
تميل الى احدهما اعرضت عن الاخرى اما شغلها في الظاهر فقد روينا عن ابي
الدرداء رضي الله عنه انه قال حاولت ان اجمع بين العبادة والتجارة فلم
يجتمعا فاقبلت على العبادة وتركت التجارة وعن عمر رضي الله عنه قال لو كانتا الدنيا والاخرة
مجتمعتين لاحد غيري لاجتمعتا لي لما اعطاني الله من القوة واللين فاذا
كان الحديث كذلك فاضرب بالفانية اوطا والسلام واما شغلها بالقلب

وهو الباطن لمكان الارادة فما روي عن النبي صلى الله عليه والسلم انه قال من احب دنياه
اضر باخرته ومن احب آخرته اضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى فاذا بان لك انك
اذا اشتغل ظاهرك بالدنيا وباطنك بارادتها فلا يتأتى لك العبادة حقها واما
اذا زهدت فيها وتفرغت بظاهرك وباطنك فتتأتى لك العبادة بل تعاونك
اعضاؤك ولقد روي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال ان العبد اذا زهد في الدنيا
استنار قلبه بالحكمة وتعاونت اعضاؤه في العبادة والثاني مما لا ريب انه يكثر قيمة
عملك ويعظم قدره وشرفه فلقد قال صلى الله عليه وسلم ركعتان من زاهد قلبه خير واحب
الى الله تعالى من عبادة المتعبدين الى آخر الدهر ابدا سرمدا فاذا كانت العبادة تشرف
وتكثر بذلك فحق لمن طلب العبادة ان يزهد في الدنيا ويتجرد عنها فان قلت فما معنى
الزهد في الدنيا وحقيقة ذلك فاعلم ان الزهد عند علمائنا زهدان زهد مقدور
للعبد وزهد غير مقدور فالذي هو مقدور ثلاثة اشياء ترك طلب المفقود
من الدنيا وتفريق المجموع منها وترك ارادتها واختيارها واما الزهد الذي هو
غير مقدور للعبد فهو برودة الشيء على قلب الزاهد ثم الزهد الذي هو مقدور
للعبد مقدمات للزهد الذي هو غير مقدور فاذا اتى به العبد بان لا يطلب
ما ليس عنده من الدنيا ويفرق ما عنده منها ويترك بالقلب ارادتها واختيارها
لاقامتها اورثته تلك برودة الدنيا على قلبه لاجل الله تعالى وعظم ثوابه
وهذا عندي هو الزهد الحقيقي ثم اعلم ان اصعب الامور الثلاثة انما هو
ترك الارادة بالقلب اذ كم من تارك لها بظاهره محب من بذلها باطنه
وهو في مكافحة ومقاساة من نفسه شديدة فالشان كله في هذه الم تسمع الى
قول الله سبحانه تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض
ولا فسادا علق الحكم على نفي الارادة دون الطلب والفعل للمراد وقوله عز
وجل من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته

منها

و الاية لعمومه يدل على انه لا نصيب في الاخرة لمريد الدنيا وراى الزمخشري والقاضي
على العموم لكن الظاهر تخصيص بالكافر اللهم الا ان يقال تنوين نصيب للتفخيم اي ليس له نصيب
جسيم وهو نصيب مريد الاخرة او يقال النصيب عن الدنيا بمنزلة العدم في جنب نصيب مريد
الاخرة

منها وما له في الاخرة من نصيب وقوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد
وقوله تعالى ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن اما ترى الاشارة كلها الى الارادة
فامرها هو المهم اذا لكن العبد اذا طلب واستقام على الاولى اعني الترك والتفريق فما مول من فضل الله
تعالى ان يوفقه لدفع هذه الارادة والاختيار عن قلبه فانه المفضل الكريم جل وعز ثم الذي يبعثك
على الترك والتفريق ويهون عليك ذلك ذكر افات الدنيا وعيوبها وقد اكثر الناس القول في ذلك
فمنه قول بعضهم تركت الدنيا لقلة غنائها وكثرة عنائها وسرعة فنائها وخسة شركائها قال شيخي
الامام رحمه الله لكنه يجي من هذا الحد الرغبة لان من شكى فراق احد احب وصاله ومن ترك شيا لمكان
الشركاء فيه اخذه لو انفرد به فالقول البالغ ما قاله شيخنا ان الدنيا عدوة الله عز وجل وانت محبها
ومن احب احدا ابغض عدوه ولانها في اصلها وسخة وجيفة الا ترى ان اخرها الى القذر والفساد
والتلاشي والاضمحلال ولكنها جيفة قد ضمخت بطيب وطرحت بزينة فاغتر بظاهرها الغافلون
وزهد فيها العاقلون فان قيل فما حكم الزهد في الدنيا اهو فرض ام نفل فاعلم ان الزهد يقع عندنا
في الحلال والحرام فهو في الحرام فرض وفي الحلال نفل ثم منزلة هذا الحرام لمستقيم الطاعة بمنزلة الميتة
المستقذرة لا يقدم عليها الا عند الضرورة بمقدار دفع الضرورة واما الزهد في الحلال انما يكون
في منزلة الابدال يكون عندهم الحلال بمنزلة الميتة لا يتناولون منه الا قدر ما لا بد منه والحرام عندهم
بمنزلة النار لا يخطر ببالهم قصد تناوله بحال وهذا معنى البرودة على القلب بان تنقطع همته
عنها ويستقذرها ويستنكرها جدا فلا يبقى لها في قلبه اختيار وارادة فان قلت كيف يمكن
ان تصير الدنيا في لذاتها وشهواتها العجيبة المطلوبة عند الانسان بمنزلة النار او بمنزلة الجيفة المستقذرة
المستحيلة والبنية بنيتنا والطبع طبعنا فاعلم ان من وقوع التوفيق الخاص وعلم آفاتها وقذارتها
في اصلها فتصير عنده كذلك وانما يتعجب من هذا الراغبون العميان عن عيب الدنيا وافاتها
المغترون بظاهرها وزينتها وسأضرب لك مثلا فاعلم ان هذا يمثل بانسان صنع خبيصا
بشرابيطه من السكر وغيره ثم طرح فيه قطعة سم قاتل وابصر ذلك رجل ولم يبصره اخر

فالرجل

ووضع الخبيص بين يديه فالرجل الذي ابصر ما جعل فيه من السم يكون زاهداً في ذلك الخبيص
لا يخطر بباله ان يتناوله البتة ويكون ذلك عنده بمنزلة النار بل اصعب لما ان يعلم من افته فلا
فلا يغتر بظاهره وزينته واما الرجل الذي لم يبصر ما جعل فيه اغتر بظاهره المزخرف وحرص عليه
ولم يصبر عنه واخذ يتعجب من صاحبه الزاهد فيه وربما يستحمقه في ذلك فهذا مثل حرام الدنيا
مع البصراء المستيقنين والجهال الراغبين واما حلال الدنيا فان لم يطرح فيه سم لكنه بصق فيه
وامتخط ثم مزج وزين فالرجل الذي شاهد منه ذلك الفعل يكون مستقذراً لذلك الخبيص
نافراً عنه لا يكاد يقدم عليه الا عند الضرورة وشدة الحاجة والذي لم يشاهد ذلك فهو جاهل
بما فيه مغتر بظاهره حريص عليه مكب متعجب فهذا مثل حلال الدنيا مع الفريقين اهل البصيرة
والاستقامة واهل الرغبة والغفلة وانما اختلف حال الرجلين مع تساويهما في الطبع والبنية لما
كان لاحدهما علم وللاخر جهل وغفلة فلو علم الراغب وابصر ما علمه الزاهد لكان زاهداً
مثله ولو جهل الزاهد وعمي عما عمي عنه الراغب لكان راغباً مثله فعلمت بذلك ان هذا التمييز لمكان
البصاير دون الطبايع وهذا اصل عظيم وكلام بين شديد يعترف به من عقل وانصف
والله ولي الهداية والتوفيق فان قلت فلا بد لنا من قدر من الدنيا ليكون قواماً لنا فكيف نزهد
فيها فاعلم ان الزهد في الفضول مما لا يحتاج اليه في قوام البنية فالمقصود القوام والقوة
حتى تعبد الله سبحانه لا الاكل والشرب والتلذذ والله تعالى ان شاء اقامها بشيء وسبب وان شاء
اقامها بلا سبب كالملائكة ثم ان كان بشيء ان شاء فبشيء حاصل عندك او بطلبك وكسبك
وان شاء بشيء غيره يسببه لك من حيث لا تحتسب من غير طلب منك وكسب كما قال تعالى ومن
يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فاذاً لا تحتاج بحال الى طلب وارادة فان
لم تقو على ذلك وطلبت واردت فانو بذلك القوة على عبادة الله سبحانه دون الشهوة
واللذة فانك اذا نويت ذلك كان الطلب والارادة منك خيرا وطلبا للاخرة
بالحقيقة لا للدنيا ولا يقدح في زهدك وتجردك ذلك فاعلم هذه الجملة راشداً وبالله التوفيق

العايق الثاني

العائق الثاني الخلق ثم عليك وفقنا الله واياك لطاعته بالتفرد عن الخلق وذلك لامرين احدهما
انهم يشغلونك عن عبادة الله عز وجل على ما حكي عن بعضهم انه قال مررت بجماعة يترامون
وواحد جالس بعيدا منهم فاردت ان اكلمه فقال ذكر الله اشهى الي فقلت انت وحدك
فقال معي ربي وملكاي فقلت من سبق من هؤلاء فقال من غفر الله له فقلت اين الطريق
فاشار بيده الى السماء وقام وتركني فالخلق اذا يشغلونك عن العبادة بل يعيقونك
منها بل يوقعونك في الشر والهلاك على ما قال حاتم الاصم رحمه الله طلبت من هذا الخلق
خمسة اشياء فلم اجدها طلبت منهم الطاعة والزهادة فلم يفعلوا فقلت اعينوني
عليهما اذا لم تفعلوا فلم يفعلوا فقلت ارضوا مني ان فعلت فلم يفعلوا فقلت لا تمنعوني
عنهما اذا فعلت فمنعوني فقلت لا تدعوني الى ما لا يرضى الله تعالى ولا تعادوني عليهما
ان لم اتابعكم فلم يفعلوا فتركتهم واشتغلت بخاصة نفسي واعلم ايها الاخ في الدين
ان نبيك محمدا صلى الله عليه وسلم وصف زمان العصر العزلة وبين نعته ونعت اهله
وامر فيه بالتفرد وكان لا محالة اعلم بالمصالح وانصح لنا منا لانفسنا فان وجدت
زمانك على ما وصف وبين فامتثل امره صلى الله عليه وسلم واقبل نصيحته ولا تشك
انه صلى الله عليه وسلم كان اعرف بما يصلح لك في زمانك فلا تعلل بالعلل الكاذبة ولا
تخادع نفسك والآفات هالك ولا عذر لك والوصف الذي ذكره منها ما هو في
الخبر المشهور عن عبد الله بن عمرو بن عاص رضي الله عنهما انه قال بينا نحن حول النبي
صلى الله عليه وسلم اذ ذكر الفتنة فقال اذا رايتم الناس مرجت عهودهم وخفت
اماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين اصابعه فقلت ما اصنع عند ذلك يا رسول الله
جعلني الله فداك قال الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر
وعليك بامر الخاصة ودع عنك امر العامة وذكر في خبر آخر انه عليه الصلاة والسلام
قال ذلك ايام الهرج قيل وما ايام الهرج قال حين لا يامن الرجل جليسه وذكر ابن مسعود

في خبر آخر للحارث بن عميرة انه قال له ان يدفع عن عمرك فسيأتي عليك زمان كثير خطباؤه
قليل علماؤه كثير سائله قليل معطوه الهوى فيه قائد العلم قال ومتى ذلك قال اذا اميت
الصلاة وقبلت الرشاء ويباع الدين بعرض يسير من الدنيا فالنجا ويحك النجا قلت وجميع
ما ذكر في هذه الاخبار تراه بعينك في زمانك واهله فانظر لنفسك ثم ان السلف الصالح
اجمعوا على التحذير من زمانهم وآثروا العزلة وامروا بذلك وتواصوا بها ولا شك انهم كانوا
ابصر وانصح وان الزمان لم يصر بعدهم خيرا مما كان بل اشر واشر وهو ما ذكر عن يوسف
ابن اسباط انه قال سمعت سفيان الثوري رحمه الله يقول والله الذي لا اله الا هو لقد
حلت العزلة في هذا الزمان قلت انا ولئن حلت في زمانه ففي زماننا هذا وجبت وافترضت
وعن سفيان ايضا انه كتب الى عباد بن الخواص اما بعد فانكم في زمان كان اصحاب رسول
الله عليه وسلم يتعوذون بالله ان يدركوه فيما بلغنا ولهم من العلم ما ليس لنا فكيف بنا
حيث ادركنا على قلة علم وقلة صبر وقلة اعوان على الخير وكدر من الدنيا وفساد من الناس
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في العزلة راحة من خلطاء السوء وفي مثل هذا قيل هذا
الزمان الذي كنا نحاذره في قول كعب وفي قول ابن مسعود ان دام هذا ولم يحدث
له غير لم يبك ميت ولم يفرح بمولود اعمى اصم من الازمان ملتبس فيه لابليس تصدير وتصعيد
دهر به الحق مردود باجمعه والظلم والبغي فيه غير مردود ولقد وجدت عن سفيان بن
عيينة انه قال قلت لسفيان الثوري اوصني قال اقلل من معرفة الناس قلت يرحمك الله
اليس قد جاء في الخبر اكثروا من معرفة الناس فان لكل مؤمن شفاعة قال لا احسبك
رايت قط ما تكره الا ممن تعرف قلت اجل ثم مات فرايته بعد موته في النوم فقلت
يا ابا عبد الله اوصني قال اقلل من معرفة الناس ما استطعت فان التخلص منهم شديد
وقد قيل في معنا نظما وما زلت مذ لاح المشيب بمفرقي افتش عن هذا الورى واكشف
فما ساءني الا الذين عرفتهم جزى الله خيرا كل من لست اعرف قال الفضيل رحمه الله
ما ان عرفت الناس الا ذممتهم شيخ

هذا

17

هذا زمان احفظ لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وقال الثوري هذا زمان السكوت ولزوم البيوت والرضاء بالقوت الى ان يموت وعن داود الطائي رحمه الله صم عن الدنيا واجعل فطرك الاخرة وفر من الناس فرارك من الاسد وعن ابي عبيدة رحمه الله قال ما رايت حكيما قط الا قال في اخر كلامه ان احببت ان لا تعرف فانت من الله على بال والاخبار في هذا الباب اكثر من ان يحتمل هذا الكتاب وقد صنفنا فيه كتابا مفردا سميناه كتاب اخلاق الابرار والنجاة من الاشرار فقف عليه ترى العجب العجاب والعاقل تكفيه الاشارة والله الموفق والهادي بفضله واما الخصلة الثانية التي تقتضي التفرد عن الناس في هذا الشان ان الناس يفسدون عليك ما حصل لك من العبادة ان لم يعصم الله سبحانه بسبب ما يعرض من قبلهم من دواعي الريا والتزين ولقد صدق يحيى بن معاذ رحمه الله حيث قال رؤية الناس بساط الريا وهولاء الزهاد قد خافوا على انفسهم من هذا المعنى حتى تركوا الملاقاة والتزاور ولقد ذكر ان هرم بن حيان قال لاويس القرني رحمه الله لما التقيا يا اويس صلنا بالزيارة واللقاء فقال اويس قد وصلتك بما هو انفع لك منهما وهو الدعاء على ظهر الغيب لان الزيارة واللقاء يعرض فيهما التزين والرياء وقيل لسليمان الخواص وقد قدم ابرهيم بن ادهم افلا تاتيه فقال لان القى شيطانا ماردا احب الي من لقائه فاستنكروا ذلك من قوله فقال اني اذا لقيته اخاف ان اتزين له واذا لقيت شيطانا امتنع منه ولقد لقي شيخ الامام بعض العارفين فتذاكرا مليا ثم بكيا في اخر حديثهما وقال شيخ للعارف ما اظنني جلست مجلسا انا له ارجا من مجلسي هذا فقال له العارف لكني ما جلست مجلسا انا اخوف من مجلسي هذا الست تعمد الى احسن احاديثك وعلومك فتحدثني بها وتظهرها بين يدي وانا كذلك فقد وقع الرياء فبكى شيخ الامام مليا ثم غشي عليه وكان بعد ذلك يتمثل يا ويلتا من موقف ما به اخوف من ان يعدل الحاكم ابا وزاغ

بعصيانه وليس لي من دونه راحم يا رب عفوا منك عن مذنب اسرف الا انه نادم فهذه حال اهل الزهد والرياضة في اوقاتهم فكيف حال اهل الرغبة والبطالة بل حال اهل الشر والضلالة الجهالة واعلم ان الزمان قد اصبح في فساد عظيم واصبح الناس في ضرر كثير فانهم يشغلونك عن عبادة الله سبحانه حتى لا يكاد يحصل لك منها شيء ثم يفسدون ما حصل لك حتى لا يكاد يسلم لك شيء فالزم العزلة والتفرد عن الناس والاستعاذة بالله من شر هذا الزمان واهله والله تعالى الحافظ بفضله ورحمته فان قيل فما حكم العزلة والتفرد عن الناس فبين لنا حال الطبقات للخلق فيها والحد الذي يجب منها فاعلم رحمك الله واياك ان الخلق في هذا الزمان اخير رجلان رجل لا حاجة للخلق اليه في علم وبيان حكم فالاولى بهذا الرجل التفرد عن الناس فلا يخالطهم الا في جمعة او جماعة او عيد او حج او مجلس علم بالسنة او حاجة في معيشته لا بد له منها والا فيواري شخصه ويلزم كنه لا يعرف ولا يعرف فاما اذا احب هذا الرجل ان ينقطع عن الناس فلا يخالطهم في امر من الامور البتة من دنيا او دين وجماعة وجمعة وغيرها مما ذكر له في ذلك من مصلحة وفراغ فانه لا يسعه ذلك الا باحد امرين اما ان يصير الى موضع لا يلزمه هنالك هذه الفروض كرؤوس الجبال وبطون الاودية ونحوها ولعل هذا احد الوجوه التي دعت العباد الى تلك المواضع البعيدة عن الناس واما ان يتيقن بالحقيقة ان الضرر الذي يلحقه في مخالطة الناس بسبب هذه الفروض اعظم من تركها فحينئذ يكون له عذر في ذلك ولقد رايت انا بمكة شرفها الله بعض المشايخ المتفردين من اهل العلم وهو لا يحضر المسجد الحرام في الجماعات مع قربه منه وسلامة حاله فحاورته في ذلك يوما في حال تردد ذي فذكر من عذره ما اشرنا اليه من ان ما يجده من الثواب لا يفي بما يلحقه من الآثام والتبعات في الخروج الى المسجد ولقاء الناس قلت انا وجملة الامر فلا عتاب على المعذور والله سبحانه اولى بالعذر وهو عليم بذات الصدور ولكن الطريق العدل فيه هو الاول بان يشارك الناس في الجمعة والجماعات وضروب الخيرات ويباينهم فيما سوى ذلك فان احب الطريق الثاني بان ينقطع عن الناس

مطلب في حكم العزلة والتفرد عن الناس

[illegible]

بمرة فسبيله للخروج الى مواضع لا يتوجد عليه هذه الفروض فيها ثم ان اراد الطريق
الثالثة وهو ان يحضر ان يكون مع الناس في مصر واحد لا يحضر جمعة ولا جماعة لعذر براءة
في ذلك من وزر او يتعذر عليه فانه كما يحتاج الى نظر دقيق وعوارض عظيمة حتى يسقط ذلك
عنه وفيه خطر عظيم من الغلط فلا ولان اسلم له واحوط والله ولي الهداية والتوفيق
واما الرجل الثاني فرجل بحيث فيكون قدوة في العلم بحيث يحتاج الناس اليه في امر دينهم
لبيان حق او رد على مبتدع او دعوة الى خير بفعل او قول او نحو ذلك فلا يسع مثل
هذا الرجل الاعتزال عن الناس بل ينصب نفسه بينهم ناصحا لخلق الله تعالى
داعيا واجبا منصوبا عن دين الله تعالى مبينا لاحكام الله تعالى ولقد روينا عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا ظهرت البدع وسكت العالم فعليه لعنة الله هذا
اذا كان بينهم واذا خرج من بينهم فلا يجوز له ايضا الاعتزال ولقد حكي ان الاستاذ
ابا بكر بن فورك قصد ان يتفرد لعبادة الله تعالى عن الخلق فبينما هو في بعض الجبال اذ سمع
صوتا ينادي يا ابا بكر اذ صرت حجة الله على خلقه تركت عباد الله فرجع فكان هذا ادخار
سبب رجوعه وصحبته الى الخلق وذكر لي مامون ابن احمد ان الاستاذ ابا اسحاق
قال لعباد جبل لبنان يا اكلة الحشيش تركتم امة محمد صلى الله عليه وسلم في ايدي المبتدعة
واشتغلتم ههنا باكل الحشيش هذا قالوا انا لا نقوى على صحبة الخلق وانما اعطاك الله
قوة فيلزمك ذلك فصنف بعد ذلك كتابه الجامع للجلي والخفي وكان لهم رضي الله
عنهم مع غزارة علمهم العمل الجم والنظر الدقيق في طريق سلوك الاخرة ثم اعلم
ان هذا الرجل المحتاج اليه في باب الدين يحتاج في صحبة الخلق الى امرين شديدين
احدهما صبر طويل وحلم عظيم ونظر لطيف واستعانة بالله تعالى دايمة والثاني ان يكون هذا
المعنى منفردا عنهم وان كان بالشخص معهم فان كلموه كلمهم وان زاروه عظمهم
على قدرهم وشكرهم وان سكتوا عنه واعرضوا اغتنم ذلك منهم وان كانوا في حق وخير ساعدهم

وان صاروا الى الشر والعلو خالفهم وهاجرهم بل ردّ عليهم وزجرهم انه جافيهم
ثم يقوم بجميع حقوقهم من الزيارات والعيادات وقضاء الحاجات التي ترفع اليه
ما امكنه ولا يطالبهم بالمكافات ولا يرجو ذلك منهم ولا يريهم من نفسه استحسانا
لذلك ويباسطهم في البذل اذا قدر وينقبض عنهم في الاخوان اعطى ويحتمل منهم
الاذى ويظهر لهم البشر ويتجمل بظاهره لهم ويكتم حاجته عنهم ويقاسيها بنفسه
ويعالجها في سره وباطنه ثم يحتاج مع ذلك الى ان ينظر لنفسه خاصة فيجعل
لها حظه حظا من العبادة الخالصة كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان نمت
الليل لاضيعن نفسي وان نمت النهار لاضيعن الرعية فكيف لي بالنوم بين هاتين
وفي المعنى عرض لي ابيات فان كنت في صدر الائمة راغبا فوطن على ان يتنكد
الوقايع بنفس وفود عند كل كريهة وقلب صبور وهو في الصدر هايج لسانك
مخرف وطرفك ملجم وسرك مكتوم لدى الرب ذايع وذكرك مغمور وبابك مغلق
وثغرك بسام وبطنك جايع وقلبك مجروح وسوقك كاسد وفضلك مدفون
وظعنك شايع وفي كل يوم انت جارع غصة من الدهر والاخوان والقلب طايع
نهارك سفل الناس من غير منة وليلك شوق غاب عنه الطوالع فدونك هذا الليل
فخذه بذريعة ليوم عبوس عز فيه الزرايع ثم فالشخص معهم والقلب ما ابعده
عنهم وذلك لعمري امر شديد وعيش نكد وفيه يقول شيخنا رحمه الله في وصيته
يا بني عش مع اهل زمانك ولا تقتد بهم ثم قال ما اشد هذا العيش مع الا
حياء والاقتداء بالاموات وعن ابن مسعود رضي الله عنه خالط الناس
وزايلهم بالقلوب ودينك لا تكلمنه فهذه نكتة مقنعة اي عظيمة ثم اقول اذا
هاج الفتن بعضها ببعض وتراجع الامر وولى الناس عن امر الدين مدبرين لا يرغبون
في مؤمن الا ولا ذمة ولا يطلبون عالما ولا

فالنفس

ماج

يرمقون متعبدا ولا يعينهم امر الدين البتة وثار الفتنة تعم العامة وتدب بين الخاصة فللعالم
العذر في العزلة والتفرد ودفن العلم واخاف ان ما ذكرناه هو هذا الزمان النكد الصعب
والله المستعان وعليه التكلان وهذا حكم العزلة والتفرد عن الناس فافهمه فان الغلط
فيه عظيم وضرره كثير وبالله التوفيق فان قيل اليس النبي صلى الله عليه وسلم يقول عليكم
بالجماعة فان يد الله على الجماعة وان الشيطان ذئب الانسان ياخذ الشاذة والناحية
والقاصية وقال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان مع الفذ وهو من الاثنين ابعد فاعلم
ان هذا قد ورد وورد ايضا الزم بيتك وعليك بالخاصة وامر بالعزلة والتفرد في الزمان
السوء ولا تناقض في قوله صلى الله عليه وسلم ولا بد من الجمع بين الخبرين بحول الله عز وجل وتوفيقه
فاقول قوله صلى الله عليه وسلم عليكم بالجماعة يحتمل ثلاثة اوجه احدها انه يعني به في الدين
والحكم اذ لا تجتمع هذه الامة على ضلالة فخرق الاجماع والحكم بخلاف ما عليه جمهور الامة والشذوذ
عنهم باطل وضلال واما ان اعتزل عنهم لصلاح دينه فليس هذا من ذلك في شيء والثاني
عليكم بالجماعة بان لا تنقطعوا عنهم في جمعهم وجماعاتهم ونحوها فان فيها قوة الدين وكمال الاسلام
وغيظ الكفار والملحدين ولا يخلو ذلك من بركات ونظر من الله عز وجل بالرحمة وكذلك نقول
ان حق المنفرد ان يشارك الناس في الجموع العامة في الخير وان يجانبهم في الصحبة والمزاحمة
في سائر الامور لما فيها من ضروب الآفات والثالث ان ذلك في غير زمان الفتنة للرجل
الضعيف في امر الدين واما الرجل البصير القوي في امر الله سبحانه اذا رأى زمان الفتنة
الذي حذر النبي صلى الله عليه وسلم الامة منه وامرهم بالعزلة فالعزلة له اولى لما في الخلطة
من الفساد والآفة وان لا ينقطع من جموع الاسلام والخيرات العامة وان اراد ان ينفرد
عن الناس برة فليسكن بشاهق جبل او بطن فلاة لصلاح يراه في دينه ثم قلت ولا ارى
مثل هذا الرجل اينما كان الا ويمكنه الله عز وجل من حضور الجماعات والجمعات وسائر جموع
الاسلام فيحضر لئلا يفوته الحظ منها ايضا فان جموع الاسلام من الله بمكان وان تغير
الناس وفسدوا كذا سمعنا من حال الابدال انهم يحضرون جموع الاسلام اينما كانت
ويسيرون من الارض حيث شاؤوا وان الارض لهم قدم واحد في الاخبار ان الارض

مبارك
يطوى لهم وينادون بالتحيات ويتحفون بانواع البر والكرامات فهنيا لهم بما ظفروا به
واحسن الله عزا من غفل عن النظر في خلاص نفسه واعان الله الطالب الذى لم يصل الى المقصود
كامثالنا ولقد عرض لى في صفة حالي ابيات ظفر الطالبون واتصل الوصل وفاز الاحباب
بالاحباب وبقينا مذبذبين حيارى بين حد الوصال والاجتناب نرتجى القرب بالبعاد
وهذا نفس حال الحال للالباب فاسقنا منك شربة تذهب الغم وتهدى الى طريق الصواب
ياطبيب السقام يامرهم الجرح يامنقذى من الاوصاب ولنقبض الآن عنان الجنان
ونرجع الى المقصود من شان العزلة فقد خرجنا من شرط الباب فان قيل اليس قد قال
النبي صلى الله عليه وسلم رهبانية امتي الجلوس في المساجد وفيه زجر عن التفرد فاعلم ان ذلك
في غير زمن الفتنة كما ذكرنا وايضا انه يجلس في المسجد ولا يخالط الناس ولا يداخلهم فيكون
بالشخص معهم وفى المعنى منفردا عنهم وهذا هو المعنى والتفرد الذى عنى في شرحه لا التفرد
بالشخص والمكان فافهم ذلك يرحمك الله وفيه يقول ابراهيم ابن ادهم رحمه الله
كن واحدا جامعا من دينك ذا انس ومن الناس وحشيا فان قيل فما تقول في مدارس
علماء الاخرة ورباطات الصوفية سالكى طريق الاخرة والكون فيها فاعلم ان ذلك
هي الطريقة المثلى في هذا الشان لعامة اهل العلم والاجتهاد وذلك انها جمعت المعنيين
والفايدتين اللتين احدهما العزلة عن الناس والتفرد عنهم بالصحبة والمخالطة والموا
في امورهم والثانية المشاركة معهم في جمعهم وجماعاتهم وتكثير شعاير الاسلام فتحصل
السلامة التي هي للمنفردين والخير الكثير الذى هو لعامة المسلمين مع ما للناس فيهم من القدوة
والبركة والعصمة فصار الكون فيها اعدل طريق واحسن حال واسلم سبيل ولهذا الشان
اقام اكثر العارفين بين الناس لنفعهم لعباد الله تعالى في باب الدين وقلة اذاهم
ومشاهدة الخلق لآدابهم وحسن رسومهم ليقتدوا به فان لسان الحال افصح
من لسان المقال فصار ذلك احسن تدبير في امر الدين والعلم والعبادة واحكم رأي وان قيل
فما حال المريد مع المجتهدين والمرتاضين ايصحبهم ام يعتزلهم فاعلم انهم ان كانوا
ثابتين على رسومهم الاولية وسيرهم الموروثة عن سلفهم فهم اجل اخوان في الله
عز وجل واصحاب واعوان على عبادة الله سبحانه فلا يسعك عنهم عزلة وتفرد وانما مثلهم

مثل

مثل ما سمع عن ذهاد جبل لبنان وغيرهم ان منهم جماعات يتعاونون على البر والتقوى
ويتواصون بالحق والصبر واما اذا تغيروا وتركوا رسومهم واخلوا بطريقتهم الموروثة
عن اسلافهم الصالحين فحكم هذا المجتهد المرتاض معهم كحكمه مع سائر الناس يلزم زاويته
ويكف لسانه ويشاركهم في خيراتهم ويجانبهم في سائر احوالهم وآفاتهم فيكون في عزلة هو
من اهل العزلة منفردا عن المنفردين فان قلت فان اختار هذا المجتهد المرتاض ان يخرج
من بينهم الى مكان اخر لصلاح يراه في نفسه وتجنب آفة تدخل عليه في صحبتهم فاعلم ان هذه
المدارس والرباطات بمنزلة حصن يتحصن بها المجتهدون عن القطاع والسراق
وان الخارج بمنزلة الصحرى تدور فيه فرسان الشياطين عسكرا فعسكرا اشتباو تتناسق فتسلبه مع
فكيف حاله اذا خرج من الحصن الى الصحرى وتمكن العدو منه من كل جانب يعمل به ما شاء
فاذا ليس لهذا الضعيف الا لزوم الحصن واما الرجل القوي البصير الذي لا تغلبه
الاعداء واستوى عنده الحصن والصحرى فلا بأس عليه اذا خرج غير ان الكون في الحصن احوط
على كل حال اذ لا يؤمن القلتات والاتفاقات السوء واذا كان الامر بهذه المثابة فالكون
مع رجال الله والصبر على مشقة الصحبة اولى للمرتاض وطالب الخير بكل حال وان لا مانع للقوي
البالغ مبلغ الاستقامة عن التفرد منهم فاعلم هذه الجملة وتأملها تغنم وتسلم ان شاء الله
فان قيل فما تقول في زيارة الاخوان في الله عز وجل ومواصلة الاصحاب بالتلاقي والتذاكر
فاعلم ان زيارة الاخوان في الله عز وجل من جواهر عبادات الله سبحانه وفيها الزلفى
الكريمة الى الله عز وجل مع ما فيها من ضروب الفوائد وصلاح القلب لكن بشرطين
احدهما ان لا يخرج في ذلك الى الاكثار والافراط قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي هريرة زر غبا
تزدد حبا والثاني ان تحفظ حق ذلك بالتجنب عن الرياء والتزين وقول
اللغو والغيبة ونحو ذلك فيعود بذلك عليك وعلى اخيك الوبال فلقد حكي ان الفضيل
وسفيان رحمهما الله تذاكرا فبكيا فقال سفيان يا ابا علي ارجو انا ما جلسنا مجلسا ارجى

لنا من هذا فقال الفضيل ما جلست مجلسا اخوف علي منه هذا قال وكيف يا ابا علي قال الست
تعمد الى احسن حديثك فتحدثني به وانا اعمد الى احسن ما عندي فاحدثك به فتتزين
لي وتتزين لك فبكى سفيان فيجب ان تكون بمجالستك للاخوان ومكالمتك على مقدار وقصد
واحتياط ونظر لطيف فلا يقدح ذلك حينئذ في عزلتك وتفردك عن الناس ولا يعود — فلا يقدح ذلك في
عليك وعلى اخيك بضرر وآفة بل يجيء كثير ونفع عظيم والله الموفق فان قلت فما يبعثني
على العزلة عن الناس والتفرد ويهون علي ذلك فاعلم ان الذي يهون ذلك عليك ثلاثة — مطلب في علاج التعلق
امور احدها استغراق اوقاتك في العبادات فانك في العبادة تشتغل وان الاستيناس
بالناس من علامات الافلاس فاذا رايت نفسك تطلع الى ملاقاة الناس وكلامهم
من غير حاجة وضرورة فاعلم ان ذلك فضول سائق الفراغ والبطر لقد احسن من قال
في هذا المعنى ان الفراغ الى سلامتك فادني وكم تاتي على الفضول والفارغ فاذا ما عانقت
العبادة حقها وجدت حلاوة المناجاة واستانست بكتاب الله تعالى واشتغلت عن الخلق
واستوحشت من صحبتهم وكلامهم ففي الخبر ان موسى عليه السلام كان اذا رجع من المناجاة
يستوحش من الناس وكان يجعل اصبعيه في اذنيه لئلا يسمع كلامهم وكان كلامهم عنده في
في النفور والوحشة في ذلك الوقت كاصوات الحمير وعليك بما قاله بعضهم رحمه الله
اتخذ الله صاحبا وذر الناس جانبا والثاني قطع الطمع عنهم بمرة فيهون عليك امرهم
لان من لا ترجو نفعه ولا تخاف ضره فوجوده وعدمه سواء والثالث تبصر آفاتهم و...
وتتفكر في ذلك وتكرره على قلبك فان هذه الاذكار الثلاثة اذا لزمتها طردتك عن — ثم تذكره لك في
صحبة الخلق الى باب الله عز وجل والتفرد لعبادته وحببته اليك والزمتك بابه وبالله التوفيق والعصمة
العوائق الثالث الشيطان ثم عليك يا اخي بمحاربة الشيطان وقهره وذلك لخصلتين احدهما — بلغ مقابلة
انه عدو لا مطمع فيه لمصالحة وابقاء عليك بل لا يقنعه الا هلاكك اصلا فلا وجه اذا
للامن من مثل هذا العدو والغفلة عنه وتامل اثنين من كتاب الله سبحانه احدهما قوله الم
اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين الثانية قوله تعالى ان الشيطان
لكم عدو فاتخذوه عدوا هذا اقصى التحذير وغايته والخصلة الثانية انه مجبول على

عداوتك

عداوتك ومنتصب ابدا لمحاربتك فهو اناء الليل واطراف النهار يرميك بسهامه وانت غافل فكيف
يكون الحال ثم وقعت معك نكتة اخرى وهي انك في عبادة الله سبحانه ودعوة الخلق اليه بابه بفعلك
وقولك وهذا اضد صنيع الشيطان وهمه ومراده وحرفته فصرت كانك قمت وشددت وسطك
لتغايظ الشيطان ومكايده وتناقضه وهو ايضا يشد وسطه ليعاديك ويقاتلك ويماكرك
حتى يفسد عليك شانك بل حتى هكذا دايسا اذ لايا من جانبك بعد فانه الذي يسعى
ويقصد بالهلاك الى من لا يغايظه ولا يناقضه بل يصادقه ويوافقه كالكفار واهل
البدعة والضلالة واهل الرغبة في بعض الاحوال فكيف قصده لمن قام لمغايظته وتجرد لمناقضته
فلا اذا مع ساير الناس عداوة عامة ومعك ايها المجتهد في العبادة والعلم عداوة خاصة
وان امرك له مهم ومعه عليك اعوان اشدها عليك نفسك وهواك وله اسباب ومدام
وابواب وانت عنها غافل ولقد صدق يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله حيث قال الشيطان فارغ
وانت مشغول والشيطان يراك وانت لا تراه وانت تنساه وهو لا ينساك ومن نفسك للشيطان
عليك اعوان فاذا لا بد من محاربته وقهره والا فلا تامن الفساد والهلاك فان قلت
فباي شي احارب الشيطان وباي شي اقهره وادفعه فاعلم ان لاهل هذه الصناعة في هذه
المسئلة طريقين احدهما ما قال بعضهم ان التدبير في دفع الشيطان الاستعاذة بالله سبحانه لا
غير فان الشيطان كلب سلطه الله عليك فان اشتغلت بمحاربته ومعالجته تعبت وضاع عليك
وقتك وربما يظفر بك فيعقرك ويجرحك فان الرجوع الى رب الكلب ليصرفه عنك اولى
والثاني ما قال اخرون ان الطريق المجاهدة والقيام عليه بالدفع والرد والمخالفة والذي عندي
ان الطريق العدل الجامع في امره ان تجمع بين الطريقين فتستعيذ بالله تعالى اولا من شره
كما امرنا وهو الكافي شره ثم ان رايناه يغلب علينا علمنا انه ابتلاء من الله تعالى ليرى صدق
مجاهدتنا وقوتنا في امر الله تعالى وصبرنا كما انه يسلط علينا الكفار مع قدرته على كفاية
امرهم وشرهم ليكون لنا حظا من الجهاد والصبر والتمحيص والشهادة كما قال تعالى
وليعلم الذين امنوا ويتخذ منكم شهداء وقال الله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة
ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين فكذلك هذا ثم ان محاربته
وقهره فيما قاله علماؤنا في ثلاثة اشياء احدها ان تتعرف وتتعلم مكايده وحيله

فلا يتجاسر حينئذ عليك كاللص اذا علم ان صاحب الدار قد احس به فر والثاني ان تستخف بدعوته فلا تعلق قلبك بذلك وتتبعه فانه بمنزلة الكلب النابح ان اقبلت عليه ولع بك وان اعرضت عنه سكت والثالث ان تديم ذكر الله تعالى بلسانك وقلبك فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ذكر الله في جنب الشيطان كالاكلة في جنب ابن ادم وان قلت فكيف يعلم مكايده وكيف الطريق الى معرفة ذلك فاعلم ان له وساوس هي بمنزلة السهام التي يرميها وذلك انما يتبين لك بمعرفة الخواطر واقسامها والثاني ان له حيلا بمنزلة الشباك التي ينصبها الصياد ومعرفة المكايد ذلك يتبين بمعرفة المكايد واوضاعها ومجاريها ولقد ذكر علماؤنا ابوابا في الخواطر وقد صنفنا فيه كتابا وسميناه تلبيس ابليس وكتابنا هذا لا يحتمل الاكثار لكننا نذكر لك ان شاء الله تعالى من كل واحد منها اصلا كافيا اذا اعتصمت به كفاك بعون الله تعالى فاما اصل الخواطر فاعلم ان الله سبحانه وكل بقلب ابن ادم ملكا يدعوا الى الخير يقال له الملهم ولدعوته الهام وسلط في مقابلته شيطانا يدعوا الى الشر يقال له وسواس ولدعوته وسوسة فالملهم لا يدعو الا الى الخير والوسواس لا يدعوا الا الى الشر في قول اكثر علمائنا وقد حكي عن شيخنا رحمه الله ان الشيطان ربما يدعو الى الخير وقصده في ذلك الشر بان يدعوه الى المفضول ليمنعه عن الفاضل او يدعوه الى الخير ليجره الى ذنب عظيم لا يفي خيره بذلك الشر من عجب او غيره فهذان داعيان قايمان على قلبه يدعوانه وهو يسمع وقلبه يحس بذلك على ما روي في الخبر انه اذا ولد لابن ادم مولود قرن الله به ملكا وقرن الشيطان به شيطانا والملك جاثم على اذن قلبه الايمن والشيطان جاثم على اذن قلبه الايسر فهما يدعوانه قال النبي صلى الله عليه وسلم للشيطان لمة بابن ادم وللملك لمة يعني نزلة بالدعوة من قولهم لم بالمكان والم به اذا نزل به ثم وكبه

الولوع الكلب احسن

معرفة

في بنيه

في بنية الانسان طبيعة مايلة الى الشهوات ونيل اللذات كيف كانت من حرج او قبيح
فذلك هوى النفس الصارفة الى الافات فهذه ثلثة دعاة ثم اعلم بعد هذه المقدمة
ان الخواطر هي اثار تحدث في قلب العبد تبعثه على الافعال والتروك تدعوه اليها وسميت
خواطر لاضطرابها من خطرات الريح ونحوه وحدوثها جميعا في قلب العبد بالحقيقة
من الله تعالى لكنها اربعة اقسام منها ما يحدثه الله تعالى في القلب ابتداء فيقال له الخاطر
فقط وقسم يحدثه الله تعالى موافقا لطبع الانسان فيقال له هوى النفس
وينسب اليه وقسم يحدثه عقيب دعوة الملهم فينسب اليه فيقال له الالهام الالهام
وقسم يحدثه عقيب دعوة الشيطان فينسب اليه فيقال له الوسوسة وينسب اليه
بانها خواطر من الشيطان وانما هي في الحقيقة حادثة عند دعوته فهو كالسبب
في ذلك ولكنه ينسب اليه فهذه اربعة اقسام من الخواطر ثم اعلم بعد هذا التقسيم ان
الخاطر الذي هو من قبل الله تعالى ابتداء قد يكون بخير اكراما والزاما للحجة وقد يكون
بشر امتحانا وتغليظا للمحنة والخاطر الذي يكون من قبل الملهم لا يكون الا بخير
اذ هو ناصح مرشد لم يرسل الا لذلك والخاطر الذي يكون من الشيطان لا يكون
الا بشر اغواء واستزلالا وربما يكون بالخير مكرا واستدراجا والذي يكون من
قبل هوى النفس يكون بالشر وبما لا خير فيه تمتعا وتعسفا ولقد وجدت عن
بعض السلف ان هوى النفس ايضا قد يدعو الى الخير والمقصود منه شر كالشيطان
فهذه انواعها ثم بعد هذا فانك تحتاج الى معرفة ثلثة فصول لا بد لك منها البتة
لانها المقصود احدها الفرق بين خاطر الخير وخاطر الشر في الجملة والثاني الفرق بين
خاطر شر ابتدائي او شيطاني او هوائي بماذا يفرق بينهما فان كل واحد منها دفعا
من نوع اخر والثالث الفرق بين خاطر خير ابتدائي او الهامي او شيطاني او هوائي
ليتبع ما يكون من الله تعالى ومن الملهم ويجتنب ما يكون من الشيطان وكذلك الهوائي
على قول من يقول به فاما الفصل الاول قال علماؤنا رضي الله عنهم اذا اردت ان تعرف

خاطر الخير من خاطر الشر وتفرق بينهما فزنه باحدى الموازين الثلاثة يتبين لك حاله فالاول
ان تعرض الامر الذى خطر ببالك على الشرع فان وافق جنسه فهو خير وان كان بالضد برخصة
او شبهة فهو شر فان لم يستبين لك بهذا الميزان فاعرضه على الاقتداء فان كان فى فعله اقتداء
بالصالحين فهو خير وان كان بالضد اتباعا للطالحين فهو شر فان لم يستبين لك بهذا
الميزان فاعرضه على النفس والهوى فانظر ان كان مما تنفر عنه النفس نفرة طبع لا نفرة
خشية وترهيب فهو خير وان كان مما تميل اليه النفس ميل طبع وجبلة لا ميل رجاء الى الله
وترغيب فهو شر اذ النفس الامارة بالسوء لا تميل باصلها الى خير وباحد هذه الموازين
اذا نظرت وامعنت النظر يتبين لك خاطر الخير من خاطر الشر والله ولى الهداية بفضله انه
جواد كريم واما الفصل الثانى اذا اردت ان تفرق بين خاطر شر يكون من قبل الشيطان
وبين خاطر شر يكون من قبل هوى النفس او من الله ابتداء فانظر فيه من ثلاثة اوجه احدها
ان وجدته مصمما دائبا على حالة واحدة فهو من الله تعالى او من هوى النفس وان وجدته
مترددا مضطربا فاعلم انه من الشيطان وكان بعض العارفين يقول مثل هوى النفس
مثل النمر اذا حارب لا ينصرف الا بفتح بالغ وقهر ظاهر او مثل الخارجى الذى يقاتل تدينا
لا يكاد يرجع حتى يقتل ومثل الشيطان مثل الذيب اذا طردته من جانب دخل من جانب
الاخر وثانيها ان وجدته عقيب ذنب احدثته فهو من الله تعالى اهانة وعقوبة
بشوم ذلك الذنب قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قال شيخ الاسلام
رحمه الله نعم هكذا تؤدى الذنوب الى قسوة القلب اولها خاطر ثم يؤدى الى القسوة
والرين وان كان هذا الخاطر مبتدا لا عقيب ذنب كان منك فاعلم انه من قبل الشيطان
هذا فى الاكثر لانه يبتدئ بدعوة الشر ويطلب الاغواء بكل حال والثالث ان وجدته
لا يضعف ولا يقل بذكر الله تعالى فهو من الهوى وان وجدته يضعف ويقل بذكر
الله سبحانه فهو من الشيطان كما ذكر فى تفسير قوله تعالى من شر الوسواس الخناس
ان الشيطان جاثم على قلب ابن ادم اذا ذكر الله تعالى خنس واذا غفل وسوس
واما الفصل الثالث اذا اردت ان تفرق بين خاطر خير يكون من الله تعالى او من

او من الملك فانظر في ذلك من ثلاثة اوجه احدها ان كان قويا مصمما فهو من الله تعالى وان كان
مترددا فهو من الملك اذ هو بمنزلة ناصح يدخل معك من كل وجه ويعرض عليك كل نصح رجاء اجابتك
ورغبتك في الخير والثاني ان كان عقيب اجتهاد منك في طاعة فهو من الله تعالى عز وجل
قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم
تقواهم وان كان ابتداء فهو من الملك في الاغلب والثالث ان كان في الاصول
والاعمال الباطنة فهو من الله سبحانه وان كان في الفروع والاعمال الظاهرة فهو من الملك
في الاكثر اذ الملك لا سبيل له الى معرفة باطن العبد في قول اكثرهم واما خاطر الخير الذي
يكون من قبل الشيطان استدراجا الى شر يربى عليه فقد قال شيخنا رحمه الله انظر ان وجدت
نفسك في ذلك الفعل الذي خطر بقلبك فعله مع نشاط لا مع خشية ومع عجلة لا مع
تأن ومع امن لا مع خوف ومع عمى في العاقبة لا مع بصيرة فاعلم انه من الشيطان فاجتنبه
وان وجدت نفسك على ضد ذلك مع خشية لا مع نشاط ومع تأن لا مع عجلة ومع خوف
لا مع امن ومع بصارة العاقبة لا مع عمى فاعلم انه من الله عز وجل او من الملك قلت انا
وكان النشاط خفة في الانسان للفعل من غير بصيرة وذكر ثواب بنشطه في ذلك
اما التأني فمحمود الا في مواضع معدودة وذكر في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال العجلة
من عمل الشيطان الا في خمسة مواضع تزويج البكر اذا ادركت وقضاء الدين اذا وجب
وتجهيز الميت اذا مات وقرى الضيف اذا نزل والتوبة من الذنب اذا اذنب واما الخوف
معه فيحتمل ان يكون في اتمامه وادائه على وجهه وحقه وقبول الله عز وجل اياه واما
بصارة العاقبة بان يتبصر ويتيقن انه رشد وخير ويحتمل لرؤية الثواب في العقبى
ورجاؤه فاعلم ذلك موفقا ان شاء الله تعالى فهذه الفصول الثلاثة التي لزمتك معرفتها
في فصل الخواطر فادعها وامعن النظر فيها ما استطعت فانها من العلوم اللطيفة والاسرار
الشريفة في هذا الباب والله الموفق بفضله واما فصل الحيل والخادعات من الشيطان

فجرى ذلك ومثاله ان يكايد الشيطان مع ابن ادم في فعله الطاعة من سبعة اوجه وهو ان ينهاه
عنها فان عصمه الله ورده بان قال اني لمحتاج الى ذلك جداً اذ لا بد لي من التزود من هذه الدنيا
الفانية للاخرة التي لا انقضاء لها ثم يامره بالتسويف فان عصمه الله عز وجل ورده بان قال
ليس اجلي بيدي على اني ان سوفت عمل اليوم الى غد فعمل الغد متى اعمله فان لكل يوم عملا ثم يامره
بالعجلة فيقول اعجل اعجل لتتفرغ لكذا وكذا فان عصمه الله ورده بان قال قليل العمل مع التمام بيانه لتفرغ
خير من كثيره مع النقصان ثم يامره باتمام العمل مرائيا للناس فان عصمه الله عز وجل ورده
بان قال ايش اعمل بمراءاة الناس افلا يكفيني رؤية الله سبحانه ثم يريد ان يوقعه في العجب
فيقول ما اعظم عملك وايقظك فان عصمه الله ورده بان قال المنة لله عز وجل في ذلك دوني
فهو الذي خصني بتوفيقه وجعل لعملي قيمة بفضله فلولا فضله لما كان قيمة على هذا في جنب
نعم الله علي وجنب معصيتي له ثم ياتيه من وجه سادس وهو اعظمها ولا يقف عليه الا كل
متيقظ وهو ان يقول اجتهد انت في السر فان الله تعالى سيظهره عليك ويلبسن كل عامل عمله
واراد بذلك ضربا من الريا فان عصمه الله ورده بان قال يا ملعون الى الان كنت تاتيني
من وجه افساد عملي والان تأتيني من وجه اخلاصه لتفسده انما انا عبد الله تعالى وهو
سيدي ان شاء اظهر وان شاء اخفى وان شاء جعلني خطيرا وان شاء جعلني حقيرا
وذلك اليه ما ابالي ان اظهر ذلك للناس او لم يظهر فليس بايديهم شيء ثم ياتيه من وجه
سابع ويقول لا حاجة لك الى هذا العمل لانك ان خلقت سعيدا لم يضرك ترك العمل
وان خلقت شقيا لم ينفعك فعله فان عصمه الله ورده بان قال انما انا عبد وعلى
العبد امتثال الامر لعبوديته والرب اعلم بربوبيته يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد ولانه
ينفعني العمل كيف ما كنت لاني ان كنت سعيدا احتجت اليه لزيادة الثواب وان كنت
شقيا فانا محتاج اليه كي لا الوم نفسي على ان الله عز وجل لا يعاقبني على الطاعة بكل حال
ولا يضرني على اني ان دخلت النار وانا مطيع احب الي من ان ادخلها وانا عاص فكيف ووعده
حق وقوله صدق وقد وعد على الطاعة بالثواب فمن لقي الله تعالى على الايمان والطاعة
لم يدخل النار ابدا البتة ودخل الجنة لا لاستحقاقه لاستحقاقه بعمل الجنة ولكن لوعده الصادق

ولهذا

ولهذا المعنى اخبر الله عز وجل عن السعداء اذ قالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده فتيقظ
رحمك الله فان الامر كما ترى وتسمع وقس عليه ساير الاعمال والاحوال واستعن بالله
عز وجل واستعذ به فان الامر بيده ومنه التوفيق ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

العايق الرابع النفس ثم عليك عصمك الله وايانا بالحذر من هذه النفس الامارة
بالسوء فانها اضر الاعداء وبلاؤها اصعب البلاء وعلاجها اعسر الاشياء وداؤها
اعضل الداء ودواؤها اشكل الدواء وانما ذلك لامرين احدهما انها عدو من داخل
الجسد واللص اذا كان من داخل البيت عزت الحيلة فيه وعظم الضرر ولقد صدق القايل
نفسي الى ما ضرني داعي تكثر اسقامي واوجاعي كيف احتيالي من عدوي اذا كان عدوي بين اضلاعي
والثاني انها عدو محبوب والانسان اعمى عن عيب محبوبه لا يكاد يبصر عيبه كما قال
القايل وعين الرضى عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدى المساويا فاذا يستحسن
الانسان من نفسه كل قبيح ولا يكاد يطلع لها على عيب وهي في عداوتها واضرارها فما
اوشك ان توقعه في فضيحة وهلاك وهو لا يشعر الا ان يحفظ الله عز وجل
بفضله ويعين عليها برحمته ثم اقول تامل ايها الرجل نكتة واحدة مقنعة وهي انك
اذا نظرت وجدت اصل كل آفة وفتنة وفضيحة وخزي وهلاك وذنب وقع
في خلق الله تعالى من اول الخلق الى يوم القيامة من قبل هذه النفس اما بها وحدها
او بمعونتها ومشاركتها ومساعدتها فاول المعصية لله تعالى كانت من ابليس وكان
سببه بعد القضاء السابق هوى النفس بكبرها وحسدها الفتنة بعد عبادة ثمانين
الف سنة على ما قيل في بحر الضلال فغرق الى ابد الآبدين اذ لم يكن هناك دنيا
ولا خلق ولا شيطان بل كانت النفس بكبرها وحسدها فعملت به ما عملت
ثم ذنب آدم وحوا عليهما السلام طرحتهما شهوة النفس في ذلك وحرصها
على البقاء والحياة حتى اغترا بقول ابليس وكان ذلك اذا بعون النفس وشركتها
حتى سقط بذلك من جوار الله تعالى وقرار الفردوس الى هذه الدنيا الحقيرة والنكدة
المهلكة الفانية ولقي من ذلك اليوم الى الابد الابدين ثم حديث هابيل

الفتنه بيان

بجل

وقابيل كان السبب بالجسد والنسخ ثم حديث هاروت وماروت كان السبب في امرهما الشهوة
ثم هلم جرا الى يوم القيامة فلا تجد في الخلق فتنة ولا فضيحة ولا ضلالا ولا معصية الا واصلها
النفس وهواها والا كان لحق الخلق في سلامة وخير واذا كان الانسان قد عرف من نفسه
هذا الضرر كله فحق للعاقل ان يهتم بامره والله تعالى ولي التوفيق والهداية بفضله
فان قلت فما الحيلة اذا لنا في هذا العدو وما التدبير في امره فبين لنا ذلك فاعلم انا
ذكرنا فيما تقدم ان امرها عسير صعب اذ لا يمكن قهرها بمرة كسائر الاعداء اذ هي
المطية والالة قيل ان اعرابيا دعا لانسان بخير فقال كبت الله كل عدو لك الا نفسك
الا نفسك ولا يمكن اهمالها بمرة لمكان ضررها فتحتاج الى طريق بين طريقين فكي
نربيها وتقويها بقدر ما يحتمل فعل الخير وتضعفها وتحبسها على حد لا تتمادى فانت
من امرها في علاج شديد ونظر لطيف ثم قد ذكرنا في امرها ان نلجمها بلجام التقوى
والورع لتحصل الفائدتين جميعا فان قيل هذه دابة جموح وبهيمة صعبة شكسة لا
تنقاد للجام فما الحيلة فيها حتى يملكها زمامها فاعلم انك لصادق والحيلة في تذليلها
حتى تنقاد للجام قال علماؤنا رحمهم الله انما تذل النفس وتكسر هواها بثلاثة
اشياء احدها منع الشهوات فان الدابة الجموح تلين اذا نقص من علفها والثاني
حمل اثقال العبادات عليها فان الحمار اذا زيد في حمله مع النقصان من علفه ذل بذلك
وانقاد والثالث الاستعانة بالله عز وجل والتضرع اليه بان يعينك والا
فلا مخلص اما تسمع قوله تعالى ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي فاذا واظبت
على هذه الاسور الثلاثة انقادت لك النفس الجموح باذن الله عز وجل فحينئذ تبادر الى
تملكها وتلجمها فتامن من شرها فان قلت فبين الآن ما هو التقوى حتى
نعلم فاعلم اولا ان التقوى كنز عزيز فلئن ظفرت به فكم تجد فيه من جوهر شريف
وعلق نفيس وخير كثير ورزق كريم وفوز كبير وغنم جسيم وملك عظيم وكان
خيرات الدنيا والاخرة جمعت فجعلت تحت هذه الخصلة الواحدة التي هي التقوى

وتامل

وتأمل في القرآن من ذكرها كم علق بها من خير وكم وعد عليها من ثواب وكم أضاف إليها من
سعادة وانا اعدّ لك من جملتها اثني عشر خصلة اولها المدحة والثناء قوله تعالى وان تصبروا
وتتقوا فان ذلك من عزم الامور والثاني الحفظ والحراسة من الاعداء في قوله تعالى وان
تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم والثالث التأييد والنصرة قال الله تعالى ان الله مع
الذين اتقوا والذين هم محسنون وقوله تعالى والله ولي المتقين وقوله ان الله مع
المتقين والرابع النجاة من الشدائد والرزق من الحلال قال تعالى ومن يتق الله يجعل
له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب والخامس اصلاح العمل قال تعالى يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم والسادس غفر الذنوب قال تعالى
ويغفر لكم ذنوبكم السابع محبة الله عز وجل قال تعالى ان الله يحب المتقين الثامن
القبول قال تعالى انما يتقبل الله من المتقين التاسع الاعزاز والاكرام قال تعالى ان اكرمكم
عند الله اتقاكم والعاشر البشارة عند الموت قال الله تعالى الذين آمنوا وكانوا يتقون
لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة الحادي عشر النجاة من النار قال الله تعالى ثم ننجي
الذين اتقوا وسيجنبها الاتقى والثاني عشر الخلود في الجنة قال تعالى اعدت للمتقين
فكل خير وسعادة في الدارين تحت هذه التقوى فلا تنس نصيبك ايها الرجل منها ثم الذي
يختص به هذا الشأن من امر العبادة ثلاثة اصول احدها التوفيق والتأييد اولا
وهو للمتقين كما قال تعالى ان الله مع المتقين الثاني اصلاح العمل واتمام التقصير وهو
للمتقين كما قال تعالى يصلح لكم اعمالكم الثالث قبول العمل وهو للمتقين كما قال تعالى
انما يتقبل الله من المتقين ومدار العبادة على هذه الامور الثلاثة التوفيق اولا
حتى يعمل ثم اصلاح التقصير حتى يتم ثم القبول اذا تم وهذه الثلاثة التي تتضرع فيها
العابدون الى الله عز وجل ويسألون فيقولون ربنا وفقنا لطاعتك واتمم تقصيرنا
وتقبل منا وقد وعد الله سبحانه ذلك كله على التقوى واكرم بها المتقي سأل او لم يسأل

فعليك بهذه التقوى ان اردت عبادة الله تعالى بل ان اردت سعادة الدنيا والاخرة فعليك
بهذه التقوى فلقد صدق القائل من اتقى الله فذاك الذي سيق اليه المتجر الرابح والقائل ايضا
من عرف الله فلم تغنه معرفة الله فذاك الشقي ما يصنع العبد بعز الغنا والعز كل العز للمتقي
ما ضر ذا الطاعة ما ناله في طاعة الله وماذا لقي كتب على بعض القبور اذن حتى تسمع واسمع
ثم عِ وعي ليس زاد سوى التقى فخذي منه اودعي ثم تامل اصلا واحدا وهو انك
تعبت جميع عمرك في العبادة وجاهدت وكابدت حتى حصل لك ما تمنيت اليس الشان
كله في القبول وقد علمت ان الله عز وجل قال انما يتقبل الله من المتقين فرجع الامر كله
الى التقوى ولذلك روي عن عايشة رضي الله عنها انها قالت ما اعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم
بشيء من الدنيا ولا اعجبه احد الا ذو تقى وعن قتادة انه مكتوب في التورات يا ابن ادم اتق الله
و نم حيث شئت وبلغني عن عامر بن قيس انه بكى عند موته فكان يصلي كل يوم وليلة
الف ركعة ثم ياتي الى فراشه فيقول يا ماوى كل شر والله ما رضيتك لله طرفة عين فبكى
يوما فقيل له ما يبكيك فقال قوله عز وجل انما يتقبل الله من المتقين ثم تامل نكتة اخرى
وهي اصل الاصول وهو ما ذكره بعض الصالحين قال لبعض اشياخه اوصني بوصية قال
اوصيك بوصية الله تعالى للاولين والاخرين فقال تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم واياكم ان اتقوا الله فقلت انا اليس الله سبحانه اعلم بصالح العبد من كل احد اوليس هو
سبحانه انصح له وارأف وارحم من كل احد ولو كانت في العالم خصلة هي اصلح للعبد واجمع
للخير واعظم للاجر واجل في العبودية واعظم في القدر واولى بالحال وانجح للامال
من هذه الخصلة التي هي التقوى لكان الله عز وجل امر بها عباده واوصى خواصه
بذلك لكمال حكمته وسعة رحمته عز وجل فلما اوصى بهذه الخصلة الواحدة وجمع
الاولين والاخرين من عباده في ذلك واقتصر عليها فعلمنا انها الغاية التي لا متجاوز
عنها ولا مقتصر دونها وانه عز وجل قد جمع كل نصح ودلالة وارشاد وتلقين وتنبيه
وتاديب وتعليم وتهذيب في هذه الوصية الواحدة كما يليق بحكمته ورحمته وعلمت
ان هذه الخصلة هي الجامعة لخير الدنيا والاخرة الكافية لجميع المهمات المبلغة الى اعلى

الدرجات

الدرجاة في العبودية وهذا اصل لا مزيد عليه وفيه كفاية لمن ابصر النور واهتدى
وعمل بذلك واستغنى والله ولي الهداية والتوفيق بفضله ومنه فان قلت لقد عظم
قدر هذه الخصلة وجل موقعها واشتدت الحاجة اليها والى معرفتها فلا بد الان
من تفصيلها فاعلم ان الامر كذلك فحق لها ان يجل قدرها ويلزم طلبها ويشتق
الى علمها ولكنك تعلم ان كل خطير وكبير يحتاج في اجتلابها الى طلب كثير وتعب كبير
خطير [illegible]
وهمة عالية وجهد شديد فاذا كان ان هذه الخصلة خصلة عظيمة كبيرة فالمجاهدة
في طلبها والقيام بحقها والعناية في تحصيلها ايضا لفعل كبير وشان عظيم فان
المكارم على حسب المكاره وان اللذات على حسب المؤنات والله تعالى يقول والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين وان الله هو الرؤوف الرحيم
الذي بيده تيسير كل عسير فاستمع وتنبه وتفهم حد بيان هذه الخصلة حتى
تعلمها ثم تشمر للقيام واستعن بالله عز وجل حتى تعمل بما تعلم فان الشان
كله في ذلك والله عز وجل ولي التوفيق والعصمة بفضله فنقول اعلم اولا ان التقوى
في قول شيوخنا رحمه الله هو تبرية القلب عن ذنب لم يسبق عنك مثله حتى يحصل العبد
من قوة العظم العزم على تركه وقاية بينه وبين المعاصي هكذا قال شيخنا وذلك
ان اصل لفظة التقوى في اللغة هو الوقوى بالواو وهو مصدر الوقاية يقال
وقى يقي وقاية فابدلت من الواو تاء كما هو في الوكلان والتكلان ونحوهما فقيل
تقوى فاذا لما حصلت وقاية بين العبد وبين المعاصي من قوة عزمه على تركها
وتوطين قلبه على ذلك فيوصف حينئذ بانه متق ويقال لذلك التبرية والعزم
والتوطين تقوى والتقوى في القران تطلق على ثلثة اشياء احدها بمعنى الخشية
والهيبة قال الله تعالى واياي فاتقون وقال تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه
الى الله والثاني بمعنى الطاعة والعبادة قال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته
قال ابن عباس رضي الله عنهما اطيعوا الله حق طاعته قال مجاهد رحمه الله هو ان
يطاع فلا يعصى وان يذكر فلا ينسى وان يشكر فلا يكفر والثالث بمعنى تبرية القلب

عن الذنوب وهذه هي الحقيقة في التقوى دون الاولى الا ترى ان الله تعالى قال ومن يطع الله
ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون ذكر الطاعة والخشية ثم ذكر التقوى
فعلمت ان حقيقة التقوى معنى سوى الطاعة والخشية وهي تنزه القلب عما ذكرناه
ثم قالوا منازل التقوى ثلاثة تقوى عن الشرك وتقوى عن البدعة وتقوى عن المعاصي
الفرعية ولقد ذكرها الله سبحانه في اية واحدة هي قوله تعالى ليس على الذين امنوا
وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا
وامنوا ثم اتقوا واحسنوا فالتقوى الاولى تقوى عن الشرك والايمان في مقابلة
التوحيد والتقوى الثاني عن البدعة والايمان الذي ذكر معها اقرار
بالسنة والجماعة والتقوى الثالث عن المعاصي الفرعية ولا اقرار في هذه
المنزلة فقابلها بالاحسان وهو الطاعة والاستقامة عليها فيكون بمنزلة
مستقيم الطاعة فالاية قد جمعت ذكر المنازل الثلاثة منزلة الايمان ومنزلة
السنة ومنزلة الاستقامة الطاعة فهذا ما قاله العلماء في بيان معنى التقوى
قلت انا وجدت التقوى بمعنى اجتناب فضول الحلال وهو ما روي في الخبر المشهور
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انما سمي المتقون متقين لتركهم ما لا باس به
حذرا عما به باس فاجبت بان اجمع بين ما قاله علماؤنا وبين ما جاء في الخبر
عن النبي صلى الله عليه وسلم فيكون حدا جامعا ومعنى بالغا فاقول التقوى هو اجتناب
كل ما تخاف منه ضررا في دينك الا ترى انه يقال للمريض المحتمي انه يتقي اذا اجتنب
كل شيء يضره في بدنه من طعام او شراب او فاكهة او غيرها ثم الذي يخاف منه
الضرر في امر الدين قسمان محض الحرام والمعصية وفضول الحلال لان
الاشتغال بفضول الحلال والانهماك فيه يستجر صاحبه الى الحرام والعصيان محض
وذلك لشره النفس وطغيانها وتمرد الهوى وعصيانه فمن اراد ان يامن
الضرر في امر دينه اجتنب الخطر فامتنع عن فضول الحلال حذرا ان يجره
الى الحرام بل الى محض الحرام على ما قال صلى الله عليه وسلم لتركهم ما لا باس به حذرا
عما به باس يعني لتركهم فضول الحلال حذرا خوفا من الوقوع في الحرام فالتقوى
الجامعة البالغة اجتناب كل ما فيه ضرر لامر الدين وهو المعصية والفضول

فهذا

24

التقوى

فهذا تفصيلها وأما اذا اردنا تحديدها على موضوع علم الشرع فنقول هو التقوى الجامع تنزيه القلب عن شر لم يسبق عنك مثله بقوة العزم على تركه حتى يصير ذلك وقاية بينك وبين كل شر ثم الشر وكلها اضربان شر اصلي وهو ما نهي عنه كالمعاصي المحضة وشر غير اصلي وهو ما نهي عنه تأديبا وهو فضول الحلال كالمباحات المأخوذة بالشهوات فالاولى تقوى فرض يلزم بتركها عذاب النار والثانية تقوى خير وادب يلزم بتركها الحبس والحساب والتعيير عليه واللوم فمن اتى بالاولى فهو في الدرجة الادنى من التقوى وهي منزلة مستقيم الطاعة ومن اتى بالاخرى فهو في الدرجة العليا من التقوى وذلك بمنزلة مستقيم المباح فاذا جمع العبد بينهما على الاجتناب كل معصية وفضول فقد استكمل معنى التقوى وقام بحقها وجمع كل خير فيها وهذا هو الورع الكامل الذى هو ملاك امر الدين وذلك منزلة الادب على باب الله سبحانه وتعالى فهذا معنى التقوى وبيانها في الجملة فان قلت فصل لنا الان هذا المعنى في النفس واستعماله فيها فان الحاجة دعت من هناك لنعلم كيف تلجم هذه النفس بهذا المعنى الذى فصلت من حقيقة التقوى فاقول اجل اعلم ان تفصيله في امر هذا النفس ان تقوم عليها بقوة العزم فتمنعها عن كل معصية وتصونها عن كل فضول فاذا فعلت ذلك كنت قد اتقيت الله عز وجل في عينيك واذنيك ولسانك وقلبك وبطنك وفرجك وجميع جوارحك واركانها والجمتها بلجام التقوى ولهذا الباب شرح يطول وقد اشرنا اليه في احيا علوم الدين واما الذى لابد منه ههنا فنقول لكل من اراد ان يتقي الله عز وجل فليراع الاعضاء الخمسة فانهن الاصول وهي العين والاذن واللسان والقلب والبطن فيحترس عليها بالصيانة لها عن كل ما يخاف منه ضرر في امر الدين من معصية وحرام وفضول واسراف من حلال فاذا حصل صيانة هذه الاعضاء فمرجو ان يكفي ساير اركانه ويكون قد قام بالتقوى الجامعة لجميع بدنه انشاء الله تعالى فدعت الحاجة الى بيان خمسة فصول لهذه الاعضاء وتفصيل ما يجري في حق كل واحد منها على قدر ما يليق بهذا الكتاب الفصل الاول العين ثم عليك وفقك الله وايانا بحفظ

العين فانها سبب كل فتنة وافة واذكر في امرها ثلثة اصول كافية احدها قوله تعالى قل للمؤمنين
يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون واعلم انى تاملت
هذه الاية الكريمة فوجدت فيها مع قصرها ثلث معان عزيزة تاديب وتنبيه وتهديد
فاما التاديب فقوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ولا بد للعبد من امتثال امر السيد
والتاديب بادبه والا فيكون سيئ الادب فيحجب ولا يوذن له في حضور المجلس والمثوي
بالحضرة فافهم هذه النكتة وتامل ما تحتها والمثوي والمثوي المجلس والمثوب بالحضرة فافهم
فيها ما فيها واما التنبيه فقوله تعالى ذلك ازكى لهم يطلق على معنيين احدهما والله اعلم اي ذلك فائدة
اطهر لقلوبهم والزكاة الطهارة والتزكية التطهير والثاني ذلك انمى لخيرهم واكثر لان الزكاة
في الاصل النمو فنبه على ان في غض البصر تطهير القلب وتكثير الطاعة والخير وذلك انك
ان لم تغض بصرك وارخيت عنانه تنظر الى ما لا يعنيك ولا يخلو ان تقع عينك على حرام
فان تعمدت فذنب كبير وربما تعلق قلبك بذلك فتهلك ان لم يرحم الله تعالى فلقد روي
ان العبد لينظر النظر فينغل بها قلبه كما ينغل الاديم في الدباغ لا ينتفع به ابدا وان كان
مباحا فربما يشتغل قلبك به فجاءك الوسواس والخواطر بسببه ولعلك لا تصل اليه
فيبقى مشغول القلب منقطعا عن الخير وان كنت لم تر ذلك كنت مستريحا عن ذلك كله وفي
هذا المعنى ذكر عن عيسى عليه السلام اياكم والنظرة فانها تزرع في القلب الشهوة وكفى بها
لصاحبها فتنة وقال ذو النون المصري نعم حاجب الشهوات غض الابصار ولقد
احسن القائل في المعنى وانت اذا ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر
رايت الذي لا كله انت قادر عليه ولا عن بعضه انت صابر فاذا لما كنت غاض البصر
حافظا للعين لا تنظر الى ما لا يعنيك ولا يهمك كنت نقي الصدر فارغ القلب مستريحا
عن كثير من الوسواس سالم النفس من الافات متزايدا في الخيرات فتنبه لهذه النكتة الجامعة
والله الموفق بمنه واما التهديد فقوله تعالى والله خبير بما يصنعون وقال تعالى يعلم خائنة

المثوي المجلس والمعقود بالحضرة قوم

الاعين وما تخفي الصدور وكفى بهذا تحذيرا لمن خاف مقام ربه فهذا اصل واحد من
كتاب الله تعالى والاصل الثاني ما روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان النظرة
الى محاسن المراة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها اذاقه الله عز وجل طعم عبادة
تسره وان وجدان حلاوة العبادة ولذة المناجات من العابدين بمكان وهذا
شيء مجرب علمه وحققه من عمل به لانه اذا امتنع عن النظر الى ما لا يعنيه يجد لذة
العبادة وحلاوة وللقلب صفوة لم يجد قبل والاصل الثالث ان تنظر الى كل عضو
من اعضائك يصلح لما ذا خلق وينظر له ماذا فعل فعلى حسب ذلك تصونه وتحفظه فالرجل
للمشي في رياض الجنة وقصودها واليد لكاس الشراب وفي تناول الثمار وكذلك في ساير الاعضاء
فالعين انما هي للنظر الى رب العالمين سبحانه وتعالى وليس في الدارين من كرامة اجل واكبر من ذلك
فحقيق لشيء ينتظر ويرجى له مثل هذه الكرامة ان يصان ويحفظ وينزه ويكرم فهذه الاصول
الثلاثة اذا احسنت التامل فيها كفتك المؤنة في هذا الفصل والله ولي التوفيق بمنه وكرمه
الفصل الثاني الاذن فعليك بصيانة سمعك عن الخنا والفضول وذلك لامرين
احدهما ان المستمع شريك المتكلم وفي ذلك يقول القائل تحر من الطرق اوساطها
وعد عن الجانب المشتبه وسمعك عن سماع القبيح كصون اللسان عن النطق به
فانك عند سماع القبيح شريك لقائله فانتبه والثاني ان ذلك يهيج الخواطر والوساوس
في القلب ثم من ذلك يبدأ والاشتغال في البدن فلا يبقى للعبادة شيء ثم اعلم ان الكلام
الذي يقع في القلب الانسان وسمعه بمنزلة الطعام الذي يقع في جوفه فمنه الضار ومنه
النافع ومنه الغذا ومنه السم بل ابقاء الكلام وتجرعه ابلغ واكثر فان الطعام يزول عن المعدة
بنوم وغيره وربما بما يبقى اثره من جسم الانسان واما الكلام الذي وقع في قلب الانسان
ربما يبقى معه جميع عمره ولا ينساه فان كان شيئا رديا فلا يزال يتبعه ويعيبه وتردبه
خواطر في القلب ووساوس فيحتاج ان يعرض عنها ويجتهد بقلبه عن تفكرها
ويستعيذ بالله عز وجل من شرها ولوياء من ان تحله على بلية وتحركه حتى يقع في اخر
الامر في آفة عظيمة بسبب ذلك ولو كنت حفظت سمعك عما لا يعنيك كنت عن هذه المؤن

ويجدل ح

مستويحًا فلينظر العاقل في ذلك وبالله التوفيق الفصل الثالث اللسان ثم عليك بحفظ اللسان وضبطه وتقييده فانه اشد الاعضاء جماحًا وطغيانًا واكثرها فسادًا وعدوانًا ولقد روينا عن سفيان بن عبد الله انه قال قلت يا رسول الله ما اكثر ما تخاف علي فاخذ عليه الصلاة والسلام بلسانه ثم قال هذا وعن يونس بن عبد الله قال اني وجدت نفسي تحمل مؤنة الصوم في الحر الشديد بالبصرة ولا تحمل ترك كلمة لا تعنيها فعليك اذًا بالتحفظ جدًا وبذل المجهود وتذكر حسنة اصول احدها ما روى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه ان ابن آدم اذا اصبح تكفر الاعضاء كلها الى اللسان وتقول نشدك الله العظيم ان تستقيم فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا قلت والمعنى فيه والله اعلم ان نطق اللسان يؤثر في الاعضاء الانسان بالتوفيق والخذلان ويؤكد هذا المعنى ما حكي عن مالك ابن دينار رحمه الله قال اذا رايت قساوة في قلبك ووهنًا في بدنك وحرمانًا في رزقك فاعلم انك قد تكلمت فيما لا يعنيك والاصل الثاني حفظ وقتك فان اكثر ما يتكلم الانسان به من غير ذكر الله عز وجل فعلى الاكثر يكون ذنبًا يسئل عنه وعلى الاقل يكون لغوًا يضيع به الوقت وذكر ان حسان بن ابي سنان مر على غرفة بنيت فقال مذكم بنيت هذه ثم اقبل على نفسه فقال يا نفس المغرور تسألين عما لا يعنيك وعاقبها بصوم سنة قلت فيا طوبى للمهتمين بانفسهم ويا ويح للغافلين الذين خلعوا العذار وارخوا العنان والله المستعان ولقد صدق القائل حيث يقول اغتنم ركعتين في ظلمة الليل اذا كنت خاليا مستريحا واذا هممت باللغو في الباطل فاجعل مكانه تسبيحا فلزوم السكوت خير من النطوع وان كنت في الكلام فصيحًا والاصل الثالث حفظ الاعمال الصالحة فان من لم يحفظ لسانه واكثر الكلام يقع لا محالة في غيبة الناس كما قيل من كثر لغطه كثر سقطه والغيبة هي الصاعقة المهلكة للطاعات على ما قيل ان مثل من يغتاب الناس مثل من نصب منجنيقًا فهو يرمي به حسناته شرقًا وغربًا يمينًا وشمالًا وبلغنا عن الحسن انه قيل له يا ابا سعيد ان فلانًا اغتابك فبعث اليه بطبق فيه رطب وقال بلغني انك اهديت الي حسناتك فاحببت ان اكافيك وذكرت الغيبة عند عبد الله بن المبارك فقال لو كنت مغتابًا لاغتبت امي لانها احق بحسناتي وذكر عن حاتم الاصم انه فاته القيام ليلة فعيرته زوجته فقال ان اقوامًا صلوا

انّ

البارحة

26

البارحة بالليل فلما اصبحوا انا لوامتى فتكون صلوتهم يوم القيامة في ميزاني والاصل الرابع السلامة من افات الدنيا على ما قال سفيان لا تتكلم بلسانك ما تكسر به اسنانك وقال اخر لا يبسطن لسانك فيفسد عليك شانك وقال اخر احفظ لسانك ان تقول فتبتلى ان البلاء موكل بالمنطق ولابن مبارك رحمه الله احفظ لسانك انه سريع الى المرء قتله وان اللسان دليل الفؤاد يدل الرجال على عقله ولابن مطيع لسان المرء ليث في كمين اذا خلى عنه فقد اغاره تنبه عن الخنا بلجام الصمت تكن لك من بليات ستاره وفي المثل رب كلمة تقول لصاحبها دعني والاصل الخامس ذكر آفات الاخرة وعاقبتها واذكر فيه نكتة واحدة وهي انه لا يخلوا اما ان تقول قولا محظورا حراما او قولا مباحا من تصور ما لا يعنيك فان كان محظورا ففيه من عذاب الله تعالى ما لا طاقة لك به فلقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ليلة اسرى بي الى السماء رأيت في النار اقواما يأكلون الجيفة فقلت يا جبرائيل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ اقطع لسانك عن حملة القران وطلاب العلم ولا تمزق الناس بلسانك فتمزقك كلاب النار وعن ابي قلابة ان في الغيبة خراب القلب من الهدى فنسئل الله العصمة من ذلك بفضله هذا في كلام المحظور واما المباح ففيه اربعة امور احدها شغل الكرام الكاتبين بما لا خير فيه ولا فائدة وحق للمرء ان يستحيي منهما ولا يؤذيهما قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد الثاني ارسال كتاب الى الله تعالى من اللغو والهذيان فليحذر العبد ذلك وليخش الله سبحانه وذكر ان بعضهم نظر الى رجل وهو يتكلم بالخنا فقال يا هذا انما تملي كتابا الى ربك فانظر ماذا تملي والثالث قرائته يوم القيامة على رؤس الاشهاد بين يدي الملك الجبار وانت في الشدائد والاهوال عطشان جوعان عريان منقطعا عن الجنة محبوسا عن النعمة والرابع اللوم والتعيير لما ذا قلت وانقطاع الحجة والحياء من رب العالمين وقد قيل اياك والفضول فان حسابه يطول وكفى بهذه الاصول واعظا لمن اتعظ وقد بسطنا في كتاب اسرار معاملات الدين ما فيه مقنع فانظر فيه تجد الشفاء الفصل الرابع القلب ثم عليك بحفظ القلب واصلاحه وحسن النظر في ذلك

وبذل المجهود فانه اعظم هذه الاعضاء خطراً واكثرها اثراً وادقها امراً واشقها اصلاحاً واذكر فيه خمسة اصول مقنعة الاول قوله تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور وقوله تعا والله يعلم ما في قلوبكم فاحذروه وقوله انه عليم بذات الصدور كم ذكره وكرر ذكره في القران فكفى باطلاع العليم الخبير تحذيراً وتهديداً للخواص من العباد ثم لان المعاملة مع علام الغيوب خطيرة فانظر ماذا تعلم من قلبك الثاني قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم وانسابكم وانما ينظر الى قلوبكم واعمالكم فالقلب اذاً موضع نظر رب العالمين فيا عجباً ممن يهتم بوجهه الذي هو موضع نظر الخلق فيغسله وينظفه عن الاقذار والادناس ويزينه بما امكنه لئلا يطلع مخلوق على عيب فيه ولا يهتم بقلبه الذي هو موضع نظر رب العالمين فيطهره ويزينه ويطيبه كيلا يطلع الرب جل ذكره على دنس فيه وشين وآفة وعيب بل يهمله ويتركه متلطخاً بفضائح واقذار وقبائح لو اطلع الخلق على واحد منها لهجروه وتبرؤوا منه وطردوه فالله المستعان الاصل الثالث ان القلب ملك مطاع ورئيس متبع والاعضاء كلها تبع له فاذا صلح المتبوع صلح التبع واذا استقام الملك استقامت الرعية يبين ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب واذا كان صلاح الكل في ذلك وجب صرف العناية اليه الرابع ان القلب خزانة كل جوهر للعبد نفيس وكل معنى خطير اولها العقل واجلها معرفة الله التي هي سبب سعادة الدارين ثم البصائر التي بها التقدم والوجاهة عند الله تعالى ثم النية الخالصة في الطاعات التي بها يتعلق ثواب الابد ثم انواع العلوم والحكم التي هي شرف العبد وسائر الاخلاق الشريفة والخصال الحميدة التي بها يحصل تفاضل الرجال على ما فصلناه وشرحناه في كتاب اسرار معاملات الدين وحق لمثل هذه الخزانة ان تحفظ وتصان عن الادناس والآفات وتحرس وتحرز من السراق والقطاع وتكرم وتجل بضروب الكرامات لئلا

يحو

نعم ما قيل
ملاك نفسك ان ترضى بنزاهتها وذنب نفسك ان تصون عرضها من الدنس
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ان السفينة لا تجري على اليبس

دنس
شين

بلحق تلك الجواهر العزيزة دنس ولا يظفر بها والعياذ بالله عدو ، الخامس اني تأملت
حاله فوجدت له خمسة احوال ليست لغيره من اعضاء بني ادم احدها ان العدو قاصد
اليه ومقبل عليه وملازم له فان الشيطان جاثم على قلب ابن ادم فهو منزل الالهام
والوسوسة يقرعانه ابدا بالدعوتين الملك والشيطان والثاني ان الشغل له اكثر
فان العقل والهوى كلاهما فيه وهو معترك العسكرين الهوى وجنوده والعقل
وجنوده فهو ابدا بين تجاذبهما وتلاقيهما وتناقضهما وحق للثغور ان تحرس وتحصن
ولا يغفل عنه الثالث ان العوارض له اكثر فان الخواطر كالسهام لا تزال تقع فيه
كالمطر لا تزال تمطر عليه ليلا ونهارا لا تنقطع ولا انت تقدر على منعها فتمنع
وليس بمنزلة العين التي هي بين الجفنين تغمض وتستريح او تكون في موضع خال
او ليل مظلم فتكفي رؤيتها او اللسان الذي هو من وراء الحائطين الاسنان و الشفتين
وانت القادر على منعه وتسكينه بل القلب عرض للخواطر لا تقدر على سدها والتحفظ
عنها بحال ولا هي تنقطع عنك لوقت ثم النفس مسارعة الى اتباعها والامتناع عن
ذلك في مجهود الطاقة امر شديد ومحنة عظيمة الرابع ان علاجه عليك عسير اذ هو
غيب عنك فلا تكاد تشعر حتى تدب فيه افة وتحدث له حاجة فتحتاج ان تبحث
عن ذلك اتم البحث بطول الجهد والجد ودقيق النظر وكثرة الرياضة الخامس
ان الافات اليه اسرع فهو بالانقلاب اقرب فلقد قيل ان القلب اسرع انقلابا من القدر
في غلياتها ولذلك قيل في المعنى ما سمي القلب الا من تقلبه والرأي يضرب بالانسان اطوارا
ثم ان زل القلب والعياذ بالله فزلله عظيم ووقوعه صعب واقطع اذ ادناه قسوة
وميل الى غير الله عز وجل ومنتهاه ختم وكفر بالله تعالى اما تسمع قوله تعالى ابى
واستكبر وكان الكبر بقلبه فحمله على الاباء والكفر بظاهره اما تسمع قوله تعالى ولكنه
اخلد الى الارض واتبع هواه فكان الميل واتباع الهوى بقلبه فحمله ذلك على الذنب
المشوم بنفسه اما تسمع قوله تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به
اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ولهذا المعنى ايها الرجل خاف عباد الله
للخواص على قلوبهم وبكوا عليها وصرفوا عنايتهم اليها قال الله تعالى في وصفهم

جعلنا

يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار جعلنا الله واياكم من المعتبرين
بالعبر المهتمين بمواضع الخطر الموفقين لاصلاحها بحسن النظر انه ارحم الراحمين فان
قيل ان امر هذا القلب لمهم جدا فاخبرنا عن المعاني التي تصلحه وعن الافات التي
تعترضه فتفسده عسى الله ان يوفق للاجتهاد في العمل بذلك يقال له اعلم ان تفصيل هذه
المعاني لطويل لا يحتمله هذا الكتاب وانما علماء الاخرة عنوا باستخراج ذلك وتصنيفه في هذه
النكتة لا غير وقد ذكروا فيما يحتاج اليه في ذلك نحو تسعين خصلة محمودة وفي اضدادها
المذمومة ثم من الافعال والمساعي الواجبة والمحظورة ونحو ذلك في ساير تفاصيلها
ولعمري ان من اهمه امر دينه وانتبه من رقدة الغافلين ونظر لنفسه فلا يكون
تحصيل جميع ذلك والعمل به كثيرا عليه اذا وفقه الله تعالى وقد ذكرنا نبذة منها
في شرح عجايب القلب من كتاب الاحياء علوم الدين واتينا على شرح جميعها بتفاصيلها
وكيفية علاجها في كتاب اسرار معاملات الدين وهو كتاب مستقل بنفسه عظيم الفايدة
ولا ينتفع به الا فحول العلماء الراسخين في علم الاخرة وموضوع هذا الكتاب ان ينتفع به
المبتدي والقوي والضعيف فنظرنا في الاصول التي لا بد من ذكرها في علاج هذا القلب
والحاجة ماسة اليها ولا غنية عنها البتة في شان العبادة فوجدناها اربعة امور وهي
مما حض العابدين وافات المجتهدين وهي فتن القلوب وبليات النفوس تعوق و
تشين وتفسد وتتلف واربعة في مقابلتها فيها قوام العباد وانتظام العبادة
واصلاح القلوب فالافات الاربع الامل والاستعجال والحسد والكبر والمناقب
الاربع ~~الامل والاستعجال~~ قصر الامل والتأني في الامور والنصيحة للخلق والتواضع
والخشوع فهذه هي الاصول في صلاح القلوب وفسادها والنكت التي عليها المدار فلتبذل
المجهود في التحرز عن هذه الافات والتحصيل لهذه المناقب تكفى المؤن وتظفر بالمقصود
ان شاء الله تعالى وساخبرك عن هذه الافات بكلمات وجيزة مقنعة اما طول الامل فانه

اى نهالك
ابق عن نهو

تظفر

ونظر

العائق

العايق عن كل خير وطاعة والجالب لكل شر وفتنة وانه الداء العضال الذي يوقع الخلق في انواع
البليات واعلم انك اذا طال املك هاج لك منه اربعة اشياء احدها ترك الطاعات
والكسل فيها تقول سوف افعل والايام بين يدي ولا يفوتني ذلك ولقد صدق داود
الطائي رحمه الله حيث قال من خاف الوعيد قرب البعيد ومن طال امله ساء عمله وقال
يحيى ابن معاذ الرازي رحمه الله الامل قاطع من كل خير والطمع مانع من كل حق والصبر
صائر الى كل ظفر والنفس داعية الى كل شر الثاني ترك التوبة وتسويفها تقول سوف
اتوب وفي الايام سعة وانا شاب وسني قليل والتوبة بين يدي وانا قادر عليها متى
رمتها وربما يغتاله الحمام على الاصرار فاختطفه الاجل قبل اصلاح العمل الثالث الحرص
على الجمع والاشتغال بالدنيا عن الاخرة تقول اخاف الفقر في الكبر وربما اضعف عن الاكتساب
ولا بد لي من شيء فاضل ادخره لمرض او هرم او فقر هذا ونحوه يحركك على الرغبة في الدنيا والحرص
عليها والاهتمام بالرزق فتقول ايش اكل ايش البس وهذا الشتاء والصيف وما لي شيء
ولعل العمر يطول فاحتاج والحاجة مع الشيب شديدة ولا بد لي من قوة وغنية عن الناس
فهذه وامثالها تحركك الى طلب الدنيا والرغبة فيها والجمع لها والمنع لما عندك منها
واقل ما في الباب يشغل قلبك ويضيع عليك وقتك ويكثر همك وغمك بلا فائدة
ولا طائل على ما روي عن ابي ذر رضي الله عنه انه قال قتلني هم يوم لم ادركه قيل وكيف ذلك
قال ان املي جاوز اجلي والرابع القسوة في القلب والنسيان للاخرة لانك اذا املت
العيش الطويل لا تذكر الموت والقبر كما قال علي رضي الله عنه اخوف ما اخاف عليكم
اثنان طول الامل واتباع الهوى الا وان طول الامل ينسي الاخرة واتباع الهوى
يصد عن الحق فاذاً يصير فكرك ومعظم قلبك في حديث الدنيا واسباب العيش وصحبة الخلق
ونحوها فيقسو القلب من ذلك وانما رقة القلب وصفوته بذكر الموت والقبر والثواب
والعقاب واهوال الاخرة واذا لم يبق من ذلك شيء فمن اين تكون لقلبك رقة او صفوة
قال الله تعالى فطال عليهم الامد فقست قلوبهم فاذاً انك اذا طولت املك قلت طاعتك
وتاخرت توبتك وكثرت معصيتك واشتد حرصك وقسا قلبك وعظمت غفلتك عن العاقبة

فتذهب والعياذ بالله تعالى ان لم يرحم الله اخرتك فاي حال اسوء من هذه واي افة اعظم من هذه
وكل هذا بسبب طول الامل فاما ان وجدت في نفسك قصرة املك وقربت من نفسك موتك
وتذكرت احوال اقرانك واخوانك الذين جاءهم الموت في وقت لم يحتسبوه ولعل حالك
مثل حالهم فاحذري يا نفس الغرور واذكري ما قال عون بن عبد الله كم من مستقبل يوما لم يستكمله
ومنتظر غدا لم يدركه لو ترون الاجل ومسيره لابغضتم الامل وغروره اما سمعت قول
عيسى عليه السلام الدنيا ثلاثة ايام امس الذى مضى ما بيدك منه شيء وغد لا تدري اتدركه
ام لا ويوم انت فيه فاغتنمه ثم قول ابي ذر رضي الله عنه الدنيا ثلاث ساعات ساعة مضت
وساعة انت فيها وساعة لا تدري اتدركها ام لا فلست تملك في الحقيقة الا ساعة واحدة
اذ الموت من ساعة الى ساعة ممكن ثم قول شيخنا رحمه الله الدنيا ثلاثة انفاس نفس
مضى عملت فيه ما عملت ونفس انت فيه ونفس لا تدري اتدركه ام لا اذ كم من متنفس
نفسا ففاجاه الموت قبل النفس الاخر فلست تملك الا نفسا واحدا لا يوما ولا ساعة
فبادر في النفس الواحد الى هذه الطاعة قبل ان تفوت والى التوبة فلعلك في النفس الثاني
تموت ولا تهتمي يا نفس بالرزق فلعلك لا تبقين لتحتاجي اليه فيكون وقتك ضايعا والهم
فضلا وما عسى ان يهتم الانسان بالرزق ليوم واحد او ساعة واحدة او نفس واحد
اما تذكرون ما قال النبي صلى الله عليه وسلم لاسامة اما تعجبون من اسامة المشتري الوليدة
بمائة الى شهر ان اسامة لطويل الامل والله ما وضعت قدما فظننت اني ارفعها ولا لقمت
لقمة فظننت اني اسيغها حتى يدركني الموت والذى نفسي بيده انما توعدون لآت وما
انتم بمعجزين فاذا انت ايها الرجل تذكرت هذه الاذكار وواظبت عليها بالاعادة
والتكرار قصر املك باذن الله تعالى فحينئذ ترى نفسك تبادر الى الطاعات وتعجل توبتك
وتسقط عنك معصيتك وتزهد في الدنيا وطلبها فيخف حسابك وتبعتك ويقع في قلبك
تذكر الاخرة واهوالها وما هو من نفسك الى نفس يصير اليها ويعاينها واحدا فواحدا
فتزول عنك القسوة وتبدو لك الرقة والصفوة وتستشعر عند ذلك الخوف من الله
عز وجل والخشية فيستقيم لك امر عبادتك ويقوى الرجا في ان تستعد لعاقبتك

وتظن

وتظفر بالمراد في اخرتك وكل ذلك بعد فضل الله تعالى بسبب هذه الخصلة التي هو قصر الامل
ولقد حكي ان زرارة بن ابي اوفى رحمه الله قيل له في النوم بعد موته اي الاعمال ابلغ فيما عندكم
قال الرضاء وقصر الامل فانظر لنفسك ايها الاخ وابذل المجهود في هذا الاصل الكبير فانه
الاهم والاعظم في صلاح القلب والنفس والله ولي التوفيق بفضله ورحمته واما الحسد
فانه مفسد للطاعات باعث على الخطيئات وانه الداء العضال الكبير الذي يبتلى به الكثير
من القراء والعلماء فضلاً عن العامة والجهال حتى اهلكهم واوردهم النار اما تسمع قول
النبي صلى الله عليه وسلم ستة يدخلون النار بستة العرب بالعصبية والامراء بالجور
والدهاقين بالكبر والتجار بالخيانة واهل الرستاق بالجهل والعلماء بالحسد وان
بلية بلغ من شومها ان اوردت العلماء النار لحقيق ان يحذر منها واعلم ان الحسد يهيج
خمسة اشياء احدها افساد الطاعات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد ياكل الحسنات
كما تاكل النار الحطب والثاني فعل المعاصي والشرور قال وهب بن منبه رحمه الله للحاسد
ثلاث علامات يتملق اذا شهد ويغتاب اذا غاب ويشمت بالمصيبة اذا نزلت قلت انا
وحسبك ان الله امر بالاستعاذة من شر الحاسد فقال ومن شر حاسد اذا حسد كما امر
بالاستعاذة من شر الشيطان والساحر فانظر كم له من الشر والفتنة حتى انزله منزلة الشيطان
والساحر حتى انه لا مستعان عليه ولا مستعاذ الا بالله رب العالمين والثالث التعب
والهم من غير فائدة بل مع وزر ومعصية كما قال ابن السماك رحمه الله لم ار ظالما اشبه
بالمظلوم من الحاسد نفس تعب دايم وعقل هايم وغم لازم والرابع عمى القلب حتى لا يكاد
يفهم حكما من احكام الله تعالى فلقد قال سفيان رحمه الله عليك بطول الصمت تملك الورع
ولا تكن حريصا على الدنيا تكن حافظا ولا تكن طعانا تنج من السن الناس ولا تكن
حاسدا تكن سريع الفهم والخامس الخذلان والحرمان فلا يكاد يظفر بمراده ولا ينصر
على عدوه كما قال حاتم رحمه الله الطعان غير ذي دين والعايب غير عابد والنمام غير مامون
والحسود غير منصور قلت للحاسد كيف يظفر بمراده ومراده زوال نعم الله تعالى

عضال / ذبابة رض / و ونشر ارشب / مهلك

دهاقين / كدخدى

عن عباده المسلمين وكيف ينصر على اعدائه وهم عباد الله المؤمنون ولقد احسن ابو يعقوب
فيما قال اللهم صبرنا على تمام النعم على عبادك وحسن احوالهم وانه داء يفسد عليك طاعتك
ويكثر شرك ومعصيتك ويمنعك راحة النفس وفهم القلب والنصرة على الاعداء والظفر
بالمطلوب فاي داء يكون اردأ منه عليك فعليك بمعالجة نفسك من ذلك والله ولي التوفيق
اما الاستعجال والنزق فانه الخصلة المفوتة للمقاصد الموقعة في المعاصي فان منها بدو ظاهر
افات اربع احدها ان يقصد العابد منزلة في الخير والاستقامة فيجتهد فربما يستعجل في نيلها
وليس ذلك بوقتها فاما ان يفتر او ييئس ويترك الاجتهاد فيحرم تلك المنزلة واما ان يغلو
في الجهد واتعاب البدن فينقطع عن تلك المنزلة فهو بين افراط وتفريط وكلاهما نتيجة الى
الاستعجال ولقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم دينا هذا متين فاوغل فيه برفق فان
المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى وفي المثل السائر انك لم تستعجل تصل وقد قيل قد يدرك
المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل والثانية ان يكون للعابد حاجة فيدعو الله
فيها فيكثر الدعاء ويجد في ما يستعجل الاجابة قبل وقتها فلا يجدها فيفتر وييأس ويترك
الدعاء فيحرم حاجته ومقصوده والثالثة ان يظلمه انسان فيغيظه فيعجل بالدعاء
عليه فيهلك مسلم بسببه وربما يتجاوز عن الحد فيقع في معصية وهلاك قال الله تعالى ويدع
الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا الرابعة ان العبادة اصلها وملاكها
الورع والورع اصله النظر البالغ في كل شيء والبحث التام عن كل شيء هو بصدده من
اكل او شرب ولبس وكلام وفعل فاذا كان الرجل مستعجلا في الامور غير متأن ولا متثبت
متبينا لم يقع منه توقف ونظر في الامور كما يجب ويسارع الى كل كلام فيقع في الزلل
والى كل طعام فيقع في الحرام والشبهة وكذلك في كل امر فيفوته الورع واي خير
في عبادة بلا ورع واذا كان في خصلة الانقطاع عن منازل الخير وحرمان قضاء الحاجات
وهلاك مسلم واهلاكه ثم خطر فوت الورع الذي هو رأس المال لحق للانسان ان
يهتم لها بالازالة واصلاح النفس بعدها والله ولي التوفيق بمنه وفضله واما الكبر

النزق عجلة في جهل وحمق

مع استعجل الشيء طلبه عجلته قبل اوانه عوقب بحرمانه اشباه

واما الكبر

واما الكبر فانه الخصلة المهلكة رأسا اما تسمع قوله تعالى ابا واستكبر وكان من الكافرين وليست هذه الخصلة بمنزلة ساير الخصال التي تقدح في عمل ويغير بفروع انما تقدح في الدين وتضر بالاصل والاعتقاد واذا قويت وغلبت لا متدارك والعياذ بالله ثم اقل ما يهيج [تحرك] منها على صاحبها اربع آفات احدها حرمان الحق وعمى القلب عن معرفة ايات الله تعالى وفهم احكام الله عز وجل قال الله تعالى سأصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وقال تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار الثانية المقت والبغض من الله عز وجل قال الله تعالى ان الله لا يحب المستكبرين وروي ان موسى عليه السلام قال يا رب من ابغض [بغض] خلقك اليك قال من تكبر قلبه وغلظ لسانه وصفق عينه وبخلت يداه وساء خلقه الثالثة الخزي والنكال [ای عذاب] في الدنيا والاخرة قال حاتم رحمه الله اجتنب الموت على ثلاثة الكبر والحرص والخيلا فان المتكبر لا يخرجه الله تعالى من الدنيا حتى يراه الهوان [ذربا] من ارذل اهله وخدامه والحريص لا يخرجه الله تعالى من الدنيا حتى يحوجه الى كسرة او شربة ولا يجد مساغا والختال لا يخرجه الله تعالى من الدنيا حتى يمرغه الله ببوله وقذره وقيل من تكبر بغير حق اورثه الله ذلا بحق الرابعة النار والعذاب في العقبى على ما روي ان الله سبحانه يقول الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني في واحد منها ادخلته نار جهنم والمعنى ان العظمة والكبرياء من الصفات التي تختص بي ولا ينبغي لاحد غيري كما ان رداء الانسان وازاره يختص به الانسان لا يشاركه احد فيه وان خصلة تفوتك معرفة الحق وفهم ايات الله واحكامه الذي هو اصل الامر كله ثم يثمر لك المقت من الله سبحانه والخزي في الدنيا والنار في الاخرة لا يسع لعاقل ان يغفل عنه لا نفسه فلا يصلحها بازالتها بالحذر والتحرز والاستعاذة بالله من ذلك وهو عز وجل ولي التوفيق بفضله فهذا بعض ما حضرنا في هذه الخصال الاربع من الافات وحسب العاقل واحد منها فضلا عن الجميع فان قلت فاذا كان الامر بهذه المنزلة من افات هذه الخصال

ای خسر او تیر
ای رسوای

ولزوم التحرز والتحفظ منها فلابد من معرفة حقيقتها وحدها فبين لنا ذلك لنعرف
كيف الطريق الى التحفظ عنها فاعلم ان في كل واحد منها كلاما كثيرا قد اشبعنا القول
فيه في كتاب الاحياء والاسرار ونحن نذكر ههنا ما لا بد من ذكره ولا يقع الغنا عنه
فنقول وبالله التوفيق اما الامل قال اكثر علمائنا رحمهم الله انه ارادة الحياة للوقت
المتراخي بالحكم وقصر الامل ترك الحكم فيه بان تقيده بالاستثناء بمشية الله تعالى وعلمه ارادتها
في الذكر او بشرط الصلاح في الارادة فاذا ان ذكرت حياتك بانى اعيش بعد نفس
ثان او ساعة ثانية او يوم ثان بالحكم والقطع فانت امل وذلك منك معصية
اذ هو حكم على الغيب فان قيدته بالمشية والعلم من الله تعالى فتقول اعيش ان شا
الله تعالى او ان علم الله تعالى ان اعيش فقد خرجت عن حكم الامل ووصفت بقصر
الامل وكذلك ان اردت حياتك للوقت الثاني قطعا فانت امل وان قيدت ارادتك
بشرط الصلاح خرجت عن حكم الامل ووصفت بقصر الامل من حيث تركت الحكم فيه فعليك
بترك الحكم في ذكر البقاء وارادته والمراد بالذكر ذكر القلب ثم المراد منه التوطين على
ذلك والتثبت للقلب على ذلك فافهمه راشدا ان شاء الله تعالى ثم ان الامل ضربان
امل العامة وامل الخاصة فامل العامة ان تريد الحياة والبقاء لجمع الدنيا والتمتع
بها وهذه معصية محضة وضدها قصر الامل قال الله تعالى ويلههم الامل فسوف
يعلمون وامل الخاصة ان تريد البقاء لاتمام عمل خير فيه خطر وهو ما لا يستيقن
الصلاح له فيه فانه ربما يكون خير مغيب لا يكون لعبد فيه او في اتمامه صلاح بان يقع
بسببه في افة لا يقوم بها هذا الخير فاذا ليس للعبد ابتداء في صلوة او صوم او غيره
ان يحكم بانه يتمه اذ هو غيب ولا ان يقصد ذلك قطعا لانه ربما لا يكون له فيه صلاح
بل يقيد ذلك بالاستثناء او شرط الصلاح ليتخلص من عيب الامل قال الله تعالى لنبيه محمد
صلى الله عليه وسلم ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وضد هذا الامل

فيما

فيما قاله العلماء النية وانما قالوا ذلك على ضرب من الاتساع لان الناوي بالنية المحمودة
يكون ممتنعا من الامل فهذا حكم الامل والنية المحمودة اذا قد مست الحاجة الى معرفتها مع
انها الاصل الاصيل قالوا رحمهم الله تعالى في حدها الجامع التام ان النية الصحيحة المحمودة ارادة
اخذ عمل مبتدا به قبل سائر الاعمال بالحكم مع ارادة اتمامه بالتفويض والاستثناء
فان قيل فلم جاز الحكم في الابتداء ووجب التفويض والاستثناء في الاتمام يقال له
لفقد الخطر في الابتداء اذ هو في حال الابتداء ليس بشيء متراخ عنك ولثبوت الخطر
في الاتمام اذ هو يقع في وقت متراخ ففيه الخطران لخطر الوصول لا يدري هل يصل
الى ذلك ام لا وخطر الفساد لا يدري هل في ذلك صلاح ام لا فاذا وجب الاستثناء
لخطر الوصول والتفويض لخطر الفساد فاذا حصلت الارادة على هذه الشروط تكون
حينئذ نية محمودة مخرجة عن حد الامل وافته فتامل جدا فهذه هذه واعلم ان حصن
قصر الامل ذكر الموت وحصن حصنه ذكر فجاة الموت واخذه على غرة وغفلة بغتة وهو
في غرور وفتور فاحتفظ بهذه الجملة وحصلها موقعا فان الحاجة اليها ماسة ودع
عنك تضييع الوقت في القيل والقال وملاهاة الرجال والله الموفق بفضله واما
الحسد فهو ارادة زوال نعم الله تعالى عن اخيك المسلم مما له فيه صلاح فان لم ترد
زوالها عنه ولكن تريد لنفسك مثلها فهو غبطة وعلى هذا يحمل قوله صلى الله عليه وسلم
لا حسد الا في اثنتين اي المال والقران اي لا غبطة الا في ذلك فعبر عن الغبطة بالحسد
اتساعا لمقاربتهما فان لم يكن له فيه صلاح فاردت زوالها عنه فذلك غيرة فهذا
الفرق بين هذه الخصال واما ضد الحسد فالنصيحة وهي ارادة بقاء نعمة الله تعالى
على اخيك المسلم مما له فيه صلاح فان قيل كيف نعلم ان له فيها صلاحا او فسادا لننصحه او
نحسده فاعلم انه قد يكون لنا غالب الظن بذلك وغلبة الظن منا تجري مجرى العلم
في هذه المواضع ثم ان اشتبه عليك فلا ترد زوال نعمة احد من المسلمين او بقاها
الا مقيدا بالتفويض وشرط الصلاح لتخلص من حكم الحسد ويحصل لك فائدة النصيحة
واما حصن النصيحة المانع عن الحسد فهو ذكر ما اوجب الله تعالى من موالاة المسلمين

بعض

ملاهاة

ماسة

روي عن ابن عمر قال قال النبي
لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله
مالا فهو ينفق منه آناء الليل و
النهار ورجل آتاه الله القرآن فهو
يقوم به آناء الليل والنهار
صح النسخ

وحصن هذا الحصن ذكر ما عظم الله من حق المؤمن ورفع من قدره وما له عند الله تعالى
من الكرامات العظيمة في العقبى وما لك فيه من الفوائد الجليلة في الدنيا من التعاون
والتظاهر والجماعات والجمعات ثم ما ترجو من شفاعته في الآخرة فهذه ونحوها مما
يبعث على النصح لكل مسلم ويجنبك ان تحسده في النعم التي اعطاها الله اياه والله
تعالى ولي التوفيق بفضله واما العجلة فانها المعنى الراتب في القلب الباعث على الاقدام
على الامر باول خاطر دون التوقف فيه والاستطلاع منه بل الاستعجال في اتباعه والعمل
به وضدها الاناءة وهو المعنى الراتب في القلب الباعث على الاحتياط في الامور
والنظر فيها والتأني في اتباعها والعمل بها واما التوقف فضده التعسيف قال شيخنا
رحمه الله الفرق بين التوقف والتأني ان التوقف قبل الدخول في الامر حتى يتبين بسنبله
له رشده والتأني بعد الدخول فيه حتى يؤدي لكل جزء منه حقه ثم مقدمات الا
ناءة ذكر وجوه الخطر في الامور التي تعرض للانسان وضروب الآفات المخوفة وذكر فيها
ما في النظر والتثبت من السلامة وما في التعسف والاستعجال من الندامة والملامة
فهذه وامثالها مما يبعث على التأني والتوقف في الامور ويمنع من الاستعجال والتعسف
والله ولي العصمة برحمته واما الكبر فاعلم انه خاطر في رفع النفس واستعظامها
والتكبر اتباعه والضعة خاطر في وضع النفس واحتقارها والتواضع اتباعه
ولكل واحد منهما عامي وخاصي فالتواضع العامي هو الاكتفاء بالدون من الملبس
والمسكن والمركب والتواضع الخاص هو تمرين النفس على قبول الحق ممن كان تمرينه عادت او تمكر
وضيعا او شريفا والتكبر في مقابلة الترفع عن ذلك وهو معصية كبيرة وخطيئة
عظيمة ثم حصن التواضع العامي ان تذكر مبدأك ومنتهاك وما انت عليه في
الحال من ضروب الآفات والاقذار كما قال بعضهم اولك نطفة مذرة واخرك
جيفة قذرة وانت فيما بينهما حامل عذرة وحصن التواضع الخاص هو ذكر
عقوبة العادل عن الحق المتمادي في الباطل فهذه جملة كافية لمن استبصر والله ولي

التوفيق

٣ التوفيق الفصل الخامس في البطن وحفظه ثم عليك بحفظ البطن واصلاحه فانه اشق الاعضاء اصلاحا على المجتهد واكثرها مؤنة وشغلا واعظمها ضررا واثرا لانه المنبع والمعدن ومنه تهييج الاسود في الاعضاء من قوة وضعف وعفة وجماع ونحوه فعليك اذا بصيانته عن الحرام والشبهة اولا ثم عن فضول الحلال ثانيا ان كانت لك همة في عبادة الله تعالى فاما الحرام والشبهة فانما يلزمك البحث عنهما لثلاثة امور اولها حذر راس نار جهنم قال الله تعالى ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا وقال النبي صلى الله عليه وسلم كل لحم نبت من سحت فالنار اولى به الثاني ان آكل الحرام والشبهة مطرود لا يوفق للعبادة اذ لا يصلح لخدمة الله تعالى الا كل طاهر مطهر قدت انا اليس الله تعالى منع الجنب الدخول الى بيته والمحدث عن مس المصحف قال عز وجل ولا جنبا الا عابري سبيل وقال تعالى لا يمسه الا المطهرون مع ان الجنابة والحدث اثر مباح فكيف بمن هو الى العبادة الله تعالى العزيز الكريم وذكره الشريف سبحانه كلا ولا يكون ذلك ابدا قال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله الطاعة مخزونة في خزائن الله سبحانه ومفتاحها الدعاء واسنانه الحلال فاذا لم يكن في المفتاح اسنان فلا ينفتح الباب واذا لم ينفتح باب الخزانة كيف تصل الى ما فيها من الطاعات والثالث ان آكل الحرام والشبهة محروم وان اتفق له فعل خير فهو مردود عليه غير مقبول منه فاذن لا يكون له من ذلك الا العناء والكد وشغل الوقت قال صلى الله عليه وسلم كم قائم ليس له من قيامه الا السهر وكم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع والظماء وعن ابن عباس رضي الله عنه لا يقبل الله صلاة امرء وفي جوفه حرام فهذا هذه واما فضول الحلال فانه افة العباد وبلية اهل الاجتهاد واني تاملت فوجدت فيه عشر افات هن اصول في هذا الشان الاولى ان في كثرة الاكل قسوة القلب وذهاب نوره لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب يموت كالزرع اذا كثر عليه الماء ولقد شبه ذلك بعض الصالحين بان المعدة كالقدر تحت القلب تغلي والبخار يرتفع اليه فكثرة البخار

عفة وسط بين ... مكر

رشوت

سحت ... الحرام ونجاسته ... والشبهة ...

تكدره وتجمد الثانية ان في كثرة الاكل فتنة الاعضاء وهياجها وانبعاثها للفضول
والفساد فان الرجل اذا كان شبعان بطر واشتهت عينه النظر الى ما لا يعنيه من حرام
او فضول والاذن الاستماع اليه واللسان التكلم والفرج الشهوة والرجل المشي اليه واذا
كان جايعا فيكون الاعضاء ساكنة هادية لا تطمح الى شيء منها ولا تنبسط اليها ولقد قال
الاستاذ ابو جعفر رحمه الله ان البطن عضو ان جاع شبع ساير الاعضاء وان شبع
هو جاع ساير الاعضاء وجملة الامر ان افعال الرجل واقواله على حسب طعامه وغذايه
ان دخل الحرام خرج الحرام وان دخل الفضول خرج الفضول كلا فكان الطعام بذر للا
فعال والافعال تنبت منه الثالثة ان في كثرة الاكل قلة الفهم للعلم فان البطنة تذ
هب الفطنة ولقد صدق الداراني حيث قال اذا اردت حاجة من حوايج الدنيا والاخرة
فلا تاكل حتى تقضيها فان الاكل يغير العقل وهذا امر ظاهر علمه من اختبره الرابعة
ان في كثرة الاكل قلة العبادة لان الانسان اذا اكثر الاكل ثقل بدنه وغلبته عيناه
وفترت اعضاؤه فلا يجيء منه شيء وان اجتهد الا النوم كالجيفة الملقاة ولقد
قيل اذا كنت بطنا فعد نفسك زمنا ولقد ذكر عن يحيى بن زكريا عليهما السلام ان ابليس
بدا له وعليه معاليق فقال له يحيى ما هذه قال الشهوات التي اصيد بها بني ادم من كل
شيء قال هل تجد لي فيها شيئا قال لا الا انك شبعت ذات ليلة فثقلناك عن
الصلوة فقال يحيى عليه السلام لا جرم اني لا اشبع بعدها ابدا فقال ابليس لا جرم
اني لا انصح بعدها احدا ابدا فهذه فيمن لم يشبع في عمره الا مرة واحدة فكيف
بمن لا يجوع في عمره ليلة واحدة ثم يطمع في العبادة وقال سفيان الثوري رحمه الله
العبادة حرفة وحانوتها الخلوة والتها المجاعة الخامسة ان في كثرة الاكل فقد
حلاوة العبادة قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه ما شبعت منذ اسلمت لاجد حلاوة
عبادة ربي وما رويت منذ اسلمت اشتياقا الى لقاء ربي وهذه صفات
المكاشفين وكان رضي الله عنه مكاشفا واليه اشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله
ما فضلكم ابو بكر بفضل صوم وصلوة وانما هو بشيء وقر في صدره وقال الداراني

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه
انه قال سمعت رسول الله يقول
ان الحلال بين والحرام
بين وبينهما مشتبهات
لا يعلمهن كثير من الناس
فمن اتقى الشبهات استبرا
لدينه وعرضه ومن وقع
في الشبهات وقع في الحرام
كالراعي يرعى حول الحمى
يوشك ان يقع فيه الى اخره

رحمه الله احياناً تكون العبادة اذا التوق بطنى بظهرى السادسة ان فيه خطر الوقوع في
الشبهة او في الحرام لان الحلال لا تأتيك الا قوتاً ولقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم ان
الحلال لا يأتيك الا قوتاً والحرام تاء تيك جزفاً جزفاً السابعة ان فيه شغل القلب
والبدن بتحصيله اولاً وبتهيئه ثانياً ثم باكله ثالثاً بافراغه والتخلص عنه رابعاً ثم بالسلامة
منه خامساً بان تبدو منه آفة في البدن من آفات وعلل ولقد قال صلى الله عليه وسلم اصل
كل داء البردة يعنى التخمة واصل كل دواء لازم يعنى الحمية وعن مالك بن دينار رحمه
الله انه كان يقول يا هؤلاء لقد اختلفت الى الخلاء حتى استحييت من ربى فيا ليت ان الله
جعل رزقى في حصاة امصها حتى اموت ثم في هذه الجملة من طلب الدنيا والطمع الناس
وتضيع الوقت بسبب كثرة الاكل ما لم يخف الثامنة ماينال من امور الاخرة وشدة
سكرات الموت فلقد روى ان شدة سكرات الموت على قدر لذات الحياة فمن اكثر من
هذه اكثر له من تلك التاسعة نقصان الثواب في العقبى قال الله تعالى اذهبتم
طيباتكم في حياتكم الدنيا الاية فانه بقدر ما تأخذ من لذات الدنيا ينقص لك من لذات
الاخرة ولهذا المعنى قيل ان الله تعالى لما عرض الدنيا على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال له
ولا انقص من اخرتك شيئاً خص بذلك فدل على ان لغيره النقصان الا ان يتفضل
الله عليه بذلك ولقد روي ان خالد بن وليد اضاف عمر بن الخطاب وهيا له طعاما
فقال عمر بن الخطاب هذا لنا فما للفقراء المهاجرين والانصار الذين ماتوا ولم يشبعوا
من خبز الشعير قال خالد رضي الله لهم الجنة فكان هذا حظنا من الدنيا فقد بانوا
منا بوناً بعيدا وروي ان عمر رضي الله عنه عطش يوماً فدعى بماء فاعطاه رجل
اداوة فيها ماء ينبذ فيه تمرات فلما قربها عمر من فيه وجد الماء باردا حلوا فسكر
وقال اوه فقال الرجل والله ما الوته حلاوة يا امير المؤمنين فقال عمر ذلك الذى
منعني ويحك لولا الاخرة لشاركناكم في عيشكم العاشرة الحبس والحساب
واللوم والتعيير في ترك الادب في اخذ الفضول وطلب الشهوات فان الدنيا

تخمه حوق بمكرن بلو حاصل آدلوله

اداوه برد ق

وعكركلمة رحمت

هلاك

حلالها حساب وحرامها عقاب وذنبها الى تباب فهذه جملة العشرة وفى احدها
كفاية لمن نظر لنفسه، فعليك ايها المجتهد بالاحتياط البالغ فى القوت كيلا
تقع فى حرام او شبهة فلا فيلزمك العذاب ثم الاقتصار من الحلال على ما يكون
عدة على عبادة الله لئلا تقع فى شر فتبتلى فتبقى فى الحبس والحساب والله ولى
التوفيق فان قلت فبين لنا اولا حكم الحرام والشبهة وحدهما فاقول لعمرى
والله لقد استبعنا القول فيه فى اسرار معاملات الدين وذكرنا له كتابا مفردا فى الا
حياء لكنا نشير الى كلمات مفردة بحيث تصل الى فهم الضعيف المبتدئ اذ مقصود
هذا الكتاب ان ينتفع به المبتدئ فى العبادة ويعلى الطالب قال بعض العلما كلما
يتيقن كونه ملكا للغير منهيا عنه فى الشرع فهو حرام محض واما اذا لم يكن لك يقين
بذلك ولكن يغلب على ظنك انه كذلك فهو شبهة وقال الاخرون بل الحرام المحض ما
يكون به علم او غالب ظن لان غلبة الظن مما يجرى مجرى العلم فى كثير من الاحكام فاذا
تساوت الامارتان حتى تبقى شاكا لا يكون لاحدهما ترجيح عندك فذلك شبهة
يشبه انه حلال ويشبه انه حرام فاشتبه امره عليك والتبس حاله ويشملهما ثم
الامتناع عن الذى هو حرام محض حتم واجب وعن الذى هو شبهة تقوى وورع
وهذا اولى القولين عندنا فان قيل فما تقول فى قبول جوائز السلاطين فى هذا الزمان
فاعلم ان العلما اختلفوا فيه فقال قوم كلما لا يتيقن انه حرام فله اخذه وقال اخرون
لا يحل ان ياخذ ما لا يتحقق انه حلال لان الاغلب فى هذا العصر على اموال السلا
طين الحرام والحلال فى ايديهم معدوم عزيز وقال قوم ان صلوات السلاطين
تحل للغنى والفقير اذا لم يتحقق انها حرام وانما التبعة على المعطى قالوا لان
النبى صلى الله عليه وسلم قبل هدية المقوقس ملك الاسكندرية واستقرض
من اليهودى مع قوله سبحانه فى حق اليهود اكالون للسحت قالوا وقد ادرك
جماعة من الصحابة ايام الظلمة واخذوا منهم فمنهم ابو هريرة وابن عباس وابن

هريرة

٦٧

عمرو غيرهم وقال اخرون لا يحل من اموالهم شيء لغني ولا لفقير اذهم موسومون
بالظلم والغالب على اموالهم السحت والحرام والحكم للغالب فيلزم الاجتناب وقال اخرون
ما لا يتيقن انه حرام فهو حلال للفقير دون الغني الا ان يعلم الفقير ان ذلك العين
عين الغصب فليس له ان يأخذه الا ليرده على مالكه ولا حرج على الفقير ان يأخذ من
اموال السلاطين لانها ان كانت ملك السلطان فاعطى الفقير فله اخذه بلا ريب
وان كانت من فيء او خراج او عشر فللفقير فيه حق وكذلك لاهل العلم قال علي بن ابي
طالب رضي الله عنه من دخل في الاسلام طايعا وقرأ القرآن ظاهرا فله في بيت المال المسلمين
كل سنة مائتا درهم ويروى عنه مائتا دينار ان لم يأخذها في الدنيا اخذها في الآخرة
واذا كان كذلك فالفقير والعالم يأخذ من حقه قالوا واذا كان المال مختلطا بمال المغصوب
لا يمكن تمييزه او غصبا لا يمكن رده على صاحبه او ذريته فلا مخلص للسلطان منه الا
ان يتصدق به وما كان الله ليأمره بالصدقة على الفقير وينهى الفقير عن قبوله او يأذن
للفقير بالقبول وهو عليه حرام فاذن للفقير ان يأخذ الا عين الغصب والحرام فليس له
اخذه وهذه المسائل لا يمكن الفتوى فيها الا ببسط وتشقيق واستيعاب القول
فيها يخرج عن المقصود من الكتاب فان اردت معرفتها فطالع كتاب الحلال والحرام من
كتاب الاحيا تجده مشروحا مبينا ان شاء الله تعالى فان قيل فما تقول في صلات اهل
السوق وغيرهم هل يلزم ردها والبحث عليها وقد علمت مجازفتهم وقلة نظرهم
في معاملاتهم وكذلك صلوة الاخوان فالجواب انه اذا كان ظاهر الانسان الصلاح
والستر فلا حرج عليك في قبول صلته وصدقته ولا يلزمك البحث بان تقول
قد فسد الزمان فان هذا سوء ظن بذلك الرجل المسلم بل حسن الظن بالمسلمين
مامور به ثم اعلم ما هو الاصل في هذا الباب وهو ان ها هنا شيئين احدهما حكم
الشرع وظاهره والثاني حكم الورع وحقه وحكم الشرع ان تأخذ ما اتاك ممن ظاهره
الصلاح ولا تسأل الآن تتيقن انه غصب او حرام بعينه وحكم الورع ان لا تأخذ

في ا بلبكر

نهاية

شيئاً من احد حتى تبحث عنه غاية البحث وتستقصي غاية الاستقصاء فتستيقن انه لا شبهة
فيه بحال والا فتردّه فلقد روينا عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه ان غلاماً له اتاه بلبن
فشربه فقال الغلام كنت قبل اليوم اذا جيتك بشيء تسالني عنه ولم تسالني عن هذا
اللبن قال وما قصته قال رقيت قوماً رقا الجاهلية فاعطوني هذا فقاء ابو بكر رضي الله عنه
وقال اللهم هذا مقدرتي وما بقي في العروق فانت حسيبه وهذا يدلك على وجوب
البحث عما تقدم عليه ان كان لك نظر في الورع وحقه فهذه هذه فان قلت فكان
الورع يخالف الشرع وحكمه فاعلم ان الشرع موضوع على اليسر والسماحة ولذلك قال صلى
الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السمحة والورع موضوع على التشديد والاحتياط
كما قيل الامر على المتقي اضيق من عقد التسعين ثم الورع من الشرع ايضا وكلاهما
في الاصل واحد ولكن للشرع حكمان حكم الجواز وحكم الافضل الاحوط فالجائز يقال له حكم
الشرع والافضل الاحوط يقال له حكم الورع وهما معاً تميزهما واحد في الاصل فافهم ذلك
راشداً فان قلت فاذا جاز البحث والاستقصاء عن كل شيء فسد علينا ما ناخذه في
هذا الزمان وتعذر الامر جملة على صاحب الورع اذ لابد من بلاغ يبلغه الى الطاعة فاعلم
ان طريق الورع شديد وان من قصد سلوكه فشرطه ان يوطن نفسه وقلبه على احتمال
المشقة ليصح له والا فلا يتم له ذلك ولهذا المعنى صار الكثير من اهل الورع والعلم والسابقين
الى جبل لبنان وغيره فاقتصروا على اكل الحشيش وثمرات تافهة لا شبهة فيها
بحال فمن سمت همته الى نيل منزلة الورع الاعلى فعليه ان يحتمل الشدائد ويصبر عليها
ويسلك طريق اولئك لينال منزلتهم واما ان قام بين الناس واكل مما يتداولونه
في ايديهم فليكن عنده بمنزلة الميتة لا يقدم عليها الا عند الضرورة ثم لا يتناول منها الا قدر
ما يبلغه الى الطاعة فيكون له عذر في ذلك ولا يضره وان كان في اصله شبهة فان الله
تعالى اولى بالعذر ولهذا قال الحسن رحمه الله اذا اشتد السوق فعليكم بالقوت
ولقد بلغني عن وهب ابن الورد انه كان يجوع نفسه يومين وثلاثة الى ان لا يتقوى

لبنان جبل عظيم بالشام

على العبادة

[illegible]

على العبادة ثم ياخذ رغيفا ويقول اللهم انك تعلم اني لا اقوى على هذه العبادة واخشى
الضعف والاثم ان لم آكله اللهم ان كان فيه شيء من خبث او حرام فلا تواخذني به ثم
يبل الرغيف في الماء ثم ياكله قلت فهذان الطريقان للطبقة العليا من اهل
الورع فما تعلم واما من دونهم فلهم احتياط وبحث على مقدار ما تتقي تنال ما تبتغي
والله سبحانه لا يضيع اجر من احسن عملا وهو عليم بما يفعلون فان قيل هذا
جانب الحرام فاخبرنا عن جانب الحلال وما حد الفضول الذي يلزم عليه منه الحبس والحساب
واما المقدار الذي اذا اخذه العبد يكون ذلك ادبا ولا يكون فضولا ولا عليه فيه حبس
ولا حساب يقال له اعلم ان احوال المباح في الجملة ثلاثة اقسام احدها ان ياخذ العبد
مفاخرا مكاثرا مرائيا مباهيا فيكون الاخذ منه فعلا منكرا يستوجب على ظاهر فعله
الحبس والحساب واللوم يوم القيامة والتعيير وهو منكر وشر يستوجب على باطن
فعله وهو التكاثر والتفاخر عذاب النار وذلك القصد منه معصية وذنب لقوله تعالى
انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة الى قوله تعالى وفي الاخرة عذاب شديد وقال صلى الله
عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا مباهيا مكاثرا مفاخرا مرائيا لقي الله وهو عليه
غضبان فالوعيد على قصده ذلك بقلبه والقسم الثاني ان ياخذ الحلال لشهوة
نفسه لا غير فذلك منه شر يستوجب عليه الحبس والحساب لقوله تعالى ثم لتسئلن
يومئذ عن النعيم وقال صلى الله عليه وسلم حلالها حساب وحرامها عقاب والقسم الثالث
ان ياخذ من الحلال في حال العذر قدرا يستعين به على عبادة الله تعالى ويقتصر على ذلك
فذلك منه خير وحسنة وادب لا حساب عليه ولا عقاب بل يستوجب عليه الاجر والمدحة
لقوله تعالى اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب وقال صلى الله عليه وسلم
من طلب الدنيا حلالا استعفافا عن المسئلة وتعطفا على جاره وسعيا على عياله
جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر وذلك لما قصد به هذا المقصد المحمود
لله تعالى فهذه هذه فاعلمها فان قيل فما شرط المباح حتى يصير خيرا وحسنة كما

فهذا ذكر ما حصل [illegible] للعلماء

ذكرتم فاعلم انه يحتاج كونه خيرًا في الاصل الى شرطين احدهما الحال والثاني القصد فان الحال يجب ان يكون في حال عذر وهو بحيث ان لم يأخذ يؤخذ وتفسيره ان يكون حاله ان لم يأخذ ذلك المباح ينقطع بسببه عن فرض او سنة او نفل يكون ذلك افضل من ترك المباح فان ترك مباح الدنيا فضيلة فاذا كان الحال كذلك فهو حال العذر واما القصد فهو ان يقصد به العُدَّة والاستعانة على عبادة الله تعالى وهو ان يذكر بقلبه انه لولا ما فيه من التوصل الى عبادة الله تعالى لما اخترتُ ذلك الاخذ من الدنيا الحلال الخير وحسنة وادبًا واما لو كان حاله حال العذر ولا يكون له هذا القصد والذكر او يكون له هذا القصد والذكر ولا يكون في حال العذر فلا يصير ذلك الاخذ من جملة الخيرات ثم الاستقامة على حفظ هذه الادب يحتاج الى بصيرة وقصد مجمل بانه لا يأخذ من الدنيا بحال الا للعون على عبادة الله تعالى حتى انه لو سهى عن ذكر الجملة في حال اجراءه ذلك القصد المجمل عن تجديد ذكر الجملة قال شيخنا رحمه الله فصارت الامور الثلاثة معتبرة فيه كل واحدة من وجه يعني ان الذكر والحال معتبران في حصول كونه خيرا اصلا والقصد المجمل المقتضي عن بصيرة منزلة الادب معتبر في الاستقامة عليه فافهم ذلك راشدًا فان قيل فان أخذَ الدنيا الحلال بشهوة فهل يكون ذلك معصية وهل يلزم عليه عذاب وهل الاخذ بالعذر فرض ام لا فاعلم ان ذلك فضيلة وتسميه خيرا وحسنة والامر به امر تاديب والاخذ بشهوة شر وسيئة والنهي عنه نهي زجر وليس ذلك بمعصية ولا يكون عليه عذاب النار وانما عليه الحبس والحساب واللوم والتعيير فان قلت فما هذا الحبس والحساب الذي يلزم العبد فاعلم ان الحساب ان يسأل العبد يوم القيامة عماذا اكتسبت وفيماذا انفقت وماذا اردت بذلك والحبس حبس عن الجنة مدة الحساب بذلك في عرصة القيامة بين اهوالها ومخاوفها عريان عطشان جوعان وكفى بتلك بلية فان قيل فان الله تعالى قد احل لنا هذا الحلال فاللوم والتعيير في اخذه لماذا فاعلم ان اللوم والتعيير لترك الادب كمن اجلس على مائدة الملك فترك الادب فانه يعير بذلك ويلام وان كان الطعام له مباحا والاصل في هذا الباب ان الله

تعالى

تعالى خلق العبد لعبادته وهو عبد الله تعالى من كل وجه فحق العبد ان يعبد الله من كل وجه
يمكنه ويجعل افعاله كلها عبادة من اي وجه امكنه فان لم يفعل ذلك وآثر شهوة نفسه
واشتغل بذلك عن عبادة ربه مع تمكنه من ذلك من غير عذر والدار دار الخدمة وعبادة
لا دار تنعم وشهوة استحق بذلك التعيير واللوم من سيده فتأمل هذا الاصل ارشدا
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فهذه الجملة التي اردنا بيانها في اصلاح النفس
والجامها بلجام التقوى فارعها حقها واحتفظ بها جدا تفز بالخير الكثير في الدارين
انشاء الله تعالى والله ولي التوفيق بفضله فصل فعليك ايها الرجل ببذل المجهود
في قطع هذه العقبة العظيمة الطويلة فانها اعظم العقبات شدة واكثرها
مؤنة واكبرها آفة وفتنة فان من هلك من الخلق كلهم انما انقطع عن طريق
الحق اما بسبب دنيا او خلق او شيطان او نفس ولقد ذكرنا في كتبنا المصنفة
من كتاب الاسرار والاحياء والقربة الى الله تعالى ما يبعث على الاهتمام بذلك
ومقصود هذا الكتاب اني سألت الله ان يطلعني على سر معالجة النفس وان
يصلحني ويصلح بي غيري فاقتصرت في هذا الكتاب الشريف على نكت وجيزة اللفظ
عزيزة المعنى تقنع من تأملها وتدع على واضحة من الطريق ان شاء الله تعالى
وهذا الفصل يختص بنكت في معالجة الدنيا والخلق والشيطان والنفس اما الدنيا
فحق لك ان تحذرها وتزهد فيها فان الامر لا يخلو من ثلاثة اما انت من ذوي
البصائر والفطن فحسبك اقل ان الدنيا عدوة الله سبحانه وتعالى وهو حبيبك
ووليك وان الدنيا نقيضة عقلك والعقل قيمتك واما انت من ذوي الهمم
في عبادة الله تعالى والاجتهاد فحسبك ان الدنيا بلغ شومها الى حد ما يمنعك
ارادتها ويشغلك الفكرة فيها عن عبادة الله تعالى والخير فكيف بنفسها
واما انت من ذوي الغفلة لا بصيرة لك تبصر الحقائق ولا همة لك تبعث
على المكارم فحسبك ان الدنيا لا تبقى لك اما ان تفارقها او ان تفارقك
كما قال الحسن البصري رحمه الله ان بقيت لك الدنيا لم تبق لها فاي فائدة

جيزة اي مختصر

مكوجولي

اذا في طلبها وانفاق العمر العزيز عليها ولقد احسن القائل «هب الدنيا تساق اليك
عفوا» اليس مصير ذاك الى زوال» وما دنياك الا مثل ظل» اظلك ثم اذن بارتحال»
فلا ينبغي للعاقل اذا ان يخدع بها ولقد صدق القائل «احلام نوم او كظل زائل»
ان اللبيب بمثلها لا يخدع» واما الشيطان فحسبك فيه ما قال الله تعالى لنبيه محمد
صلى الله عليه وسلم وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون
فهذا خير العالمين واعلمهم واعقلهم وافضلهم عند الله عز وجل يحتاج مع ذلك
ان يستعيذ بالله من الشيطان فكيف بك مع جهلك ونقصك وغفلتك واما
الخلق فحسبك فيهم انك لو خالطتهم او وافقتهم في اهوائهم اثمت وافسدت
امر آخرتك وان خالفتهم تعبت باذياتهم وجفواتهم وكدرت عليك امر دنياك
ثم لا تأمن ان يلجئوك الى معاداتهم ومناواتهم فتقع في شرهم ولانهم ان مدحوك
وعظموك اخاف عليك الفتنة والعجب وان ذموك وحقروك اخاف عليك
للحزن تارة والغضب لغير الله اخرى فكلا الامرين آفة مهلكة ثم اذكر حالك
معهم بعد ما صرت الى القبر بثلاثة ايام كيف يتركونك ويهجرونك وينسونك
فلا يكادون يذكرونك كانك لم تزرهم ولم يرونك يوما فلم يبق هناك الا الله
سبحانه وتعالى افلا يكون من الغبن العظيم ان تضيع ايامك مع هؤلاء الخلق
مع قلة الوفاء وقلة البقاء معهم وتترك خدمة الله تعالى الذى ترجع اخر الامور
الامر اليه وحده لا شريك له ولا يبقى لك الا هو ابدا الابدين والحاجات كلها
والتكلان كله عليه والاعتصام كله في كل حال وعند كل شدة وهول به وحده لا شريك
له فتأمل يا مسكين لعلك ترشد ان شاء الله تعالى والله ولي الهداية بفضله
واما النفس فحسبك ما تشاهد من حالاتها ورداءة اراداتها وسوء اختيارها
فهي في حال الشهوة بهيمة وفي حال الغضب سبع وفي حال المصيبة تراها طفلا
وفي حال النعمة تراها فرعونا وفي حال الجوع تراها مجنونا وفي حال الشبع تراها

محتالا

محنتا ان اشبعتها بطرت وسرحت وان جوعتها صاحت وجزعت فهي كما قال
القائل كحمار السوء ان اشبعته رمح الناس وان جاع نهق ولقد صدق بعض الصالحين
حيث قال ان من رداءة هذه النفس وجهلها بحيث اذا همت بمعصية او انبعثت
لشهوة لو تشفعت اليها بالله سبحانه ثم برسوله وبجميع انبيائه وبكتابه وبجميع
السلف الصالحين من عباده وتعرض عليها الموت والقبر والقيامة والجنة والنار
فلا تعطي القياد وتترك الشهوة ثم اذا استقبلتها بمنع رغيف تسكن وتترك
شهوتها لتعلم خستها وجهلها فاياك ايها الرجل ان تغفل عنها فانها كما قال
خالقها العالم بها جل جلاله ان النفس لامارة بالسوء فكفى بهذا تنبيها لمن عقل
ولقد بلغنا عن بعض الصالحين يقال له احمد بن ارقم البلخي انه قال نازعتني نفسي
للخروج الى الغزو فقلت سبحان الله ان الله تعالى يقول ان النفس لامارة بالسوء
وهذه تأمرني بالخير لا يكون هذا ابدا ولكنها اشتاقت واستوحشت فتريد
لقاء الناس لتستريح اليهم ويتسامع الناس بها فيستقبلونها بالتعظيم
والبر والاكرام فقلت لها لا انزلك العمران ولا انزل على ذي معرفة فاجابت
فاسأت الظن بها وقلت الله تعالى اصدق فقلت لها اقاتل العدو حاسرا
فتكونين اول قتيل فاجابت وعدا شيئا مما ارادها فاجابت الى ذلك كله فقلت
يا رب نبهني لها فاني متهم لها مصدق لك فكوشفت كانها تقول انت يا
احمد تقتلني كل يوم بمنعك اياي من شهواتي مرات وبخلافك ولا يشعر
به احد فان قاتلت قتلت مرة واحدة فنجوت منك ويتسامع الناس فيقال
استشهد احمد ويكون لي شرفا وذكرا قال فقعدت ولم اخرج الى الغزو في
ذلك العام فانظر الى خدع النفس وغرورها تراي الناس بعد الموت
بعمل لم يكن بعد ~~الموت بحيله يكسيه بعد~~ ولقد صدق القائل

توق نفسك لا تأمن غوائلها • فالنفس اخبث من سبعين شيطانا

فتنبه ايها الانسان رحمك الله لهذه الخداعة الامارة بالسوء و

على مخالفتها فكما قلبك بكل حال تصب وتسلم ان شاء الله تعالى ثم عليك بالجامها بالتقوى
لا حيلة لها سواه واعلم ان ههنا اصلا اصيلا وهو ان العبادة شطران شطر الاكتساب وشطر
الاجتناب فالاكتساب فعل الطاعات والاجتناب الامتناع عن المعاصي والسيئات وهو
التقوى وان شطر الاجتناب على كل حال اسلم واصلح وافضل واشرف للعبد من شطر الاكتساب
ولذلك يشتغل المبتدئون من اهل العبادة الذين هم في اول درجة الاجتهاد بشطر الاكتساب
كل همتهم ان يصوموا نهارهم ويقوموا ليلهم ونحو ذلك ويشتغل المنتهون اولو البصاير
من اهل العبادة بشطر الاجتناب انما همتهم ان يحفظوا قلوبهم عن الميل الى غير الله وبطونهم
عن الفضول والسنتهم عن اللغو واعينهم عن النظر الى ما لا يعنيهم ولهذا المعنى
قال العابد الثاني من العباد السبعة ليونس يا يونس ان من الناس من حببت اليهم الصلوات
فلا يؤثرون عليها شيئا وهي عمود العبادة بالثبات لله تعالى والصدق والتضرع
والابتهال ومنهم من حبب اليه الصوم فلا يؤثرون عليه شيئا ومنهم من حبب اليه
الصدقة فلا يؤثر عليها شيئا يا يونس وانا افسر لك هذه الخصال اجعل صومك
الصمت عن كل سوء واجعل صدقتك كفك الاذى فانك لا تتصدق بشيء افضل منه
ولا تصوم بشيء ازكى منه فاذا علمت ان جانب الاجتناب اولى للرعاية والاجتهاد
فان حصل لك الشطران جميعا الاجتناب والاكتساب فقد استكمل امرك وحصل
مرادك ولقد سلمت وغنمت فان لم تقدر الا على احدهما فليكن ذلك جانب الا
جتناب فتسلم ان لم تغنم والا حسرة الشطرين جميعا ولا ينفعك قيام الليل
وتعبه ثم تحبطه بارادة واحدة وهي الريا والعجب والكبر وما ينفعك صيام
نهار طويل وتفسده بكلمة واحدة ولقد روينا عن ابن عباس رضي الله عنه انه قيل
له في رجلين احدهما كثير الخير كثير الشر والآخر قليل الخير قليل الشر ايهما اولى
قال ما اعدل بالسلامة شيئا ومثال ما قلناه حال المريض وذلك ان معالجة المريض
نصفان نصف هو الدواء ونصف هو الاحتماء فان اجتمعا فكانك بالمريض
صنعاله

وقد برئ وصح والا فالاحتماء به اولى اذ لا ينفع دواء مع ترك الاحتماء وقد ينفع الاحتماء
مع ترك الدواء وقد قال صلى الله عليه وسلم اصل كل دواء الحمية والمعنى بها والله اعلم انها
تغني عن كل دواء ولذلك يقال ان اهل الهند جل معالجتهم الحمية يمنعون المريض عن
الاكل والشرب والكلام عدة ايام فيبرأ ويصح بذلك لا غير فتبين لك بهذه الجملة
ان التقوى ملاك الامر وجوهره واهلها هم الطبقة العليا من العباد فعليك
بذل المجهود في ذلك وصرف جل العناية اليه والله ولي التوفيق بفضله فصل ثم راع
هذه الاعضاء الاربعة التي هي الاصول الاول العين وحسبك فيها ان مدار امور الدين
والدنيا على القلب وان خطر القلب وشغله وفساده في الاكثر من العين ولذلك قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يملك عينه فليس للقلب عنده قيمة والثاني اللسان
وحسبك ان فيه ربحك وغنيمتك وثمرة تعبك واجتهادك كله للعبادة والطاعة
وان خطر العبادة واحباطها وافسادها في الاكثر من قبل اللسان بالتصنع والتزين
والغيبة ونحوها يتلف عليك بلفظة واحدة ما تعبت فيه سنة بل خمسا وعشرا ولذلك
قيل ما شيء احق بطول السجن من اللسان وفيما يروى ان احد العباد السبعة قال ليونس
يا يونس ان العباد اذا اجتهدوا في العبادة لم يتفقوا على عبادتهم بشيء افضل من الصبر
عن الكلام في فصل طويل ثم عاد الى ذلك فقال فلا يكونن عندك شيء آثر من حفظ لسانك
ولا تكونن بشيء اغنى به من سلامة صدرك فهذه هذه ثم اذكر النفس الذي تكلمت فيه بفضول
ما كان يضرك لو قلت استغفر الله العظيم فربما يوافق ساعة عزيزة فيغفر الله لك فتربح
رأس مالك او قلت لا اله الا الله فيكون لك من الاجر والذخر ما لا يحيط به وهمك او تقول
اسأل الله الكريم العافية فربما يتفق حسن نظر فيستجيب الله عز وجل دعوتك فتحوز
من بلية الدنيا والاخرة افلا يكون من الخسران المبين والغبن الفظيع ان تفوت نفسك
كل هذه الفوائد الكريمة وتجعل نفسك ووقتك في فضول اقل ما يلزمك فيه في اللوم
والحساب يوم القيامة ولقد احسن القائل في قوله واذا هممت بالنطق في الباطل فاجعل مكانه
تسبيحا الثالث البطن وحسبك ان مقصودك العبادة وان الطعام بذر العمل ومادته

وما هو منه يبدو وينبت واذا خبث البذر لا يطيب الزرع بل فيه خطر يفسد عليك ارضك فلا تفلح ابدا ومن ذلك ما بلغنا عن معروف الكرخي رحمة الله عليه انه قال اذا صمت فانظر على اي شيء تفطر وعند من تفطر وطعام من تاكل فكم من ياكل اكلة فينقلب قلبه عما كان عليه لا يعود الى حاله ابدا وكم من اكلة حرمت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة سورة وان العبد ليأكل اكلة فيحرم بها قيام سنة فعليك ايها الرجل بالنظر الدقيق والاحتياط البالغ في قوتك ان كانت لك عناية بقلبك وهمة في عبادة ربك هذا في اصل القوت حتى يكون من وجه حلال ثم عليك بالادب فيه والا كنت حالا للطعام مضيعا للايام اذ قد علمنا يقينا بل قد رأيناه عيانا ان العبادة لا يجيء منها شيء اذا امتلا البطن وان اكرهت النفس على ذلك وجاهدت بضروب الحيل فلا يكون لتلك العبادة لذة ولا حلاوة ولذلك قيل لا تطمع بحلاوة العبادة مع كثرة الاكل واي نور في نفس بلا عبادة وفي عبادة بلا لذة ولا حلاوة ولهذا المعنى قال ابراهيم بن ادهم رحمه الله صحبت اكثر رجال الله في جبل لبنان فكانوا يوصونني اذا رجعت الى ابناء الدنيا فعظهم باربع قل لهم من يكثر الاكل لا يجد لذة العبادة ومن ينم كثيرا فلا يجد في عمره بركة ومن يطلب رضى الناس فلا ينتظرن رضى الرب ومن يكثر الكلام بفضول او غيبة فلا يخرج من الدنيا على دين الاسلام وعن سهل رحمه الله انه قال اجتماع الخير في هذه الخصال وبها صارت الابدال ابدالا باخماص البطون والصمت والاعتزال عن الخلق وسهر الليل وقال بعض العارفين الجوع راس مالنا ومعناه انما يحصل لنا من فراغ وسلامة وعبادة وحلاوة وعلم نافع بسبب الجوع والصبر عليه لله عز وجل واما القلب فحسبك انه اصل الكل اذا افسدته فسد الكل وان اصلحته صلح الكل اذ هو الشجرة وساير الاعضاء اغصان ومن الشجرة تشرب الاغصان وتصلح وتفسد وانه الملك وساير الاعضاء تبع واعوان اذا صلح الملك صلحت الرعية واذا فسد فسدت الرعية فاذا صلاح العين واللسان والبطن وغيره دليل على صلاح القلب وعمارته فاذا رايت

ليأكل

العظات الاربع

عمارته

فيه

فيه خللا او فسادا فاعلم ان ذلك من خلل في القلب وفساد وقع بل الفساد فيه
اكثر فاصرف عنايتك اليه فاصلحه ينصلح لك الكل بمرة فتستريح ثم امره دقيق
عسير اذ هو مبني على الخواطر وهي ليست تحت يدك فلزمك الامتناع من اتباعها
مجهود طاقتك ففيه اقصى المشقة ولهذا المعنى صار اصلاحه اشد مشقة على اهل
الاجتهاد والاهتمام بامره اكبر واكثر عند ذوي البصاير وعن ابي يزيد رحمه الله
قال عالجت قلبي عشرا ولساني عشرا ونفسي عشرا فكان قلبي اصعب الثلاثة فهذه هذه
ثم عليك بالاهتمام بالخصال الاربع التي ذكرناها من الامل والعجلة في الامور
والحسد والكبر وانما خصصنا هذه الاربع من بين ساير الخصال في هذا الموضع
وحضضنا على الاحتراز منها لانها علل القراء خاصة وهي تعتري ساير الناس
عموما والقراء خصوصا فتكون اقبح واشنع فترى الرجل القاري بطول الامل
ويعد نية خير فيوقعه في الكسل والتواني في العمل فتراه يستعجل في تحصيل
منازل الخير وهو ينقطع عنها او في اجابة دعاء صالح فيحرم ذلك او في الدعاء
على احد بسوء فيندم على ذلك كما ذكر عن نوح عليه السلام وتراه يحسد نظراءه على
ما اتاهم الله من فضله حتى ربما يبلغ ذلك منه مبلغا يحمله على قبايح وفضايح
لا يقدم عليها فاسق ولا فاجر ولهذا المعنى قال سفيان الثوري رحمه الله
ما اخاف على ادمي الا من القراء والعلماء فاستنكروا ذلك منه فقال ما انا
قلته انما قاله ابراهيم النخعي رحمه الله وعن عطا قال قال الثوري احذروا
القراء واحذروني معهم فلو خالفت احدهم في رمانة فاقول انها
حلوة ويقول انها حامضة ما امنته ان يسعى بدمي الى سلطان جاير وعن
مالك بن دينار رحمه الله قال اني اقبل شهادة القراء على جميع الخلق ولا اقبل
شهادة بعضهم على بعض لاني وجدتهم حسادا وعن الفضيل رحمه الله انه
قال لابنه اشتروا لي دارا بعيدة من القراء ما لي وللقوم ان ظهرت مني زلة هتكوني
وان ظهرت علي لله نعمة حسدوني ولذلك تراه يتكبر على الناس ويستخف
بهم مصعرا خده معبسا وجهه كانه يمن على الناس بما يصلي ركعتين.

. كاق عبس

اوكانما جاه من الله منشور بالجنة والبرأة من النار اوكانه استيقن لنفسه
الخير والسعادة ولساير الناس الشقاوة ثم مع ذلك يلبس ثياب المتواضعين
من صوف وغيره ويتمادح وهذا يليق بالترفع والتكبر ولا يلايمه بل ينا قضه اوز توب بكلور
ولكن الاعمى لا يبصر وذكر ان فرقد السنجي دخل على الحسن البصري رحمة الله عليه
كساؤ وعلى الحسن البصري حلة فجعل يلمسها فقال له الحسن لم الحسن مالك تنظر الى
ثيابي ثياب اهل الجنة وثيابك ثياب اهل النار بلغني ان اكثر اهل النار اصحاب
الاكسية ثم قال الحسن كلا جعلوا الزهد في ثيابهم والكبر في قلوبهم والذي يحلف
به لاحدكم بكسائه اعظم كبرًا من صاحب المطرف بمطرفه والى هذا المعنى اشار ذو
النون المصري رحمه الله حيث قال تصوف فارادها بالصوف جهلا، وبعض مهانه؟
الناس يلبسه تجانة يريك مهانة ويريك كبرا، وليس الكبر من شكل المهانة، ثياب طيب
تصوف كي يقال له امين، وما معنى تصوفه الامانة، ولم يرد الاله به ولكن
اراد به الطريق الى الخيانة، فأحذر ايها الرجل من هذه الافات الاربع لا سيما
الكبر فان الثلاثة الاول مداحض لو زللت فيها لوقعت في العصيان والكبر
مدحض لو وقعت فيه لوقعت في بحار الكفر والطغيان ولا تنس حديث ابليس
وفتنته انه ابى واستكبر فكان من الكافرين فالرجوع الى الله عز وجل انه
ان يعصمنا جميعا بحسن نظره انه الجواد الكريم فصل وجملة الامر انك
اذا نظرت بعقلك ايها الرجل فعلمت ان الدنيا لا بقا لها وان نفعها لا يفي
بضررها وتبعاتها من كد البدن وشغل القلب في الدنيا والعذاب الاكبر
والحساب الطويل في الاخرة زهدت في فضولها فلا تاخذ منها الا ما لا بد
لك منه في عبادة ربك وتدع التنعم والتلذذ الى الجنة دار النعيم المقيم في
جوار رب العالمين الملك القادر الغني الكريم وعلمت ان الخلق لا وفاء لهم
وان مؤنتهم اكثر من معونتهم فيما يعنيك تركت مخالطتهم الا فيما لا بد لك منه
ازلوح

تنتفع

تنتفع بخيرهم وتجتنب شرورهم وتجعل صحبتك لمن لا تخسر في صحبته ولا
تندم على خدمته وانسك بكتابه وملازمتك لبابه فيكون لك بكل حال
وترى منه كل جميل وافضال وتجده عندك لنائبته في الدنيا والاخرة كما قال صلى الله
عليه وسلم احفظ الله تجده امامك حيث اتجهت واعلم ان هذا الشيطان خبيث قد
تجرد لمعاداتك فاستعذ بربك القادر القاهر من شر هذا الكلب اللعين
ولا تغفل عن مكايده ومصايده فتطرده بذكر الله تعالى ولا تعبا بذلك
فانه يسلي اذا ظهرت منك عزايم الرجال وانه كما قال الله تعالى انه ليس
سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون لقد صدق ابو حازم رحمه الله
فيما قال ما الدنيا وما ابليس اما الدنيا فما مضى منها فحلم وما بقي فاماني واما
ابليس فوالله لقد اطيع فما نفع وعصي فما ضر وعلمت ان جهالة هذه النفس
وجماحها الى ما يضرها وبهلكها نظرت اليها رحمة لها نظر العلماء والعقلاء
الذين ينظرون في العواقب لا نظر الجهال والصبيان الذين ينظرون الى
الحال ولا ينظرون لغائلة الاذى ويفرقون من مرارة الدواء والجمتها بلجام
التقوى بان تمنعها عما لا تحتاج اليه بالحقيقة من فضول وكلام ونظر و
وتلبس بخصلة فاسدة من طول امل او بخل او حسد لمسلم او تكبر في غير
موضع او اكل بعض شهوة وشره وتعطيها ما ليس لها بد منه ولا تخاف
منه ضررا اذ لا ضرورة الى الفضول وقد وسع الله عز وجل الامر على
عباده برحمته واغناهم عن جميع ما يضرهم في امر دينهم فاي حاجة الى
ذلك فان الامر كما قال بعض الصالحين ان التقوى اهون شيء اذا رابني
شيء تركته فان النفس ستلين وتتعود ما عودتها كما قال القائل الخبير
فالنفس راغبة اذا رغبتها واذا ترد الى قليل تقنع وقال اخر هي النفس ما
حملتها تتحمل وقال اخر وما النفس الا حيث يجعلها الفتى فان طمعت
تاقت والا تسلت فاذا علمت الذي وصفناه لك وعملت به كنت من الزاهدين
في الدنيا الراغبين في الاخرة واعلم ان من سمي باسم الزهد فقد سمي

وكما قال البوصيري ولقد احسن
النفس كالطفل ان
تهمله شب على
حب الرضاع وان
تفطمه ينفطم

المنقطعين

بالف اسم ممدوح وكنت من المنفردين المنقطعين الى الله سبحانه وتعالى الذين هم اهل الانس
خدم رب العالمين فيكون كما قال فيهم القائل تشاغل قوم بدنياهم وقوم تخلوا لمولاهم
فالزمهم باب مرضاته وعن سائر الخلق اغناهم فلا يعرفون سوى حبه فلولا الاله
مولاهم اذا ذكروا الذين اسلفوا اذاب القلوب وابكاهم وكنت من المجاهدين
في الله الخواص من عباد الله تعالى الذين قال فيهم عز وجل سبحانه ان عبادي ليس لك عليهم
سلطان وكنت من المتقين الذين لهم سعادة الدارين وصرت حينئذ افضل من كثير
من الملائكة المقربين اذ ليس لهم شهوة تدعو الى قبيح ولا نفس خبيثة وكنت قد قطعت
هذه العقبة الطويلة الشديدة وسبقت العوائق كلها الى مقصودك
ولا يهولنك ذلك فانه مع الاستعاذة بالله والاعتصام به لهين نسال الله وهو
خير مسؤول ان يحوطك واياناً بحسن نظره وتوفيقه وعونه وتيسيره فانه الكافي لكل
مهم والاستعانة به في كل معضل فبيده الخلق والامر وهو على كل شيء قدير فهذا ما
اردنا ذكره في هذا الباب ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم العقبة الرابعة وهي
عقبة العوارض ثم عليك يا طالب العبادة وفقك الله تعالى بكفايته بتوكل
العوارض الشاغلة عن عبادة الله تعالى وسد سبلها عنك لئلا تشغلك
عن مقصودك وقد ذكرنا انها اربعة احدها الرزق ومطالبة النفس بذلك وانما
كفايته في التوكل فعليك بالتوكل على الله عز وجل في موضع الرزق والحاجة بكل حال
وذلك لامرين احدهما التفرغ لعبادة الله تعالى ويتمشى لك من الخير حقه فان
من لم يكن متوكلا فلا بد من اشتغاله عن عبادة الله تعالى بسبب الحاجة والرزق
والمصالح اما ظاهرا واما باطنا اما بطلب وكسب بالبدن كعامة الراغبين
واما بذكر وارادة ووسوسة بالقلب كالمجتهدين المقلين والعبادة تحتاج
الى فراغ القلب والبدن ليحصل حقها والفراغة لا تكون الا للمتوكلين بل اقول
كل من هو ضعيف القلب لا يكاد يطمئن قلبه الا بشيء معلوم ولا يكاد يتم
له امر خطير من دنيا واخرة وكثيرا ما سمعت من شيخي ابي محمد رحمه الله
يقول انما الامور تتمشى في العالم لرجلين متوكل او متهور جري قلت وهذا كلام

خلفت ... اي خلفت ... بلغ ... حطير قدر منزلة

مار ... عزم ... جامع

جامع في معناه فان المتهوّر يقصد الامور على قوة لا عادة وجرأة قلب لا يلتفت
الى صارف يصرفه او خاطر يضعفه فيجري له الامور والمتوكل يقصد الامور على قوة وبصيرة
وكمال يقين وطمانية بوعد الله عز وجل وتمام ثقة بضمانه فلا يلتفت الى انسان
يخوفه او شيطان يوسوسه فيفوز بمقاصده ويظفر بمطالبه واما المعلق
الضعيف يكون ابدا بين شكوك وتردد وقصور وتحير كالحمار في معلفه والدجاج
في قفصه يؤمّل ما تعود من صاحبه لا يكاد ينفك عن ذلك تقاعدت نفسه عن معالي
الامور وانقطعت همته فلا يكاد يقصد امرا شريفا فان قصده فلا يكاد يظفر به
ولا يتم له ذلك اما ترى اصحاب الهمم من ابناء الدنيا لم ينالوا مرتبة كبيرة ومنزلة
خطيرة الا بانقطاع قلوبهم عن انفسهم واموالهم واهليهم اما ترى الملوك يبا
شرون الحروب ويكافحون الاعداء اما هلكا واما ملكا حتى تحصل لهم مرتبة الملوك
وعقد الولاية وقيل ان معاوية رحمه الله لما نظر الى العسكرين يوم صفين قال
من اراد خطيرا خاطر بالعظيمة واما التجار فيركبون المهالك برا وبحرا ويطرحون انفسهم واموالهم في القاطع
وبوا انفسهم على احد الامرين اما فوت الارواح واما حصول الارباح حتى يحصل لهم
بذلك كل ربح عظيم ومال جسيم وعلق نفيس واما السوقي الذي ضعف قلبه
ورق عزمه لا يكاد يقطع قلبه عن علاقته من نفسه وماله فهو من بيته الى دكانه
طول عمره لا يصل الى مرتبة شريفة كالملوك ولا الى ربح عظيم كالتجار المخاطرين
فان نال في سوقه ربحا على بضاعته درهما فذلك له كثير لتعلق قلبه بشيء
معلوم فهذا في الدنيا وابنائها واما ابناء الاخرة فراس مالهم هذه الخصلة
التي هي التوكل وقطع القلب عن العلايق لما احكموها وحصلوها حملها تفرغوا
لعبادة الله تعالى وتمكنوا من التفرد عن الخلق والسياحة في الارض واقتحام
الفيافي واستيطان الجبال والشعاب فصاروا اقويا العباد ورجال الدين ... ولكن
واحرار الناس وملوك الارض بالحقيقة يسيرون حيث يشاؤون ويتركون
حيث يشتهون ويقصدون من الامور العظام علما وعبادة كما يشاؤون ويتولونه

ولا الى
طوله

لا عايق لهم ولا حاجز دونهم وكل الاماكن لهم قدم واحد وكل الازمان عندهم واحد
واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من سره ان يكون اغنى الناس فليكن بما في يد الله تعالى
اوثق منه بما في يده وعن سليمان الخواص رحمه الله انه قال لو ان رجلا توكل على الله بصدق النية
لاحتاج اليه الملوك والامراء ومن دونهم ولا يحتاج هو اليهم وكيف يحتاج ومولاه الغني
الكريم الحميد وعن ابراهيم الخواص رحمه الله قال لقيت غلاما في التيه كانه سبيكة فضة فقلت
الى اين يا غلام فقال الى مكة فقلت بلا زاد ولا راحلة قال يا ضعيف اليقين الذي يقدر
على حفظ السموات والارض لقادر ان يوصلني الى مكة بلا زاد ولا راحلة فاذا وصلت
مكة فاذا هو في الطواف يقول هذه الابيات يا نفس سيحي ابدا ولا تحبي احدا الا الجليل
الصمدا يا نفس موتي كمدا فلما راني قال يا شيخ انت بعد على ذلك الضعيف اليقين
وقال ابو مطيع لحاتم الاصم بلغني انك تقطع المفاوز بالتوكل من غير زاد قال حاتم
زادي اربعة اشياء قال ما هي قال ارى الدنيا والاخرة مملكة لله تعالى وارى
الخلق كلهم عيالا لله وارى الاسباب والارزاق كلها بيد الله وارى قضا الله
تعالى نافذا في خلقه في جميع ارضه سبحانه ولقد احسن القايل حيث قال
ارى الزهاد في روح وراحة، قلوبهم عن الدنيا مزاحة، اذا ابصرتهم ابصرت قوما،
ملوك الارض سيمتهم سماحه، واما الامر الثاني الذي اقتضى التوكل على الله
تعالى في هذا الشان هو ما في تركه من الخطر العظيم والامر الكبير قلت اليس الله تعالى
قرن الرزق بالخلق فقال تعالى خلقكم ثم رزقكم فدل على ان الرزق من الله تعالى
لا من غيره كالخلق ثم لم يكتف بالدلالة حتى وعد فقال ان الله هو الرزاق ثم لم
يكتف بالوعد حتى ضمن فقال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ثم لم
يكتف بالضمان حتى اقسم فقال فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم
تنطقون ثم لم يكتف بذلك حتى امر بالتوكل وابلغ وانذر فقال وتوكل على الحي
الذي لا يموت وقال وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين فمن لم يعتبر بقوله
تعالى ولم يكتف بوعده ولم يطمئن ضمانه ولم يقنع بقسمه ثم لم يبال بامره
ووعده ووعيده فانظر ماذا يكون حاله واتنبه اي محنة تجيء من هذا وهذه

يا نفس

ثم

من سره ان يكون اقوى الناس فليتوكل على الله صح

والله مصيبة شديدة ونحن منها في غفلة عظيمة ولقد قال الصادق الامين صلى الله
عليه وسلم لابن عمر رضي الله عنهما كيف انت اذا بقيت بين قوم يخبئون رزق سنتهم
لضعف اليقين وعن الحسن انه قال لعن الله اقواماً اقسم لهم ربهم فلم يصدقوه
وقالت الملائكة عند نزول هذه الاية فورب السماء والارض هلكت بنو آدم
اغضبوا الرب حتى اقسم لهم على ارزاقهم وعن اويس القرني رحمه الله انه قال
لو عبدت الله عبادة اهل السموات والارض لم يتقبل منك حتى تصدقه قيل وكيف
نصدقه قال تكون آمناً بما تكفل الله من امر رزقك وترى جسدك فارغاً للعبادة
ولقد قال له هرم بن حيان اين تامرني ان اقيم فاومى بيده الى الشام فقال
هرم كيف المعيشة بها فقال اويس ان هذه القلوب لقد خالطها الشك
فما تنفعها الموعظة وقد بلغنا ان نبّاشاً تاب على يد ابي يزيد البسطامي
رحمه الله فسأله ابو يزيد عن حاله فقال نبشت عن الف قبر فلم ار وجوههم
الى القبلة الا رجلين فقال ابو يزيد مساكين اولئك تهمة الرزق حولت
وجوههم عن القبلة وذكر لي بعض اصحابنا انه رأى رجلاً من اهل الصلاح
فسأله عن حاله وقال له هل سلمت بايمانك فقال انما يسلم الايمان للمتوكلين
نسأل الله تعالى ان يصلحنا بفضله وان لا يؤاخذنا بما نحن اهله انه ارحم الراحمين
فهذه هذه فان قلت فاخبرنا ما حقيقة التوكل وحكمه وما يلزم العبد منه
في امر الرزق فاعلم انما يتبين لك هذا باربعة فصول بيان لفظة التوكل
وموضعه وحده وحصنه فاما اللفظة فانما هي توكل على وزن تفعل من
الوكالة فالتوكل على احد هو الذي يتخذه بمنزلة الوكيل القائم بامره الضامن
م. لا صلوحه الكافي له من غير تكلف واهتمام فهذه هذه واما الموضع فاعلم
ان التوكل اسم يطلق في ثلاثة مواضع احدها في موضع القسمة وهو الثقة بالله والاعتماد
بالله تعالى بانه لا يفوتك ما قسم لك فان حكمه لا يتبدل وهذا واجب بالسمع
والثاني في موضع النصرة وهو الاعتماد والوثاقة بنصر الله عز وجل
لك اذا نصرته وجاهدت قال الله عز وجل فاذا عزمت فتوكل على الله وقال
ان تنصروا الله ينصركم وقال وكان حقاً علينا نصر المؤمنين وهذا واجب

فقه

بالوعد والثالث في موضع الرزق والحاجة فان الله عز وجل متكفل بما يقيم بنيتك لخدمته
وتتمكن به من عبادة الله تعالى وذلك قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه
وقال الصادق صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير الامين ح
تغدو اخماصا وتروح بطانا وهذا فرض لازم للعبد بدليل العقل والشرع جميعا
وهذا هو الاشهر الاغلب منه اعني التوكل في موضع الرزق وهو المقصود من
هذا الرزق الفصل فموضع التوكل اذا هو الرزق المضمون فيما قال العلماء
بالله وانما يتضح لك هذا ببيان اقسام الرزق فاعلم ان الرزق اربعة اقسام
مضمون ومقسوم ومملوك وموعود فالمضمون فهو الغذاء وما به قوام
البنية دون الاسباب فالضمان من الله عز وجل بهذا النوع والتوكل يجب
بازائه بدليل العقل والشرع لان الله تعالى كلفنا خدمته وطاعته بابداننا
فضمن ما يسد به خلل البنية لنقوم بما كلفنا وقال بعض مشايخ الكرامية
كلاما حسنا على اصله ان ضمان الله لارزاق العباد واجب في حكمة الله
تعالى لثلاثة اشياء احدها انه سيد ونحن عبيده وعلى السيد كفاية العبيد
كما ان على العبيد خدمة السيد الثاني انه خلقهم محتاجين الى الرزق ولم يجعل
لهم سبيلا الى طلبه اذ لا يدرون ما هو رزقهم واين هو ومتى هو ليطلبوه
بعينه من مكانه وفي وقته ليصلوا اليه فوجب ان يكفيهم امر ذلك ويوصله
اليهم الثالث انه كلفهم الخدمة وطلب الرزق شاغل عنها فوجب ان
يكفيهم المؤنة ليتفرغوا لخدمته وهذا كلام من لم يحط باسرار الربوبية
والقائل بان على الله عز وجل واجبا يأتيه وقد اوضحنا في فن الكلام فساده
فلنرجع الى المقصود من غرضنا واما الرزق المقسوم فهو ما قسمه الله سبحانه
وكتبه في اللوح المحفوظ ما ياكله ويشربه ويلبسه كل واحد بمقدار مقدر
ووقت موقت لا يزيد ولا ينقص ولا يتقدم ولا يتاخر كما كتب بعينه

ح

قال

قال النبي صلى الله عليه وسلم الرزق مقسوم مفروغ ليس تقوى تقي بزايده ولا فجور
فاجر بناقصه واما المملوك فما يملكه كل واحد من اموال الدنيا على حسب ما قدر
الله تعالى وقسم له ان يتملكه وهو من رزق الله تعالى قال الله تعالى وانفقوا مما
رزقناكم اي مما ملكناكم واما الموعود فهو ما وعد الله تعالى المتقين من عباده
بشرط التقوى حلالا من غير كد قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا و
يرزقه من حيث لا يحتسب فهذه اقسام الرزق والتوكل انما يجب بازاء
المضمون منها فاعلم ذلك واما حد التوكل فقد قال بعض اشياخنا انه اتكال
القلب على الله تعالى بالانقطاع اليه والاياس عما دونه وقال بعضهم انه حفظ
القلب الى الله تعالى بموضع المصلحة بترك تعليقه عن شيء دونه وقال الشيخ ابو
عمرو رحمه الله التوكل ترك التعليق والتعليق ذكر قوام بنيتك عن شيء دون
الله عز وجل قال شيخ الامام التوكل والتعليق ذكران فالتوكل هو ذكر
قوام بنيتك من قبل الله تعالى والتعليق ذكر [illegible] قوامها من دون الله
تعالى والاقاويل عندي ترجع الى اصل واحد وهو ان توطن قلبك على ان قوام
بنيتك في سد خلتك وكفايتك انما هو من الله تعالى لا باحد دون الله تعالى
ولا بحطام من الدنيا ولا بسبب من الاسباب ثم الله سبحانه ان شاء الله
سبب له مخلوقا او حطاما وان شاء كفاه بقدرته دون الاسباب
والوسايط فاذا ذكرت ذلك بقلبك وتوطنت عليه وانقطع القلب
عن المخلوقين والاسباب بالكلية بمرة الى الله سبحانه وتعالى فقد حصل التوكل
حقه فهذا حده واما حصن التوكل الباعث عليه فهو ذكر ضمان الله تعالى وكفالته
وحصن حصنه ذكر جلال الله تعالى وكماله في علمه وقدرته وتنزهه عن
الخلق والسهو والعجز والنقص فاذا واظب العبد على هذه الاذكار
بعثته على التوكل على الله سبحانه في امر الرزق فان قيل هل يلزم العبد طلب

الرزق بحاله فاعلم ان الرزق المضمون الذى هو الغذا والقوام فلا يمكنه طلبه اذ هو
شيء من فعل الله بالعبد كالحياة والموت لا يقدر العبد على تحصيله ولا دفعه واما
المقسوم من الاسباب فلا يلزم العبد طلبه اذ لا حاجة للعبد الى ذلك انما حاجته
الى المضمون وهو من الله تعالى وفي ضمان الله تعالى واما قوله تعالى وابتغوا من فضل الله
فالمراد به العلم والثواب وقيل بل هو رخصة اذ هو امر ورد بعد الحظر فيكون
بمعنى الاجازة لا بمعنى الايجاب والالزام فان قيل لكن لهذا الرزق المضمون اسباب الاباحة
هل يلزمنا طلب الاسباب قيل له لا يلزمك ذلك اذ لا حاجة للعبد اليه اذ الله
يفعل بسبب وبغير سبب فمن اين يلزمنا طلب السبب ثم ان الله عز وجل ضمن لك
ضمانا مطلقا من غير شرط الطلب والكسب قال الله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله
رزقها ثم كيف يصح ان يامر العبد بطلب ما لا يعرف مكانه فيطلبه اذ لا يعرف
اي سبب منها رزقه الذى يتناوله لا غير والذى يصير سبب غذائه وتربيته
لا غير فالواحد منا لا يعرف ذلك السبب بعينه من اين يحصل له فلا يصح تكليفه
فتامل راشدا فانه بين ثم حسبك ان الانبيا عليهم السلام والاوليا المتوكلين
لم يطلبوا رزقا في الاكثر والاعم وتجردوا للعبادة وبالاجماع انهم لم يكونوا
تاركين لامر الله تعالى ولا عاصين له في ذلك فتبين لك ان طلب الرزق واسبابه
ليس بامر لازم للعبد فان قلت هل يزيد الرزق بالطلب او ينقص بترك الطلب
قلنا كلا فانه مكتوب في اللوح المحفوظ مقدر موقت ولا تبديل لحكم الله ولا
تغيير لقسمته وكتابته هذا هو الصحيح عند علمائنا رحمهم الله خلافا لما ذهب
اليه بعض اصحاب حاتم وشقيق قالوا ان الرزق لا يزيد ولا ينقص بفعل العبد
لكن المال يزيد وينقص وهذا فاسد لان الدليل في الموضعين واحد وهو
الكتابة والقسمة واليه الاشارة بقوله تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا
بما اتاكم ولو كان الطلب يزيد والترك ينقص لكان للاسى والفرح موضع
اذ هو قصر وتوانى حتى فاته وشمر وجد حتى حصله موضع وقال النبي صلى الله عليه وسلم
للسائل هات ولو لم تاتها لاتتك فان قيل فالثواب والعقاب ايضا

توانى كسل

مكتوب

مكتوب في اللوح المحفوظ ثم يلي ضاطبه ويزيد بالطلب وينقص بالترك فاعلم ان طلب
الثواب انما وجب لان الله تعالى امر به امراً حتماً واوعد على تركه ولم يضمن الثواب
على غير فعل منا وزيادة الثواب والعقاب بفعل العبد فالفرق بينهما في نكتة وهي
ما قال بعض علمائنا ان المكتوب في اللوح قسمان قسم مكتوب مطلقا من غير شرط
وتعليق بفعل العبد وهو الارزاق والآجال اما ترى كيف ذكرها الله مطلقا
غير مشروط فقال تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وقال تعالى فاذا جاء
اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون وقال صاحب الشرع صلوات الله عليه
وسلامه اربعة فرغ منهن الخلق والخُلُق والرزق والاجل وقسم مكتوب بشرط معلق
مشروط بفعل العبد وهو الثواب والعقاب اما ترى كيف ذكرها الله في كتابه معلقا
بفعل العبد فقال تعالى ولو ان اهل الكتاب امنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولا
دخلناهم جنات النعيم وهذا بين فاعلمه فان قيل فنحن نجد الطالبين يجدون الاموال
والارزاق والتاركين يعدمون يفتقرون قيل له كانك لا تجد مع ذلك طالبا محروما
فقيرا وتاركا فارغا مرزوقا غنيا بل ان هذا هو الاكثر لتعلم ان ذلك تقدير العزيز
العليم وتدبير الملك الحكيم وانشدني ابو محمد ابن سابق الصقلي الواعظ بالشام
رحمه الله وكم قوي قوي في تقلبه • مهذب الراي عنه الرزق منحرف • وكم ضعيف ضعيف في تقلبه •
كانه من خليج البحر يغترف • هذا دليل على ان الاله له • في الخلق سر خفي ليس ينكشف •
فان قيل هل ندخل البادية بلا زاد فاعلم ان كان لك قوة القلب بالله تعالى والثقة
البالغة بوعد الله فادخل والا فكن كالعوام بعلايقهم ولقد سمعت الامام ابا المعالي
يقول ان من جرى مع الله على عادة الناس جرى الله معه على ما هو عادة الناس في كفاية
المؤنة وهذا كلام حسن جوا فيه فوائد جمة لمن تاملها فان قيل اليس الله فلت ح
تعالى يقول وتزودوا فان خير الزاد التقوى فاعلم ان فيه قولين احدهما انه
زاد الاخرة ولذلك قال خير الزاد التقوى ولم يقل طعام الدنيا واسبابها
والثاني انه كان قوم لا ياخذون زادا في طريق الحج اتكالا على الناس
ويسئلون ويلحون ويؤذون الناس فامروا بالزاد امر تنبيه على ان

فان

اخذ الزاد من مال الاخ خير من اخذ سؤال الناس والاتكال عليهم وكذلك نقول فان قلت
فالمتوكل هل يحمل الزاد معه في الاسفار فاعلم انه ربما يحمل وان حمل فلا يعلق القلب به بانه
لا محالة رزقه وفيه قوامه انما يعلق القلب بالله تعالى ويتوكل عليه ويقول ان الرزق
مقسوم مفروغ منه والله تعالى ان شاء اقام بنيتي بهذا او بغيره وربما يحمل بنية
اخرى وتذكر بان يعين مسلما ونحو ذلك وليس الشان في اخذ الزاد وتركه انما الشان
في قلبك ان لا تعلق قلبك الا بوعد الله عز وجل وحسن ضمانه وكفايته فكم من
حامل للزاد وقلبه مع الله تعالى دون الزاد وكم من تارك للزاد وقلبه مع الزاد دون
الله تعالى فالشان اذا في القلب فافهم هذه الاصول تكفي المؤنة ان شاء الله تعالى
فان قيل فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يحمل الزاد وكذلك الصحابة والسلف الصالح
يقال له لا جرم ان ذلك مباح غير حرام وانما الحرام تعليق القلب بالزاد دون
الله وترك التوكل على الله فافهم ثم ما ظنك برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال
الله تعالى له وتوكل على الحي الذي لا يموت اعصاه في ذلك وعلق قلبه بطعام وشراب
او درهم او دينار حاشا وكلا ان يكون ذلك ابدا بل كان قلبه مع الله سبحانه وتوكله
على الله عز وجل فانه الذي لم يلتفت الى الدنيا باسرها ولم يمد يده الى مفاتيح
خزائن الارض كلها وانما كان اخذ الزاد منه ومن السلف الصالح لنيات اخر
لا لميل قلوبهم عن الله تعالى الى الزاد والمعتبر القصد على ما علمناك فانتبه عن
رقدتك وان قلت فايهما افضل اخذ الزاد ام تركه فاعلم ان هذا يختلف
باختلاف الاحوال ان كان مقتدى به يريد ان يبين ان اخذ الزاد مباح
او ينوي به اعانة مسلم او اغاثة ملهوف ونحو ذلك فالاخذ افضل وان كان منفردا
قوي القلب بالله لم يشغله الزاد عن عبادة الله فالترك افضل فتفهم هذه الجملة
واحتفظ بها ترشد وبالله التوفيق العارض الثاني الاخطار وارادتها
ومقصودها وانما كفايتها بالتفويض فعليك بتفويض الامر كله
الى الله تعالى وذلك لامرين احدهما طمانينة القلب في الحال فان الامور اذا كانت

خطرة

خطرة مبهمة لا يدري صلاحها من فسادها فتكون مضطرب القلب هايم النفس
لا تدري تقع في صلاح او فساد فاذا فوضت الامر الى الله تعالى علمت انك لا تقع
الا في صلاح وخير فتكون آمنا من الخطر مطمئن القلب في الحال فهذه الطمانينة والامن
والراحة في الوقت غنيمة عظيمة وكان شيخنا رحمه الله يقول في مجالسه كثيرا دع التدبير
الى من خلقك تسترح والثاني من الامرين حصول الصلاح والخير في الاستقبال
وذلك لان الامور بالعواقب مبهمة فكم من شر في صورة خير وكم من خير في صورة
شر وكم من ضر في هيئة نفع وكم من سم في هيئة شهد وانت الجاهل في العواقب
والاسرار فاذا اردت الامور قطعا واخذت فيها باختيارك متحكما فما اسرع
ما تقع في هلاكك وانت لا تشعر وقد حكي عن بعض العباد انه كان يسأل الله تعالى
ان يريه ابليس فقيل له سل الله العافية فابى الا ذلك فاظهره الله تعالى له
فلما رآه العابد قصده بالضرب فقال له ابليس لولا انك تعيش مائة سنة لعاقبتك
واهلكتك فاغتر العابد بقوله وقال في نفسه ان عمري بعيد فافعل ما اريد ثم اتوب
فوقع في الفسق وترك العبادة فهلك ففي هذه ما ينبهك عن ترك الحكم في ارادتك
واللجاج في مطلوبك ويحذرك طول الامل ايضا فانه الداء العضال والآفة العظيمة
ولقد صدق القائل واياك المطامع والاماني فكم امنية جلبت منيته واما اذا فوضت
الامر الى الله عز وجل وسالته ان يختار لك ما هو صلاح لك لم تلق الا الخير والسداد
ولا تقع الا في الصلاح قال الله تعالى حكاية عن العبد الصالح وافوض امري الى الله
ان الله بصير بالعباد فوقاه الله سيئات ما مكروا اما ترى كيف اعقب له تفويضه
الوقاية من الاسواء والنصر على الاعداء وبلوغ المراد فتامل موفقا فان قلت
بين لنا معنى التفويض وحكمه فاعلم ان ههنا فصلين بهما يتضح الكلام احدهما
موضع التفويض وحكمه والثاني معناه وحده وضده وحصنه اما موضع التفويض
فاعلم ان الارادات ثلاثة مراد تعلم يقينا انه فساد وشر لا شك فيه البتة كالنار
والعذاب وفي الافعال كالكفر والبدعة والمعصية ولا سبيل الى ارادة ذلك والثاني
مراد تعلم قطعا انه صلاح كالجنة والايمان والسنة ونحو ذلك فلك ارادتها بالحكم

مجالسه

كالكفر

لا موضع للتفويض فيه اذ لا خطر فيه ولا شك انه خير وصلاح والثالث مراد لا تعلم
يقينا ان لك فيه صلاحا ام فسادا وذلك نحو النوافل والمباحات فهذا موضع التفويض
فليس لك ان تريدها قطعا بل بالاستثناء وشرط الخير والصلاح فان قيدت ارادتك
بالاستثناء فهو تفويض وان اردت دون الاستثناء فهو طمع مذموم منهي عنه موضع
التفويض اذا كل مراد فيه الخطر وهو ان لا يتيقن صلاحك فيه واما معنى التفويض
فقد قال بعض شيوخنا هو ترك اختيار ما فيه مخاطرة الى المختار المدبر العالم
بمصلحة الخلق وعبارة الشيخ ابي محمد السجزي هو ترك اختيارك المخاطر الى المختار
ليختار لك ما هو خير لك وقال الشيخ ابو عمر وهو ترك الطمع والطمع ارادة الشي المخاطر
بالحكم فهذه عبارة المشايخ والذي نقوله ان التفويض ارادة ان يحفظ الله عليك
مصالحك فيما لا تامن فيه الخطر وضد التفويض الطمع والطمع في الجملة يجري على وجهين
احدهما في معنى الرجاء وهو ان تريد شيا لا خطر فيه او مخاطرة بالاستثناء وذلك
ممدوح غير مذموم قال الله تعالى والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين
وقال انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا وهذا القسم ليس مما نحن فيه بسبيل
هاهنا والثاني الطمع المذموم قال صلى الله عليه وسلم اياكم والطمع فانه الفقر الحاضر
وقيل هلاك الدين وفساده في الطمع وملاكه الورع قال شيخنا الطمع المذموم
شيئان سكون القلب الى منفعة مشكوكة والثاني ارادة الشي المخاطر بالحكم
وهذه الارادة تقابل التفويض لا غير فافهم ذلك واما حصن التفويض
فهو ذكر خطر الامور وامكان الهلاك والفساد وحصن حصنه ذكر عجزك عن الاعتصام
من ضروب الخطر والامتناع فيها من الوقوع فيها بجهلك وغفلتك وضعفك
فالمواظبة على هذين الذكرين تحملك على تفويض الامور كلها الى الله تعالى والتحفظ
على الحكم فيها والامتناع عن ارادتها الا بشرط الخير والصلاح فهذه هذه وبالله
التوفيق فان قيل فما هذا الخطر الذي يوجبون التفويض لاجله في الامور
فاعلم ان الخطر في الجملة خطران خطر الشك بانه يكون او لا يكون وانك تصل

فالفعل اما ان يكون فيه نجاة ويمكن ان يجامعه ذنب صح

اليه اولا تصل اليه وهذا يحتاج الى الاستثناء ويقع في باب النية والامال والثاني خطر
الفساد بان لا تستيقن فيه الصلاح لنفسك وهذا الذي يحتاج فيه الى التفويض
ثم اختلفت عبارات الائمة في الخطر فعن بعضهم ان الخطر ~~فالايمان والسنة والاستقامة~~
~~لا يجامعها ذنب اذ لا يمكن دون الايمان نجاة والاستقامة لا يجامعها ذنب~~ في الفعل
هو ان يكون دونه نجاة ويمكن ان يجامعه ذنب فالايمان والسنة والاستقامة لا
يجامعها ذنب اذ لا يمكن دون الايمان نجاة والاستقامة لا يجامعها ذنب فاذا يصح
ارادة الاستقامة والايمان بالحكم وقال الاستاذ ابو اسحاق رحمه الله الخطر في الفعل
ما يمكن ان يعترض فيه ما يكون الاشتغال بالعارض اولى من الاقدام على ذلك الفعل
وذلك يقع في المباحات والسنن والفرايض الا ترى ان من تضيق عليه وقت الصلوة
وقصد ادائها فقصده حريق او غريق يمكنه انقاذه منه فالاشتغال بانقاذه
اولى من الاقبال على صلاته فلا يصح اذا ارادة المباحات والنوافل والكثير من الفرايض
بالحكم فان قيل كيف يصح ان يفترض الله على عباده شيئا ويتوعدهم على تركه ثم لا يكون
له صلاح في فعله فاعلم ان شيخنا قال ان الله تعالى لا يامر العبد بشيء الا وفيه صلاحه
اذا تجرد عن العوارض ولا يضيق عليه فعله فرضا بحيث لا معدل له عن ذلك الا وله
فيه صلاح وانه ربما سبب الله له عذرا لاجله يكون العدول عن احد المامورين
اولى من الاشتغال بالاخر كما ذكرنا فيكون العبد في ذلك معذورا بل ماجورا
لا بترك هذا الفرض بل بفعل الفرض الذي هو اولى ولقد سمعت الامام رحمه الله
يقول في هذه المسئلة انما افترض الله على عباده من الصلوة والصوم والحج ونحوها
ففيه صلاح العبد لا محالة وصحت ارادتها بالحكم فاتفق رأينا على ذلك فبقي المباحات
والنوافل اذا في هذه الحكم فاعلم ذلك فانه من غوامض هذا الباب وبالله التوفيق
فان قيل هل يأمن المفوض الهلاك والفساد والدار دار محنة فاعلم ان في الاغلب
لا يفعل بالمفوض الا الصلاح وقد يفعل به في النادر غير الصلاح وذلك انه ربما يخذله
الله فيقع على منزلة التفويض ولا صلاح للعبد في الخذلان والوقوع عن منزلة
التفويض وبه قال الشيخ ابو عمرو وقيل لا يفعل بالمفوض الا ما فيه صلاحه
فيما فوض الى الله والخذلان والقصور عن منزلة التفويض انما يقع فيما يشكل

مما لا يقع فيه التفويض اولا شك في ان ذلك التفويض صح

في فساده وصلاحه وهذا اولى القولين عند شيخنا اذ لولا ذلك لما قويت الباعثة على التفويض
فان قيل فهل يجب ان يفعل بالمفوض ما هو الافضل فاعلم ان الايجاب مستحيل في حق الله سبحانه
فلا يجب عليه لعباده شيء وقد يفعل بالعبد الاصلح دون الافضل حكمة منه فعله الا ترى
انه قد قدر على النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ان ناموا طول الليل الى طلوع الشمس في بعض الاسفار
حتى فاتهم صلوة الصبح وصلاة الليل ايضا والصلوة افضل من النوم وربما يقدر للعبد الغنا
والنعمة في الدنيا وان كان الفقر افضل ويقدر له الاشتغال بالازواج والاولاد وان كان
التجرد للعبادة افضل فانه بعباده خبير بصير كما ان الطبيب الحاذق الناصح يختار للمريض
ماء الشعير وان كان ماء السكر افضل وانفس لما علم ان صلاح علته في ماء الشعير و
المقصود للعبد النجاة من الهلاك لا الفضل ولا الشرف مع الفساد والهلاك فان قيل
هل يكون المفوض مختارا فاعلم ان الصحيح عند علمائنا انه يكون مختارا ولا يقدح في تفويضه
ذلك وذلك ان المعنى فيه اذا كان له صلاح في المفضول والافضل فهو يريد من الله ان يسبب
الافضل كما ان المريض يقول للطبيب اجل جعل دوائي ماء السكر دون ماء الشعير اذ كان
لي صلاح في كليهما ليحصل لي الفضل والصلاح جميعا فكذلك العبد اذا سأل الله تعالى
ان يجعل صلاحه فيما هو الافضل ويسبب له ذلك ليجتمع له الفضل والصلاح جميعا ولكنه
بشرط انه ان اختار الله تعالى له الصلاح في غير الافضل ان يكون راضيا بذلك فان
قيل فلما كان للعبد ان يختار الافضل وليس له ان يختار الاصلح فاعلم ان الفرق
بينهما ان العبد يعرف الافضل من المفضول ولا يعرف الصلاح من الفساد لم يحط
بالحكم ثم معنى اختياره الافضل ان يريد من الله تعالى ان يجعل صلاحه فيما هو الا
فضل ويختار له ذلك ويقدره له لا ان للعبد تحكما في شيء من ذلك فاعلم فهذه جملة من
دقائق هذا العلم واسراره ولولا ان الحاجة مست اليه لما تعرضنا لايراده لانه يليق
بكلام بحار علوم المكاشفة مع اني اقتصرت على النبذة المقنعة في هذا الكتاب
وقصدت الايضاح لينتفع به فحول العلماء والمبتدئون ان شاء الله تعالى والله ولي
التوفيق العارض الثالث القضاء وورود انواعه وانما كفايته في الصابه
فعليك ان ترضى بقضاء الله عز وجل وذلك لامرين احدهما للتفرغ للعبادة

لانه

لانك ان لم ترض بالقضاء فتكون مهموما مشغول القلب ابدا بانه لم كان كذا ولماذا يكون
كذا فاذا اشتغل القلب بشيء من هذه الهموم فكيف يتفرغ للعبادة اذ ليس لك الا قلب
واحد وقد ملأته من الهموم وما كان وما يكون من الدنيا الفانية فاي موضع يبقى منه
لذكر الله تعالى ولذكر العبادة وفكر الاخرة ولقد صدق شقيق حيث قال ان خسرة
الامور الماضية وتدبير الآتية ذهبت ببركة ساعتك هذه الثاني من الامرين خطر ما في
السخط من غضب الله عز وجل ولقد روينا في الاخبار ان نبيا من الانبياء شكى بعض
ما ناله من المكروه الى الله فاوحى الله تعالى اليه اتشكوني ولست باهل للذم والشكوى
هكذا بدو شانك في علم الغيب فلم تسخط قضائي عليك اتريد ان اغير الدنيا لاجلك
وابدل اللوح المحفوظ بسببك فاقضي ما تريد دون ما اريد ويكون ما تحب دون
ما احب فبعزتي حلفت لئن تلجلج هذا في صدرك مرة اخرى لاسلبنك ثوب النبوة
ولاوردنك النار ولا ابالي قلت فليستمع العاقل هذه السياسة العظيمة والوعيد الهايل
مع انبيائه واصفيائه فكيف مع غيرهم ثم استمع ما يقول عز وجل لئن تلجلج هذا في صدرك مرة
اخرى فهذا في حديث النفس وتردد القلب فكيف بمن يصرخ ويستغيث ويشكو وينادي
بالويل والصراخ من دبره على رؤس الملأ ويتخذ له اعوانا واصحابا وهذا لمن سخط مرة
فكيف بمن هو في السخط على الله تعالى دايما جميع عمره وهذا لمن شكا مرة اليه فكيف بمن يشتكي
الى غيره نعوذ بالله العظيم الحليم من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا ونسأله ان يعفو عنا
ويغفر سيئاتنا وذنوبنا وسوء آدابنا ويصلحنا بحسن نظره انه ارحم الراحمين فان قيل فما معنى
الرضاء بالقضاء وحقيقة ذلك وحكمه فاعلم ان علماءنا قالوا ان الرضاء ترك السخط والسخط
ذكر غير ما [illegible] قضى الله تعالى بانه اولى به واصلح له فيما لا يستيقن فساده وصلاحه هذا شرط
فيه فاعلم ذلك فان قلت اليس الشرور والمعاصي بقضاء الله تعالى وقدره فكيف يرضاه العبد
بالشر ويلزمه ذلك فاعلم ان الرضاء انما يلزم بالقضاء وقضاء الشر ليس بشر وانما الشر هو
المقضي فلا يكون رضي بالشر وقد قال شيوخنا المقضيات اربعة نعمة وشدة وخير وشر فالنعمة
يجب الرضاء فيها بالقضاء والقاضي والمقضي ويجب عليه الشكر من حيث انه نعمة واظهار المنة
بابداء الى النعمة والشدة يجب الرضى فيها بالقاضي والقضاء والمقضي ويجب عليه ذكر المنة من
حيث انه خير وفقه له والشر يجب عليه فيه الرضاء بالقاضي والقضاء والمقضي من حيث انه

الصبر من حيث انه شدة والخير يجب الرضى فيه بالقاضي والقضاء والمقضي ويجب عليه
صح

مقضي لا من حيث انه شر وكونه مقضيا يرجع الى القضاء والقاضي بالحقيقة وهذا كما انك ترضى مذهب
المخالف ان يكون معلوما لك لا ان يكون مذهبا لك ثم كونه معلوما يرجع الى العلم والرضى والمحبة
انما يكون بالحقيقة للعلم بمذهب المخالف لا بمذهبه فكذلك الرضاء بالقضا فان قيل فالراضي
هل يكون مستزيدا قيل له نعم بشرط الخير والصلاح دون الحكم فلا يخرجه ذلك عن الرضاء بل
يدل على الرضاء فهو اولى لان من اعجبه شيء ورضي ذلك استزاد منه وكان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا حضر اللبن يقول اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه وفي غيره يقول وارزقنا خيرا منه وفي
كل موضع من الموضعين لم يدل على انه غير راض بما قدر الله تعالى في ذلك فان قلت فلم يذكر
عن النبي صلى الله عليه وسلم الاستثناء بشرط الخير والصلاح فاعلم ان هذه الامور انما تكون
بالقلب وانما يقال باللسان عبارة عن ذلك فلا معتبر بترك عبارته مع حصوله بالقلب
فاعلم ذلك موفقا ان شاء الله تعالى العارض الرابع الشدايد والمصايب وانما كفا
يتها بالصبر فعليك بالصبر في جميع المواطن وانما ذلك لامرين احدهما الوصول
الى العبادة وحصول المقصود منها فانه مبنى امر العبادة كلها على الصبر واحتمال المشقات
فمن لم يكن صبورا لم يصل الى شيء منها بالحقيقة وذلك ان من قصد عبادة الله تعالى
وتجرد لها استقبلته شدايد ومحن ومصايب من وجوه احدها انه لا عبادة الا وفي
نفسها مشقة ولذلك دوي هذا الترغيب فيه ووعد الثواب عليه اذ لا يتاتى فعل العبادة
الا بقمع الهوى وقهر النفس اذ هي زاجرة عن الخير ومخالفة الهوى وقهر النفس من اشد
الامور على الانسان وثانيها ان العبد اذا فعل الخير مع المشقة لزمه الاحتياط حتى
لا يفسد عليه والاتكال على العمل اشد من العمل وثالثها ان الدار دار محنة فمن كان فيها
فلا بد له من الابتلاء بشدايدها ومصايبها وذلك اقسام فمنها المصيبة في الاهل والمال
والقرابات والاخوان والاصحاب بالموت والفقد والفراق وفي النفس بانواع
الامراض والاوجاع وفي العرض بقتال الناس اياه والطمع فيه والازدراء به والغيبة
له والكذب عليه وفي المال بالذهاب والزوال ولكل واحدة من هذه المصايب لدغة
وحرقة من نوع اخر فيحتاج الى الصبر عليها كلها والا فيمنعه الجزع والتلهف من التفرغ
للعبادة ورابعها ان طالب الاخرة اشد ابتلاء واكثر محنة ابدا ومن كان الى الله
اقرب فالمصايب له في الدنيا اكثر والبلاء عليه اشد اما تسمع قوله صلى الله عليه وسلم الانبيا
اشد الناس

اشد الناس بلاء ثم الشهداء ثم الامثل فالامثل فاذا من قصد الخير وتجرد لطريق الاخرة
استقبلته هذه المحن فان لم يصبر عليها يكون بحيث لا يلتفت اليها انقطع عن الطريق
واشتغل عن العبادة فلا يصل الى شيء من ذلك ولقد اعلمنا الله تعالى بالتقاء
المحن والمصايب وابتلائنا بها وحقق ذلك واكده بقوله تعالى لتبلون في اموالكم
وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان
تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور فكانه سبحانه يقول وطنوا انفسكم
على انه لابد لكم من انواع البلاء فان تصبروا وتتقوا فانتم الرجال وعزايمكم عزايم الرجال
فاذا من عزم على عبادة الله تعالى يجب عليه اولا ان يعزم على الصبر الطويل ويوطن نفسه
على احتمال المشاق العظيمة المتوالية الى الموت والا فقد قصد الامر بغير الته واتاه
من غير وجهه ولقد ذكر عن الفضل رحمه الله انه قال من عزم على قطع طريق الاخرة فليجعل
في نفسه اربعة الوان من الموت الابيض والاحمر والاسود والاخضر فالموت الابيض
الجوع والاحمر مخالفة الشيطان والاسود ذم الناس والاخضر الوقايع بعضها على بعض
والثاني من الامرين ما في الصبر من خير الدنيا والاخرة من ذلك النجاة والنجاح قوله تعالى
ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فمعناه من يتق الله بالصبر يجعل له
مخرجا من الشدايد ومنها الظفر على الاعداء قال تعالى فاصبر ان العاقبة للمتقين ومنها
الظفر بالمراد قال الله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقد كتب يوسف
في جواب يعقوب عليهما السلام ان اباك صبروا فظفروا فاصبر كما صبروا تظفر كما
ظفروا وقيل في المعنى لا تيأسن وان طالت مطالبة، اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا،
اخلق بذي الصبر ان يحظى بحاجته، ومدمن القرع للابواب ان يلجا، ومنها التقدم على
الناس والامامة قال تعالى وجعلناهم ايمة يهدون بامرنا لما صبروا ومنها الثناء
من الله تعالى قال تعالى انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب ومنها البشارة
والصلاة والرحمة قال تعالى وبشر الصابرين الى قوله واولئك هم المهتدون ومنها
المحبة من الله تعالى قال تعالى ان الله يحب الصابرين ومنها الدرجة العليا في الجنة قال
تعالى اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ومنها الكرامة قال تعالى سلام عليكم بما
صبرتم ومنها ثواب بلا غاية ولا نهاية خارجا عن اوهام الخلق واعدادهم قال تعالى
انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فسبحانه من سيد ماجد ما اكرمه كل هذه

فيأته

الكرامات في الدنيا والاخرة يعطي عنده على صبر ساعة فان خيري الدنيا والاخرة في الصبر
وقال صلى الله عليه وسلم ما اعطي احد من عطاء خيراً واوسع من الصبر وعن عمر رضي الله عنه جماع
خير المؤمنين في صبر ساعة واحدة ولقد احسن القائل الصبر مفتاح ما يرجى
وكل خير به يكون اصبر وان طالت الليالي فربما امكن الحرون وربما نيل باصطبار ما قيل
هيهات ما يكون وقال الاخر صبرت وكان الصبر مني عزيمة وحسبك ان الله اثنى على الصبر
فاصبروا حتى يحكم الله بيننا فاما الى عسر واما الى يسر فعليك باغتنام هذه الخصلة
الشريفة وابذل المجهود فيها تكن من الفائزين والله تعالى ولي التوفيق فان قلت
فما حقيقة الصبر وما حكمه فاعلم ان لفظة الصبر من طريق اللغة الحبس قال تعالى واصبر
نفسك اي احبس وانما يوصف الله عز وجل بالصبر على معنى حبسه العذاب عن المجرمين
فلا يعجلهم ثم المعنى الذي هو من مساعي القلب يسمى صبراً لانه حبس النفس عن الجزع
والجزع فيما قاله العلماء ذكروا اضطرابك في الشدة وقيل بل ارادة الخروج عن الشدة
بالحكم والصبر تركه وحصن الصبر ذكر مقدار الشدة ووقتها وانها لا تزيد ولا تنقص
ولا تتقدم ولا تتأخر ولا فائدة في الجزع بل فيه الضرر والخطر وحصن هذا الحصن
ذكر حسن عوض الله تعالى عليه وكريم الذخر في ذلك لديه فهذه هذه وبالله التوفيق
فصـل فعليك بقطع هذه العقبة الشديدة المنيعة بقطع هذه العوارض
الاربعة وازاحة عللها والا فلا تدعك تذكر مقصودك من العبادة ولا تتفكر فيها
فضلا عن ان تدركها وتحصلها فان لكل واحد منها شغلا شاغلا عاجلا واجلا ثم ان
اعظمها واعضلها امر هذا الرزق وتدبيره فانه البلية الكبرى لعامة الخلق اتعبت
نفوسهم وشغلت قلوبهم واكثرت همومهم وضيعت اعمارهم واعظمت تبعاتهم
واوزارهم وعدلت بهم عن باب الله تعالى وخدمته الى خدمة الدنيا وخدمة
المخلوقين فعاشوا في الدنيا في غفلة وظلمة وتعب ونصب وذل ومهانة فقدموا
على الاخرة مفاليس بين ايديهم الحساب والعذاب ان لم يرحم الله بفضله
فانظر كم انزل الله تعالى اية في ذلك وكم ذكر من وعده وضمانه وقسمه على ذلك
ولم يزل الانبياء عليهم السلام والعلماء يعظون الناس ويبينون لهم الطريق
ويصنفون لهم الكتب ويضربون لهم الامثال ويخوفونهم بالله عز وجل وهم لا
يصغون له

ذكر

اصل

غرت

ذلك لا يهتدون ولا يتقون ولا يطمئنون بل هم في غرة من ذلك لا يزالون يخافون ان يفوتهم
غداً او عشاءً واصل ذلك كله قلة التدبر لآيات الله وقلة التفكر في صنايع الله تعالى وترك
التذكر لكلام رسول الله عليه وسلم وترك التأمل لاحوال الصالحين مع الاسترسال بوساوس صلى الله
الشيطان والاصغا الى كلام الجاهلين والاغترار بعادات الغافلين حتى تمكن الشيطان
منهم ورسخت العادات في قلوبهم فادى بهم ذلك الى ضعف القلوب ودقة اليقين واما
الاخيار الذين هم اولوا البصاير وارباب الجد والاجتهاد ابصروا طريق السماء فلم يعبؤا عز وجل
باسباب الارض واعتصموا بحبل الله فلم يكترثوا بعلايق الخلق وتيقنوا بآيات الله
وابصروا طريقه فلم يلتفتوا الى وساوس الشيطان والنفس والخلق فاذا وسوس لهم
الشيطان او النفس او انسان بشيء قاموا بالمشاقة والمدافعة والمخالفة حتى ولى
الخلق عنهم وانعزل عنهم الشيطان وانقادت لهم النفس واستقام لهم الطريق المستقيم
على ما ذكر عن ابراهيم بن ادهم رحمه الله انه لما اراد ان يدخل البادية اتاه الشيطان فخوفه بان
هذه بادية مهلكة ولا زاد معك ولا سبب فعزم على نفسه ان يقطع البادية على تجرده
ذلك وان لا يقطعها حتى يصلي تحت كل ميل من اميالها الف ركعة وقام بما عزم عليه وبقي
في البادية اثني عشر سنة حتى ان الرشيد حج في بعض تلك السنين فراه تحت ميل يصلي فقيل له
هذا ابراهيم بن ادهم فاتاه فقال له كيف تجدك يا ابا اسحاق فانشد ابراهيم
نرقع دنيانا بتمزيق ديننا، فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع، فطوبى لعبد آثر الله ربه،
وجاد بدنياه لما يتوقع، وعن بعض الصالحين انه كان في بعض البوادي فوسوس اليه
الشيطان بانك مجرد وهذه البادية مهلكة لا عمران فيها ولا ناس فعزم على نفسه ان يمضي على
تجرده وان يترك الطريق حتى لا يقع باحد من الناس وان لا ياكل شيئاً حتى يجعل في فيه العسل
والسمن ثم عدل عن الطريق ومر على وجهه قال رحمه الله فسرت ما شاء الله فاذا بقافلة
قد اضلت الطريق وهم يسيرون فلما رايتهم رميت بنفسي الى الارض لعلهم لا يبصرون
فسترهم الله حتى وقفوا علي فغمضت عيني فدنوا مني وقالوا منقطع غشي عليه من الجوع
والعطش هلموا نؤا سمناً وعسلاً نجعله في فيه لعله يفيق فاتوا بالسمن والعسل
فشددت فمي واسناني فاتوا بسكين فعالجوا فمي حتى فتحوه فضحكت وفتحت فاي فلما

راؤا ذلك مني قالوا مجنون انت قلت لا والحمد لله واخبرتهم بما جرى لي مع الشيطان وعن بعض مشا
يخنا قال نزلت في بعض اسفاري ايام الفتيلم مسجدا وكنت متجردا على عادة اوليائنا فوسوس
الي الشيطان بان هذا مسجد بعيد من الناس فلو صرت الى مسجد بين الناس لو اكل اهله وقاموا
بكفايتك فقلت لا ابيت الا هاهنا وعلي عهد ربي جل جلاله لا اكل شيئا الا الحلوى ولا اكله
حتى يوضع في فمي لقمة لقمة وصليت العتمة واغلقت على الباب فلما مضى صدر من الليل اذا انا
بانسان يدق الباب ومعه سراج فلما اكثر الدق فتحت الباب فاذا بعجوز قد دخلت ومعها
شاب فوضعت بين يدي طبقا من الخبيص فقالت هذا الشاب ولدي صنعت له هذا الخبيص
وجرى مني كلام فحلف لا ياكل حتى ياكل معه رجل غريب او قالت هذا الغريب الذي في المسجد
فكل رحمك الله فاخذت تضع في فمي لقمة وفي فم ولدها لقمة فهذه وامثالها من مجاهدات الصا
لحين ومناقضاتهم للشيطان فان لك في ذلك فوائد كثيرة ثلاثا احدها ان تعلم ان الرزق
لا يفوت من قدر بحال والثانية ان تعلم ان امر الرزق والتوكل لمهم جدا وان للشيطان فيه
غوائل ووساوس عظيمة حتى ان مثل ذلك الائمة الزهاد لم يتخلصوا من ذلك ولم ييأس
عنهم الشيطان بعد تلك الرياضات وكثرة تلك المجاهدات التي سبقت لهم حتى يحتاجوا
الى دفعه بهذه المناقضات ولعمري ان من جاهد النفس والشيطان سبعين سنة لا يؤمن
ان يوسوسا له كما يوسوسا للمبتدي في العبادة بل للغافل الذي لم يجتهد ساعة في الرياضة
ولو ظفرا به لفضحاه واهلكاه هلاك الغافلين المغترين وفي ذلك عبرة لاولي الابصار
والثالثة ان تعلم ان الامر لا يتم الا بالجد المحض والمجاهدة البالغة فانهم كانوا لحما ودما
وروحا مثلك بل كانوا اضعف ابدانا وادق عظاما منك ولكن كانت لهم قوة العلم
ونور اليقين وهمة امر الدين حتى قووا على مثل تلك المجاهدات والقيام بحق تلك المقامات
فانظر لنفسك رحمك الله وايانا وداوها من هذا الداء المعضل لعلك تفلح ان شاء الله
فصل ثم اعلم بعد هذه الجملة اني مجرد لك نكتا وجدتها بحيث تتكت في القلب اذا تذكرتها
وتكفيك مؤنة هذا الباب وتعينك على واضحة من الحق ان تاملتها وعملت بها والله
الموفق الاولى ان تعلم ان الله سبحانه ضمن رزقك في كتابه وتكفل لك به وما تقول لو وعدك
ملك من ملوك الدنيا ان يضيفك او يعيشك الليلة وانت حسن الظن به انه صادق
ولا يكذب ولا يخلف الوعد بل لو وعدك بذلك سوقي او يهودي او نصراني او مجوسي

50

مستور عندك بظاهره عفيف في معاملة الست تثق بوعده وتطمئن الى قوله ولا تهتم لعشائك
تلك الليلة اتكالا عليه فمالك قد وعدك الله تعالى وضمن لك رزقك وتكفل به بل اقسم عليه
في غير موضع وانت لا تطمئن بوعده ولا تسكن الى قوله وضمانه ولا تنظر الى قسمه بل يضطرب
قلبك ويهتم فيا لها من فضيحة لو رايت وبالها ويا لها من مصيبة لو علمت مآلها ومن كلام
علي كرم الله وجهه اتطلب رزق الله من عند غيره، وتصبح من خوف العواقب آمنا،
وترضى بصراف وان كان مشركا ضمينا ولا ترضى بربك ضامنا ولهذا المعنى يجر الامر الى
الشك والشبهة ويخاف على صاحبه والعياذ بالله تعالى سلب المعرفة والدين ولهذا
قال الله سبحانه وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وعلى الله فليتوكل المؤمنون فحسب
المؤمن المهتم لامر دينه هذه النكتة الواحدة ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
الثانية ان تعلم ان الرزق مقسوم صح ذلك في كتاب الله تعالى واخبار رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتعلم ان قسمته لا تتغير ولا تتبدل فان انكرت القسمة او جوزت نقضها
فذلك باب الكفر نعوذ بالله جل جلاله من ذلك وان علمت انه حق لا يتغير فاي
فائدة في الاهتمام والطلب الا الذل والهوان في الدنيا وشدة الخسران في الاخرة ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم مكتوب على ظهر الحوت والثور هذا رزق فلان بن فلان فلا يزداد الحريص
الا جهدا وفي هذا يقول شيخنا ان ما قدر لماضغيك ان يمضغاه فلا يمضغه غيرك فكل
وبحك رزقك بالعز ولا تاكله بالذل وهذه نكتة مقنعة للرجال الثالثة ما سمعت
شيخي الامام يقول حكاية عن الاستاذ انه كان يقول ان مما نفعني في امر الرزق اني تذكرت
وقلت لنفسي اليس هذا الرزق للحياة والعيش والميت ما يصنع بالرزق واذا كان حياة
العبد في خزانة الله وبيده ان شاء يعطيني وان شاء يمنعني وهو غيب عني موكول
الى الله تعالى يدبره كيف شاء فانا ساكن النفس بذلك وهذه نكتة لطيفة مقنعة
لاهل التحقيق والله المستعان النكتة الرابعة مما ذكرناه في هذا الفصل ان الله ضمن رزق
العبد ولم يضمن الا الرزق المضمون الذي هو الغذاء والتربية وفيه القوام والعدة
واما الاسباب من الطعام والشراب فالعبد اذا تجرد لعبادة الله وتوكل عليه سبحانه
فربما يحتبس عنه الاسباب فلا يعبأ بذلك ولا يضجر لما علم من حقيقة الامر ان الضمان
لقوام البنية والمتوكل على الله انما هو في هذا المعنى لا غير والمنتظر من الله تعالى هذا المعنى

وبهذا الضمير ضمير مبهم يفسره قوله في غضونه ٣٢ //

فان الله تعالى لا محالة يمده بالقوة والمعونة ليقوم بحق العبادة والخدمة ما دام له اجل وتكليف بالعبادة
وهذا هو المقصود والله سبحانه قادر على ما يشاء ان شاء يقيم بنية عبده بطعام او شراب او
بطين وتراب او تسبيح وعبادة وتهليل كالملائكة وان شاء بدون هذا كله فليس مطلوب العبد
الا القيام والقوة للعبادة وليس الاكل والشرب لشدة الشهوة ونيل اللذة فلا اعتبار بالاسباب
حينئذ ولهذا المعنى قويت العباد والزهاد على الاسفار وطي الليالي والايام فمنهم من لم ياكل
عشرة ايام ومنهم من لم ياكل شهرا او شهرين وهو على قوته ومنهم من يسف الرمل فيجعل الله
غذاءه نحو ما ذكر عن الثوري انه نفدت نفقته بمكة فمكث خمسة عشر يوما يسف الرمل وقال ابو معاوية
الاسود رايت ابراهيم بن ادهم ياكل الطين عشرين يوما وعن الاعمش قال قال لي ابراهيم التيمي
رحمه الله ما اكلت منذ شهر شيئا قلت منذ شهر قال ولا شهرين الا انسان ناشدني الله على
عنقود عنب فاكلته فاذا اشتكى بطني قلت فلا تعجبني من ذلك فان الله عز وجل القدرة على ما
يشاء فهذا مريض تراه لا ياكل شهرا او هو حي يعيش والمريض على كل حال اضعف نفسا وارق
طبعا من الصحيح واما الذي يموت جوعا فذلك اجل حضره كالذي يموت شبعا وتخمة
لقد بلغني عن ابي سعيد الخراز رحمه الله انه قال كان حالي مع الله ان يطعمني في كل ثلاثة ايام
فدخلت البادية فمضت علي ثلاثة ما طعمت فلما كان اليوم الرابع وجدت ضعفا فجلست
مكاني فاذا بهاتف يقول يا ابا سعيد ايهما احب اليك سبب ام قوة قلت لا القوة في
وقتي وقد استقللت فاقمت اثني عشر يوما وما طعمت ولا وجدت الماء لذلك فاذا
راى العبد احتباس الاسباب عنه وعلم من نفسه التوكل على الله سبحانه فليستيقن ان الله
سبحانه يمده بالقوة ولا يضجر لذلك بل حقه ان يشكر الله على ذلك شكرا كثيرا فانه
المنة والصنع اللطيف اذ رفع عنه المؤنة واعطاه المعونة وحصل له الاصل المقصود
ودفع عنه الثقل والواسطة وخرق له علامة العادة واراه طريق القدرة
بانه شبه حاله بحال الملائكة ورفعه على حال البهائم والعامة في تلك الكرامة فنعما
مثل هذا الاصل الكبير نغنم الربح العظيم ان شاء الله تعالى فان قلت فلعلك ان تقول
انك اطنبت في هذا الفصل خلاف شرط الكتاب فاقول لعمري انه لقليل في جنب
ما يحتاج اليه في هذا المعنى اذ هو اهم شان في العبادة بل عليه مدار امر الدين والدنيا
والعبودية فمن له همة في هذا الشان فليستمسك بذلك فليراع حقه والله اعلم

عن المقصود بمعزل والذي يدلك على بصيرة علماء الآخرة العارفين بالله عز وجل
انهم بنوا امورهم على التوكل على الله سبحانه والتفرغ لعبادته وقطع العلايق كلها
فكم صنفوا من كتاب وكم اوصوا بوصية وقد قيض الله لهم اعوانا من السادة
واصحابا يتمشى لهم من الخير ما لم يتمش لطائفة من طوائف الامة الا زهاد
الكرامية على اصول غير مستقيمة وما زلنا اعزة وما دمنا على منهاج ائمتنا نخرج
من معابدنا ومدارسنا كل حبر اما امام في العلم كالاستاذ ابي اسحاق وابي
حامد وابي بكر بن الطيب وابن فورك وشيخنا الامام وامثالهم من السادة واما
صديق في العبادة كابي اسحاق الشيرازي وابي سعيد الصوفي ونصر المقدسي
وغيرهم ممن فاق الامة علما وزهدا حتى ضعفت القلوب من بعضنا وتلطخنا بشيء
من العلايق التي ضررها اكبر من نفعها وتراجعت الامور وتقاعدت الهمم
وطارت البركات وزالت اللذات والحلاوات فلا يكاد يصفو لاحد عبادة
او يحصل له علم او حقيقة وان اللمعة التي تظهر منا الآن بسبب من بقي على منهاج
اسلافنا وشيوخنا المتقدمين كالحارث المحاسبي والامام محمد بن ادريس الشافعي
والمزني وحرملة وغيرهم من ائمة الدين رضي الله عنهم اجمعين وفي مثلهم قيل فما
صحبوا الايام الا تعففا وما وجدوا من حب سيدهم بدا افاضل صديقين اهل ولاية
الى سيد السادات قد جعلوا القصد اجل عقد الصبر من كل صابر وما حلت الايام
من عقدهم عقدا وكنا في الصدر الاول ملوكا فصرنا سوقة وكنا فرسانا فصرنا
رجالة وليتنا لا ننقطع عن الطريق برة والله المستعان على المصايب والمسؤول
من جوده ان لا يسلبنا هذا الطريق انه جواد كريم منان رحيم ولا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم واما التفويض فتامل فيه اصلين احدهما انك تعلم
ان الاختيار لا يصلح الا لمن كان عالما بالامور بجميع جهاتها ظاهرها وباطنها
حالها وعاقبتها والا فلا تامن ان تختار الهلاك والفساد على ما فيه من
الخير والصلاح الا ترى انك لو قلت لبدوي او قروي او غيشم انتقد لي
هذه الدراهم وميز جيدها ورديها فانه لا يهتدي لذلك ولو قلت لسوقي

غيشم ظلم

غير صبر في فربما يغتر ايضًا فلا تأمن اذا الذباب تعرضها على الصيرفي الخبير بالذهب والفضة ومافيها
من الخواص والاسرار وهذا العلم المحيط بالامور من جميع الجهات والوجوه فلا يصلح الا لله رب العالمين
فلا يستحق اذا احدًا ان يكون له الاختيار والتدبير الا لله وحده لا شريك له ولذلك يقول عز وجل
وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة ثم قال تعالى وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون
وحكي عن بعض الصالحين انه قيل له عن الله سل نعطك وكان موفقًا فقال ان عالمًا بجميع الوجوه يقول
لجاهل من جميع الوجوه سل نعطك اي شيء اعلم ماذا يصلح لي فاسأله ولكن اختر انت فهذه هذه والة
مثل الثاني ما تقول لو ان رجلا قال لك اني اقوم بجميع امورك وادبر حالك وما تحتاج اليه من
مصالحك ففوض الامر كله الي وانت اشتغل بشانك الذي يعنيك وهو عندك اعلم اهل زمانك
واحكمهم واقواهم وارحمهم وانقاهم واصدقهم واوفاهم الست تغتنم ذلك وتعده اعظم
نعمة وتمنن منه وتقدم له اوفر شكر واكمل ثناء ثم اذا اختار لك شيئا لا تعرف وجه الصلاح
فيه فلا تضجر لذلك بل تثق وتطمئن الى تدبيره وتعلم انه لا يختار لك الا ما فيه الخير ولا ينظر
لك الا الصلاح كيف ما كان الامر بعد ما وكلت الامر اليه وضمن ذلك فما لك اذا تفوض
الامر الى رب العالمين سبحانه وهو الذي يدبر الامر من السماء الى الارض اعلم كل عالم واحكم
كل حاكم واقدر على كل قادر وارحم كل راحم واغنى كل غني ليختار لك بلطيف علمه وحسن تدبيره
ما لا يبلغه عملك علمك ولا يدركه فهمك وتشتغل انت بشانك الذي يعنيك في عاقبتك
وان اختار لك امرا لا تعلم وجه سره رضيت بذلك واطمأنت اليه كيف ما كان فهو الخير
والصلاح فتأمل راشدا وبالله التوفيق واما الرضاء بالقضاء فتأمل فيه اصليه
سفنجلين لا بد عليها احدهما ما في الرضاء من الفائدة في الحال والمآل واما الفائدة
الحالية ففراغ القلب وقلة الهم من غير فائدة ولذلك قال بعض الزهاد اذا كان
القدر حقا فالهم فضل واصله الخبر المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لابن مسعود
رضي الله عنه ليقل همك ما قدر يكون وما لم ترزق لم يأتك هذا هو الكلام الجامع
النبوي البالغ في قلة اللفظ وكثرة المعنى واما الفائدة التي في المآل فثواب الله تعالى
ورضوانه وذلك قوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه وفي السخط من الضجر والهم
في الحال والوزر والعقوبة في المآل بلا فائدة اذ القضاء نافذ فلا ينصرف بهمك وسخطك
كما قيل: ما قد قضى يا نفس فاصطبري له، ولك الامان من الذي لم يقدر،
وتيقني ان الذي هو كائن، حتما عليك صبرت او لم تصبري، والعاقل لا يختار الهم

ساقط
الله اعلم هنا ساقط من نسخة

اكثر منه

له

بلا فائدة

الاصل الثاني

فلا فائدة مع الوزر والعقوبة على راحة القلب والثواب الاصل الثاني ما في السخط من عظيم الخطر
والضرر والكفر والنفاق الا ان يتداركه الله برحمته وتأمل قوله تعالى فلا وربك لا يؤ
منون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما
نفى الايمان واقسم على من سخط قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف حال من سخط قضاه
جل جلاله وروينا ان الله تبارك وتعالى يقول من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر
لنعمائي فليتخذ الها سوائي قيل كانه سبحانه يقول هذا لا يرضانا ربا حتى سخط فليتخذ ربا غ
يرضاه وهذا غاية الوعيد والتهديد لمن عقل ولقد صدق بعض السلف حيث سئل
ما العبودية والربوبية فقال الرب يقضي والعبد يرضى فاذا قضى الرب ولم يرض العبد فما
هناك ربوبية ولا عبودية فتأمل هذا الاصل والحظ وانظر لنفسك لعلك تسلم
بعون الله وتوفيقه واما الصبر فانه دواء مر وشربة كريهة الا انها مباركة كريمة
تجلب اليك كل منفعة وتدفع عنك كل مضرة فاذا كان الدواء بهذه الصفة فالانسان
العاقل يكره النفس على شربه ويتجرعه ويصبر على مرارته وحدته ويقول المرارة ساعة والراحة
سنة فاما المنافع التي تجلبها فاعلم ان الصبر اربعة صبر على الطاعة وصبر عن المعصية
وصبر عن فضول الدنيا وصبر على المحن والمصايب فاذا احتمل مرارة الصبر وصبر في هذه
المواطن الاربعة حصلت له الطاعات ومنازلها من الاستقامة وثوابها الجزيل في العاقبة
ثم لا يقع في المعاصي وبلياتها في الدنيا وما لها من الشغل في الحال والتبعة في المآل ثم لا يحبط
اجره على ما ابتلي به وذهب تحصل اذ بسبب الصبر الطاعة ومنازلها الشريفة وثوابها
والتقى والزهد والعوض والثواب الجزيل من الله تعالى وتفصيل ذلك امر لا يعلمه
الا الله تعالى واما دفع المضار فتريحه اولا من مؤنة الجزع ومقاساته في الدنيا ثم وزره
وعقوبته في العقبى فاما ان هو ضعف عن الصبر وسلك طريق الجزع طبعا فاته كل منفعة و
لحقه كل مضرة اذ لا يصبر على مشقة الطاعة فلا يفعل الطاعة او لا يصبر على حفظها فيحبطها
او لا يصبر على المواظبة عليها فلا يصل الى مرتبة شريفة فيها من درجات الاستقامة
او لا يصبر عن معصيته فيقع فيها او فضول فيشتغل به او لا يصبر على مصيبته فيحرم
ثواب الصبر وربما يكثر الجزع حتى يفوت العوض بسبب ذلك فيكون له مصيبتان فوت
الشيء وفوت الاجر والعوض وحلول المكروه وحرمان الصبر وقد قيل حرمان الصبر

[illegible]

فاعلم بيان

على المصيبة اشد من المصيبة واي فائدة في شيء يذهب بالحاصل الموجود ولا يرد عليك الذاهب المفقود
فاجتهد انه اذا فاتك احدهما فلا يفوتك الاخر من الكلام الجامع ما ذكر عن علي رضي الله عنه انه عزى
رجلا فقال له ان صبرت جرت عليك المقادير وانت مأجور وان جزعت جرت عليك المقادير
وانت مأزور ثم اقول بين جملة الامراض تقطع القلب عن العلائق المألوفة وقطع النفس عن العا
دات الراسخة بالتوكل المحض على الله تعالى وترك التدبير في الامور وتفويضها الى الله سبحانه
من غير علم بما هو السر فيها وكبح النفس عن السخط والجزع مع تسارع النفس اليه واكراهها
على لجام الرضاء وتجرع شربة الصبر مع نفرتها عن ذلك لا مر مر وعلاج شديد وحمل ثقيل
ولاكنه تدبير سديد وطريق مستقيم وله عواقب محمودة واحوال مسعودة وما تقول في الوالد
المشفق الحكيم اذا منع ولده العزيز رطبة او تفاحة يأكلها وهو ارمد ويسلمه الى المعلم
الغليظ البائس ويحبسه طول النهار ويضجره ويحمله الى الحجام ليحجمه فيوجعه ويقلقه
اترى انه منع ذلك من بخل فيه كيف وهو يطعم الاجانب ويوسع عليهم او فعل ذلك
هوانًا بالولد كيف وهو يكتب له جميع ما في يده او قصد بذلك اتعابه وايذاءه كيف
وهو قرة عينه وثمرة فؤاده لو هبت عليه ريح لحني عليه كلا ولكن لما علم ان صلاحه في ذلك
وان بهذا التعب القليل يصل الى خير كثير ونفع عظيم ما تقول في الطبيب الحاذق الناصح
المحب اذا منع المريض الدنف شربة ماء وهو ظمآن يتقلى كبده وسقاه شربة اهليلج
كريهة يجزع عن ذلك نفسه وطبعه اترى ان ذلك منه معادات وايذاء كلا بل نصح
واحسان لما علم يقينا ان في اعطائه شهوة ساعة هلاكه وعطبه رأسا وفي منع ذلك
شفاءه وبقاؤه فتأمل فيهما ايها الرجل اذا حبس الله سبحانه عنك رغيفا او درهما
فتعلم يقينا انه يملك ما تريد ويقدر الى ايصاله اليك وله الجود والفضل ويعلم
حالك فلا يخفى عليه شيء ولا عجز ولا عدم ولا جفاء ولا بخل تعالى وتقدس عن ذلك علوا
كبيرا فانه اغنى الاغنياء واعلم العلماء واجود الاجودين واقدر القادرين فتعلم
اذا بالحقيقة انه لا يمنعك الا لصلاح واختار كيف وهو الذي يقول خلق لكم ما في
الارض جميعًا كيف وهو الذي جاد عليك بمعرفته وهي التي تتلاشى في جنبها الدنيا
باسرها وفي الخبر المشهور ان الله سبحانه يقول اني لاذود اوليائي عن نعيم الدنيا كما
يذود الراعي الشفيق غنمه وابله عن مبارك الغرة واذا ابتلاك بشدة فاعلم يقينا
انه غني عن امتحانك وابتلائك بصير بضعفك عالم بحالك فهو بك رؤف رحيم
اما تسمع قوله صلى الله عليه وسلم الله ارحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها

جلكه

ايا قلوح

دنف
شول آدم آصه دربر
قوري تو لمغه كوج

خلقكم

فاذا

فاذا علمت هذا علمت انه لم ينزل بك هذا المكروه الا لصلوح لك جهلته انت وهو عالم بذلك
ولهذا المعنى تراه يكثر ابتلاء اوليائه واصفيائه الذين هم اعز عباده حتى يقول
صلى الله عليه وسلم اذا احب الله قوما ابتلاهم ويقول اشد الناس بلاءً الانبياء ثم الشهداء
ثم الامثل فالامثل فاذا رايت الله تعالى يحبس عنك الدنيا ويكثر عليك الشدايد والبلوى
فاعلم انك عنده عزيز وانك عنده بمكان وانه يسلك بك طريق اوليائه فانه يراك
ولا يحتاج الى ذلك اما تسمع قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا بل اعرف منه
عليك بما يحفظ عليك من صلاحك ويكثر من اجرك وثوابك ويبوئك منازل الابرار
والاعزة عنده فكم ترى من عواقب حميدة ومواهب كريمة والله ولي التوفيق ٤٠.

فصل وبالجملة اذا علمت لنفسك يقينا ان الله تعالى الملي بضمان رزقك الذي لا بد
لك منه في بقائك وقيامك بعبادته وانه القادر على ما يشا كيف يشا وهو البصير
بحاجتك حال الاضطرار ساعة فساعة اتكلت على ضمانه لحق [illegible] الصدق وسكن قلبك دوعده ع
بذلك واضربت عن ذكر العلايق والاسباب وتعليق قلبك بها اذ العلايق
لا تغنيك ولا تكفيك دون الله سبحانه فانه تعالى هو الذي يسر اكلها وشربها ثم هو
الذي يمريها ويهنيها ثم هو الذي يلحقك قوتها ونفعها ويدفع عنك ثقلها وضررها
وهو تعالى يغنيك ويكفيك دونها اذا شاء فالامر كله اليه وحده لا شريك له محموده العاقبة
فتوكل عليه لا غيره وكذلك تترك التدبير في امورك على من دبر السما والارض ويريح
نفسك من كل شيء لا يبلغه عملك ونظرك من امر يكون غدا او لا يكون وبانه كيف
يكون تكف عن لعل ولو اذ ليس فيه الا شغل القلب وتضييع الوقت ولعله يكون امر
لم يخطر ببالك فيكون انما سبق من فكرك وتدبيرك وتضييعك الوقت العزيز فيه لغوا مربوسنوكه اردنه كزلنمز
بلا فائدة بل خسرانا مبينا تندم عليه وتغبن فيه لكان شغل القلب وتضييع العمر
في ذلك وفي هذا المعنى لبعض الزهاد • سبقت مقادير الاله وحكمه فارح فؤادك
من لعل ومن لو الاخر سيكون ما هو كاين في وقته • واخو الجهالة متعب محزون •
فلعل ما تخشاه ليس بكائن • ولعل ما ترجوه ليس يكون • وتقول لنفسك في الجملة
يا نفس لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وهو حسبنا ونعم الوكيل اذ هو

قدير لا نهاية لقدرته حكيم لا غاية لحكمته رحيم لا احاطة برحمته ومن كان بهذه الصفة لحقيق
ان تتكل عليه وتفوض الامر كله اليه فعليك بالتفويض وكذلك توطن ها قلبك على انما يقضى ان ه
الله عز وجل لك فهو الاوفق والاصلح وان ذلك لا يبلغ علمنا كيفيته وسره وتقول يا نفس
المقدور كاين لا محالة فلا فائدة في السخط والحيرة فيما يصنع الله فلا وجه للسخط الست تقولين
رضيت بالله ربا فكيف لا ترضين بقضائه والقضاء من شان الربوبية وحقها فعليك بالرضاء
وكذلك اذا اصابتك مصيبة وحل بك مكروه فتواسى نفسك عند ذلك وتضبط قلبك حتى لا يجزع
ولا يظهر منه شكاية وقلق لا سيما عند الصدمة الاولى فان الشان هناك والنفس مسارعة
جدا الى عادة الجزع عند ذلك وتقول يا نفس هذه البلاء قد وقعت فلا حيلة في دفعها وقد دفع الله
تعالى ما هو اكبر منها فان انواع البلاء في خزائنه لكثيرة وان هذه ستنقضى وانها سحابة
ستنقشع فتجدى يا نفس قليلا تجدى لذلك سرورا طويلا وثوابا جزيلا بعد ان لا دفع انقشع الغيم انكشف
للنازل ولا فائدة في الجزع ولا مصيبة في الحقيقة مع حسن العزا والصبر فيشتغل لسانك
بالاسترجاع وقلبك بذكر ما يحصل لك من الله تعالى من الاجر وتتذكر صبر اولى العزم
على المصائب العظام من الانبياء والاولياء الاعزة على الله تعالى واذا حبس الدنيا
عنك في وقت فتقول يا نفس هو اعلم بالحال وارحم واكرم وانه الذى يطعم الكلب فى
خسته والكافر في عداوته وانا عبده العارف الموحد اما اساوى عنده رغيفا فاعلمى بعيد
بالحقيقة انه لم يحبس عنك ذلك الا لنفع عظيم وسيجعل الله بعد عسر يسرا فاصبرى
قليلا ترى العجب من لطيف صنعه اما سمعت قول القائل، توقع صنع ربك كيف ياتى
بما تهواه من فرج قريب ولا تياس اذا ما ناب خطب فكم في الغيب من عجب عجيب بحث
ولاخر اذا اشتد بك العسر تفكر في الم نشرح، فعسر بين يسرين، اذا ذكرته تفرح،
واذا اجريت هذه الاذكار ونحوها على ها قلبك وواظبت عليها بالتكرير
والتمرين فان ذلك يهون عليك اذا كانت لك همة واجتهاد زمانا غير طويل ولقد
دفعت هذه العوارض الاربعة عن نفسك وكفيت مؤنتها وصرت عند الله تعالى
من المتوكلين المفوضين الراضين بقضائه الصابرين على بلوائه وحصلت لنفسك
راحة القلب والبدن في الدنيا وعظم الثواب والذخر في العقبى وجليل العز
والمحبة من رب العالمين جل جلاله فيجتمع لك خير الدارين ويستقيم لك ها طريق

العبادة

العبادة اذ لا عايق ولا شاغل وكنت حينئذ قد قطعت هذه العقبة العسيرة والله تعالى
المسئول ان يمدك وايانا بحسن التوفيق فان الامر كله بيده وهو ارحم الراحمين

ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم العقبة الخامسة وهي عقبة البواعث ثم
عليك يا اخي بالسير اذا استقام لك الطريق وسهلت السبل وارتفعت العوائق
وزالت العوارض فلا يحصل لك السير المستقيم الا باستشعار الخوف والرجاء
والتزامهما حقهما على حدتهما اما الخوف فلا فيجب التزامه لامرين احدهما الزجر
عن المعاصي فان هذه النفس امارة بالسوء ميالة الى الشر طامحة الى الفتنة
ولا تنتهي عن ذلك الا بتخويف عظيم وتهديد بليغ وليست هي في طبعها بحرة
تهمها الوفاء وتمنعها الجفا وانما هي كما قال القائل العبد يقرع بالعصا
والحر تكفيه الملامة والتدبير في امرها ان تقرعها ابدا بسوط التخويف قولا
وفعلا وفكرا نحو ما ذكر عن بعض الصالحين ان نفسه دعته الى معصية فانطلق
ونزع ثيابه وجعل يتمرغ في الرمضا ويقول ذوقي فنار جهنم اشد حرا من هذا
اي جيفة بالليل بطالة بالنهار والثاني لئلا تعجب بالطاعة فتهلك بل تقمعها
بالذم والعيب والنقص من الاسوا والاوزار التي فيها ضروب الاخطار وذلك
نحو ما ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لواني وعيسى اخذنا بما كسبت هاتان لعذبنا
عذابا لم يعذب به احد من العالمين واشار باصبعيه وعن الحسن انه كان يقول
ما يامن احدنا ان يكون قد اصاب ذنبا فطبق باب المغفرة دونه فهو يعمل
في غير معمل وعن ابن السماك فيما يعاتب نفسه تقولين قول الزاهدين وتعملين
عمل المنافقين وفي الجنة تطمعين هيهات ان للجنة اقواما اخرين فهذه
وامثالها مما يلزم العبد تذكيرها للنفس وتكريرها عليها ليلا ونهارا لئلا
تعجب بالطاعة او تقع في المعصية وبالله التوفيق واما الرجاء فانما يلزمك
استشعاره لامرين احدهما البعث على الطاعات وذلك ان الخير ثقيل والشيطان
عنه زاجر والهوى الى ضده داع وحال اهل الغفلة من عامة الخلق في النفس منطبع
مشاهد والثواب الذي يطلب عن العين غايب وامد الوصول اليه فيما يحسبه بعيد

اعتبارة ا ه
بوجع قلبه
بوجع رمضا اي حرارة الشمس
ولذلك
ولذلك عملى اعمالى ما عملى ما تعملين

بعيد واذا كان الحال على هذه الحالة فلا ينبعث النفس الى الخير ولا ترغب فيه حقه ولا تهتز له
الا بامر يقابل هذه الموانع ويساويها بل تزيد عليها وذلك الامر هو الرجاء القوى فى
رحمة الله تعالى والترغيب البالغ فى حسن ثوابه وكريم اجره ولقد قال شيخنا رحمه الله الحزن
يمنع عن الطعام والخوف يمنع عن الذنوب والرجاء يقوى على الطاعات وذكر الموت يزهد
فى الفضول والثانى ليهون عليك احتمال الشدايد والمشقات فاعلم ان من عرف ما يطلب
هان عليه ما يبذل ومن طلب له شيئ ورغب فيه حق رغبته احتمل شدته ولم يبال بما يلقى
من مؤنته ومن احب احدا حق محبته احب ايضا احتمال محنته حتى انه ليحمد بتلك المحنة
ضروبا من اللذات الا ترى الى مشترى العسل لا يفكر بلسع النحل لما يتذكر من حلاوة
العسل والاجير لا يعبأ بارتقاء السلم الطويل مع الحمل الثقيل طول النهار الصائف
المديد ما يتذكر من اخذ الدرهمين بالعشى وان الفلاح لا يفكر بمقاساة الحر
والبرد ومباشرة الشقا والكد طول السنة لما يتذكر من البذر او ان الغلة و
كذلك يا اخى العباد الذين هم اهل الاجتهاد اذا ذكر والجنة فى طيب مقيلها وانواع
نعيمها من قصورها وحورها وطعامها وشرابها وحليها وحللها وساير ما اعد الله
عز وجل لاهلها هان عليهم ما احتملوا من تعب فى عبادة اوقاتهم فى الدنيا من لذة
ونعمة اونالهم من ضرر ومشقة ولقد حكى عن اصحاب السفيان الثورى كلموه فيما
كانوا يرون من خوفه واجتهاده ورثاثة حاله فقالوا يا استاذ لو نقصت من هذا
الجهد نلت مرادك ايضا ان شاء الله تعالى فقال سفيان كيف لا اجتهد وقد
بلغنى ان اهل الجنة يكونون فى منازلهم فيتجلى لهم نور تضيء له الجنان الثمانية
فيظنون ان ذلك من جهة الرب سبحانه فيخرون ساجدين فينادون ان ارفعوا
رؤسكم ليس الذى تظنون انما هو نور جارية تبسمت فى وجه زوجها ثم
انشاء يقول ماضر من كانت الفردوس مسكنه ماذا تحمل من بوس واقتار
تراه يمشى كيئبا خايفا وجلا الى المساجد يسعى بين اطمار يا نفس ما لك من صبر
على النار وقد حان ان تقبلى من بعد ادبار قلت انا فاذا كان مدار امر العبودية
على الامرين القيام بالطاعة والانتهاء عن المعاصى وذلك لا يتم مع هذه النفس
الامارة بالسوء الا بترغيب وترهيب وترجية وتخويف فان الدابة الحرون

حكاية

تحتاج اليه الى قايد يقودها والى سايق يسوقها فاذا وقعت في مهواة فربما تضرب
بالسوط من جانب ويلوح لها بالشعير من جانب اخر حتى تنهض وتتخلص
مما وقعت فيه وان الصبي المعوم لا يمر الى المكتب الا بترجيته من الوالدين وتخويف
من المعلم وكذلك هذه النفس دابة حرون وقعت في مهواة الدنيا والخوف سوطها
وسايقها والرجا شعيرها وقايدها وكان الصبي المعوم يحمل العبادة والتقوى وذكر
النار والعقاب وتخويفه وذكر الجنة وثوابها ترجيته وترغيبه فلذلك يلزم العبد
الطالب للعبادة والرياضة ان يشعر النفس بالامرين اللذين هما الخوف والرجاء
والا فلا تساعده النفس الجموح على ذلك ولهذا المعنى اتى الذكر الحكيم بجموع الامرين
الوعد والوعيد والترغيب والتهديد وابلغ في كل واحد منهما فذكر الثواب الكريم
ما لا صبر عنه وذكر من العقاب الاليم ما لا صبر عليه فعليك اذا بالتزام هذين المعنيين
يحصل لك مرادك ويسهل عليك احتمال المشقة والله ولي التوفيق بفضله فان قلت
فما حقيقة الخوف والرجاء وحكمهما فاعلم ان الخوف والرجاء عند علمائنا يرجعان
الى قبيل الخواطر وانما المقدور للعبد مقدماتهما قالوا والخوف رعدة تحدث في القلب
عند ظن مكروه يناله والخشية نحوه لكن الخشية تقتضي ضربا من الاستعظام والمهابة
وضد الخوف الجراة ولكن قد يقابل بالامن يقال خايف وآمن لان الآمن الذي يحتوي على
الله تعالى والحقيقة ان الجراة تضاده ومقدمات الخوف اربعة الاولى ذكر الذنوب الكثيرة
التي سلفت وكثرة الخصوم الذين مضوا الى المظالم وانت مرتهن لم يتبين لك الخلاص
بعد الثانية ذكر شدة عقوبة الله تعالى التي لا طاقة لك بها الثالثة ذكر ضعف
نفسك عن احتمال الرابعة ذكر قدرة الله تعالى عليك متى شاء وكيف شاء واما الرجاء
فهو ابتهاج القلب بمعرفة فضل الله تعا واسترواحه الى سعة رحمة الله تعالى وهذا
من جملة الخواطر غير مقدور للعبد ورجاء هو مقدور وهو تذكر فضل الله تعالى
وسعة رحمته وقد يسمى ايضا ارادة الخاطرة بالاستثناء رجاء والمراد من هذا
الباب هو الاول وهو التذكر على حسب الابتهاج والاسترواح وضده الياس
وهو تذكر فوات رحمة الله وفضله وقطع القلب عن ذلك وهو معصية محضة

وهذا الرجاء فرض اذا لم يكن للعبد سبيل الى الامتناع عن اليأس به والا فهو نفل بعد
اعتقاد الجملة في فضل الله تعالى وسعة رحمته ومقدمات الرجاء اربع الاولى ذكر سوابق
فضله اليك من غير قدم او شفيع الثانية ذكر ما وعده الله من جزيل ثوابه وعظيم كرامته
حسب فضله وكرمه دون استحقاقك اياه بالفعل اذ لو كان على حسب الفعل لكان
اقل شيء واصغر امر الثالثة ذكر كثرة نعمه عليك في امور دينك ودنياك في الحال من
انواع الامداد والالطاف من غير استحقاق او سؤال الرابعة ذكر سعة رحمته وسبقها
غضبه فانه ارحم الراحمين العلي الكريم الرؤف بعباده المؤمنين فاذا واظبت على هذين
النوعين من الاذكار افضى بك الى استشعار الخوف والرجاء بكل حال والله ولي التوفيق
بفضله فصل فعليك ايها الرجل بقطع هذه العقبة بتمام الاحتياط والتحرز و
نهاية الرعاية فانها عقبة دقيقة المسلك خطيرة الطريق وذلك ان طريقها بين
طريقين مخوفين مهلكين احدهما طريق الامن والثاني طريق الياس وطريق الرجاء
والخوف هو الطريق العدل بين الطريقين الجائرين فان غلب عليك الرجاء حتى فقدت
الخوف البتة وقعت في طريق الامن البتة ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وان
غلب عليك الخوف حتى فقدت الرجاء البتة وقعت في طريقة الياس ولا ييأس من روح
الله الا القوم الكافرون فان كنت ركبت بين الرجاء والخوف واعتصمت بهما جميعا
فهو الطريق العدل المستقيم الذي هو سبيل اولياء الله واصفيائه الذين وصفهم
الله تعالى بقوله انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا
لنا خاشعين فاذا ظهرت لك في هذه العقبة ثلاث طرق طريق الامن والجراة
وطريق الياس والقنوط وطريق الخوف والرجاء ممتدا بينهما فان ملت عنه بقدم
الى يمينك او يسارك وقعت في احد المهلكين وهلكت مع الهالكين ثم الشان ان
الطريقين الجائرين اوسع مجالا واكثر داعيا واسهل سلوكا من الطريق العدل
لانك اذا نظرت من جانب الامن رايت من سعة رحمة الله وكثرة فضله وغاية جوده
ما لا يبقى لك معه خوف فتتكل على ذلك برة وتأمن وان نظرت من جانب الخوف
رايت من عظم سياسة الله عز وجل وكثرة هيبته ودقة امره وغاية مناقشته مع اوليائه

واصفيائه

واصفيائه ما لا يكاد يبقى معه رجاء فتيأس بمرة وتقنط فتحتاج اذاً ان لا تنظر الى سعة
الرحمة فقط حتى تتكل وتارة ان تنظر الى عظيم الهيبة والمناقشة فقط حتى تيأس وتقنط بل تقنطا
تنظر الى هذا والى هذا جميعاً وتاخذ من هذا بعضاً ومن هذا بعضاً فتركب بينهما طريقاً دقيقاً
وتسلك ذلك فتسلم فان طريق الرجاء المحض سهل واسع وعاقبته تؤديك ذلك
الى الامن والخسران وطريق الخوف المحض تؤديك الى الضلال والطريق العدل بينهما
طريق الخوف والرجاء وان كان دقيقاً عسراً فانه سبيل سالم ومنهج بين يؤدي
الى الغفران والاحسان ثم الى الجنان والرضوان ولقاء الملك الرحمن سبحانه ما اعظمه
من ديان او ما تسمع قوله تعالى في ابناء هذا السبيل يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ثم
قال فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون فتامل هذه الجملة جداً
وشمر وتنبه للامر فانه لا يجيء بالهوينا والله ولي التوفيق ثم اعلم انه لا يتأتى لك
سلوك هذا الطريق وحمل هذه النفس الجموح الكسلى على الخير باجتناب المحبوب عندها
واكتساب الطاعات الثقيلة عليها الا بالتحفظ بثلاثة اصول والتذكر لها على سبيل
الدوام من غير فترة ولا غفلة احدها ذكر اقوال الله عز وجل في الترغيب والترهيب الثاني
ذكر افعاله عز وجل في الاخذ والعفو الثالث ذكر جزائه للعباد في المعاد من الثواب والعقاب
وتفصيل كل اصل منها يحتاج الى صحف كثيرة ولاجلها صنفنا كتاب تنبيه الغافلين ونحن
نشير في هذا الكتاب الى كلمات توقفك على المقصود ان شاء الله تعالى الاصل الاول
اقواله سبحانه وتعالى فتدبر ايها الرجل ما في الكتاب العزيز من آيات الترغيب والترهيب
والترجية والتخويف فمن آيات الرجاء قوله عز وجل لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب
جميعاً ومن يغفر الذنوب الا الله غافر الذنب وقابل التوب وهو الذي يقبل التوبة عن عباده
ويعفو عن السيئات كتب ربكم على نفسه الرحمة ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها
للذين يتقون ان الله بالناس لرؤوف رحيم وكان بالمؤمنين رحيماً فهذه
ونحوها آيات الرجاء ومن آيات التخويف والسياسة قوله تعالى يا عباد فاتقون
افحسبتم انما خلقناكم عبثاً ايحسب الانسان ان يترك سدى ليس بامانيكم ولا اماني

ظاهر

اهل الكتاب من يعمل سوء يجز به وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا و بدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا نسئل الله تعالى ان يسلمنا برحمته ومن الايات اللطيفة الجامعة بين الخوف والرجاء قوله تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم ثم قال في عقيبه وان عذابي هو العذاب الاليم لئلا يستولي عليك الرجا بمرة وقوله تعالى شديد العقاب ثم قال في عقيبه ذي الطول لئلا يستولي عليك الخوف بمرة واعجب من ذلك قوله تعالى ويحذركم الله نفسه ثم قال في عقيبه والله رؤف بالعباد واعجب من ذلك قوله تعالى من خشي الرحمن بالغيب علق الخشية باسم الرحمن دون اسم الجبار والمنتقم والمتكبر ونحوه لتكون الخشية مع ذكر الرحمة ولا تكون الخشية تطير قلبك بمرة فتكون تخويفا في ثناء مني وتحريكا في تسكين كما تقول اما تخشى الوالدة الرحيمة اما تخاف الوالد الشفيق اما تحذر الامير الكريم والمراد من ذلك ان يكون الطريق عدلا فلا تذهب الى امن ولا قنوط جعلنا الله واياكم من المتدبرين لهذا الذكر الحكيم العاملين بما فيه انه هو الجواد الكريم

والاصل الثاني في افعاله ومعاملاته اما من جانب الخوف فاولا ان ابليس عبد الله تعالى ثمانين الف سنة فلم يترك فيما قيل موضع قدم الا وسجد لله تعالى فيه سجدة ثم ترك امرا واحدا فطرده عن بابه وضرب بوجهه عبادة ثمانين الف سنة ولعنه الى يوم الدين واعد له عذابا اليما ابد الابدين حتى روي ان الصادق الامين صلوات الله وسلامه عليه راى جبرئيل عليه السلام متعلقا باستار الكعبة وهو يصرخ الهي لا تغير اسمي ولا تبدل جسمي ثم ادم عليه السلام صفيه ونبيه الذي خلقه بيده واسجد له ملائكته وحمله على اعناقهم الى جواره انبسط فاكل اكلة واحدة لم يؤذن له فيها فنودي الا لا يجاورني من عصاني وامر الملائكة الذين حملوا سريره يزجونه من سماء الى سماء حتى اوقعوه بالارض ولم تقبل توبته فيما روي حتى بكا على خطيئته مايتي سنة فلحقه من الهوان والذل ما لحقه وبقيت ذريته في تبعات ذلك الى الابد ثم نوحا شيخ المرسلين صلوة الله عليهم اجمعين الذي احتمل في امر دينه ما احتمل لم يقل الا كلمة واحدة على غير وجهها اذ نودي فلا تسئلن ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين حتى روي في بعض الاخبار

فجعلناه بين

ازعج اتبع يزعج

انه لم يرفع

وانه لم يرفع رأسه الى السماء حياء من الله اربعين سنة ثم ابراهيم خليل الله لم يكن منه الا
هفوة واحدة فكم خاف وتضرع وقال والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين
حتى روى انه كان يبكى من شدة الخوف فيرسل الله تعالى اليه الامين جبرئيل فيقول
له هل رأيت خليلا يعذب خليله بالنار فيقول يا جبرائيل اذا ذكرت خطيئتى نسيت خلته
ثم موسى لم يكن منه الا لطمة واحدة عن غضبه كم خاف وتضرع وقال ربى انى ظلمت نفسى
فاغفر لى ثم فى زمانه بلعام بن باعورا وكان بحيث اذا نظر يرى العرش وهو المعنى
بقوله تعالى واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان.
فكان من الغاوين ولم يقل تعالى اية واحدة ولم يكن له الا زلة ميل الى الدنيا واهلها
ميلة واحدة وترك الولى من اوليائه حرمة واحدة فسلبه معرفته وجعله بمنزلة
الكلب المطرود فقال جل وعلا فمثله كمثل الكلب فاوقعه فى بحر الضلال والهلاك
الى الابد حتى انى سمعت بعض العلماء يقول انه كان فى اول امره بحيث يكون فى مجلسه
اثنى عشر الف محبرة للمتعلمين الذين يكتبون عنه صار بحيث كان اول من صنف
كتابا ذكر فيه انه ليس للعالم صانع نعوذ بالله من سخطه وعذابه الاليم وفظيع
خذلانه الذى لا طاقة لنا به فانظر حب الدنيا وشومها ماذا يجلب للعامة
وللعلماء خاصة فتنبه فان الامر خطير والعمر قصير وفى العمل تقصير والناقد بصير
فان حكم حتم بالخير اعمالنا واقوالنا وعثراتنا فما ذلك على الله بعزيز ولا بعسير
ثم داود عليه السلام خليفته فى ارضه اذنب ذنبا واحدا فبكى على ذلك حتى نبت
العشب فى الارض من دموعه وقال الهى اما ترحم بكائى وتضرعى فاجيب يا داود
نسيت ذنبك وذكرت بكائك ولم يقبل توبته اربعين يوما وقيل اربعين سنة
ثم يونس عليه السلام غضب غضبة واحدة فى غير موضعها فسجنه فى بطن الحوت
تحت قعر البحار اربعين يوما وهو ينادى ان لا اله الا انت سبحانك انى كنت
من الظالمين وسمعت الملائكة صوته فقالوا الهنا وسيدنا صوت معروف
فى موضع مجهول فقال عز وعلا هذا عبدى يونس سجنته فشفعت فيه الملائكة
ثم مع ذلك غير اسمه فقال وذا النون اذ ذهب مغاضبا فنسبه الى السجن ثم قال

قال تعالى فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم
يبعثون ثم ذكر نعمته وامتنانه تعالى فقال لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو
مذموم فانظر الى هذه السياسة ايها المسكين وكذلك هاجرا الى سيد المرسلين اكرم
اكرم خلقه عليه بقوله فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون
بصير حتى كان صلى الله عليه وسلم يقول شيبتني هود واخواتها الواقعة القارعة واذا
الشمس كورت وقيل عنى هذه الاية وامثالها في القرآن وقال تعالى واستغفر
لذنبك الى ان من عليه الغفران فقال ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك
وقال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وكان بعد ذلك عليه السلام يصلي
الليل حتى تورمت قدماه فيقولون اتفعل هذا يا رسول الله وقد غفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تأخر فيقول افلا اكون عبدا شكورا وكان صلى الله عليه وسلم يقول لو اني
وعيسى اخذنا بما كسبت هاتان لعذبنا عذابا لم يعذبه احد من العالمين وكان صلى الله
عليه وسلم يصلي الليل ويبكي ويقول اعوذ بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك
اعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك ثم الصحابة الذين
هم خير قرن من خير الامة كان يبدو منهم شيء من المزاح فنزل قوله تعالى الم
يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله الاية ثم وضع في هذه الامة مع كونها
مرحومة الحدود والسياسات العظيمة والآداب حتى كان ابو يونس بن عبيد رحمه
الله تعالى يقول لا تأمن بالقطع من قطع في سرقة عشرة دراهم خير عضو منك ان
يكون عذابه هكذا غدا نسأل الله تعالى ان لا يعاملنا الا بمحض كرمه انه ارحم
الراحمين واما جانب الرجاء فحدث عن رحمة الله الواسعة ولا حرج ومن الذي
يعرف غايتها او يحبس وصفها فانه الذي يهب كفر سبعين سنة بايمان ساعة
فقال تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف اما ترى في امر سحرة
فرعون الذين جاءوا للحرب وحلفوا بعزة فرعون لما قالوا انا آمنا عن صدق
القلوب كيف قبلهم ووهب لهم جميع ما سلف ثم كيف جعلهم رؤس الشهداء
في الجنة ابد الآبدين فهذا مع من عرفه ووحده ساعة بعد ذلك الكفر والضلال
والفساد فكيف حال من افنى عمره في توحيده لا يرى لذلك اهلا في الدارين

غيره

58

غيره اما ترى اصحاب الكهف وما كانوا عليه من الضلال الكفر طول اعمارهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض والتجوا اليه كيف قبلهم ثم اعزهم واكرمهم فقال تعالى ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكيف اعظم لهم الحرمة والبسهم المهابة والحشمة حتى يقول لا كرم لخلق عليه لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ثم كيف اكرم كلبا تبعهم حتى ذكره في كتابه العزيز مرات ثم جعله معهم في الدنيا محبوبا مجوبا ويدخله الجنة في الاخرة مكرما فهذا فضله مع كلب خطا خطوات مع قوم عرفوه ووحدوه اياما معدودة من غير خدمة وعبادة فكيف فضله مع عبده المؤمن الذي خدمه ووحده وعبده سبعين سنة ولو عاش سبعين الف سنة كان ... العبودية اما سمعت كيف عاتب ابراهيم عليه السلام في دعائه على المجرمين بالهلاك وكيف عاتب موسى في امر قارون فقال استغاث بك فلم تغثه فوعزتي لو استغاث لي لاغثته وعفوت عنه وكيف عاتب يونس في شان قومه بانك تحزن على شجرة يقطين انبتها في ساعة وايبسها في ساعة ولا تحزن على مائة الف او يزيدون ثم كيف قبل عذرهم وصرف عذابه العظيم عنهم بعد ما اظلهم ثم كيف عاتب سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فيما روي انه دخل من باب بني شيبة فلما فراى قوما يضحكون فقال لهم تضحكوا الا اراكم تضحكون حتى اذا كان عند الحجر رجع اليهم القهقرى فقال جاءني جبريل فقال يا محمد ان الله تعالى يقول لك لم تقنط عبادي من رحمتي نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله ارحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها وفي الخبر المشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل مائة رحمة كل رحمة منها طباق السموات والارض فواحدة منها قسمها بين الانس والجن والبهائم فيها يتعاطفون وبها يتراحمون واخر منها تسعة وتسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم القيامة واذ قد اعطاك من الرحمة الواحدة كل هذه العطايا الكريمة العزيزة من معرفته سبحانه والكون من هذه الامة المرحومة ثم معرفة اهل السنة والجماعة الى ساير ما لديك من النعم الظاهرة والباطنة فنرجو من فضله العظيم ان يتم ذلك فان من بدأ بالاحسان فعليه بالاتمام ويجعل من تسعة وتسعين رحمة

لك الحظ الوافر نسئل الله سبحانه ان لا يخيب امالنا من فضله العظيم انه السيد الكريم
الجواد الرحيم الاصل الثالث ما وعدوا وعد في المعاد فلنذكر في ذلك الا
حوال الاربعة الموت والقبر والقيامة والجنة والنار وما في كل مقام منها من الخطر
العظيم للمطيعين والعاصين والمقصرين والمجتهدين اما الموت فاذكر فيه حالة رجلين
احدهما ما روي عن ابن شبرمة انه قال دخلتُ مع الشعبي على رجل مريض نعوده
لما به وعنده رجل يلقنه لا اله الا الله فقال الشعبي ارفق به فتكلم المريض وقال
ان تلقني اولم تلقني فاني لا ادعها ثم قرأ والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها
واهلها فقال الشعبي الحمد لله الذي نجا صاحبنا والاخر ما حكي ان تلميذ الفضيل
بن عياض رحمة الله حضرته الوفاة فدخل عليه الفضيل وجلس عند راسه وقرأ
سورة يس فقال يا استاذ لا تقرا هذه فسكت ثم لقنه فقال قل لا اله الا الله فقال
لا اقولها اني منها بريء ومات على ذلك فدخل الفضيل منزله وجعل يبكي اربعين
يوما لم يخرج من البيت ثم راه في المنام وهو يسحب به الى جهنم فقال باي شيء نزع الله
المعرفة عنك وكنت اعلم تلامذتي فقال بثلاثة اشياء اولها بالنميمة فاني قلت
لاصحابي بخلاف ما قلت لك والثاني بالحسد فاني حسدت اصحابي والثالث كانت بي علة
فجئت الى الطبيب فسألته عنها فقال تشرب في كل سنة قدحا من خمر فانك ان لم تفعل تبقى
بك العلة فكنت اشربه نعوذ بالله من سخطه الذي لا طاقة لنا به ثم اذكر حال رجلين
اخرين احدهما ما حكي عن عبد الله ابن المبارك رحمه الله انه لما احتضر نظر الى السماء
فضحك وقال لمثل هذا فليعمل العاملون وسمعت امام الحرمين يحكي عن الاستاذ ابي
بكر بن فورك انه قال كان لي جليس صاحب ايام التعليم وكان مبتدئا كثير الجهد في
التعلم وكان تقيا متعبدا وكان لا يحصل له مع ذلك الاجتهاد الا القليل وكنا
نتعجب من حاله فمرض فلزم مكانه بين الاولياء في الرباط ولم يدخل الى بيت المريض
وكان يجتهد الى مع مرضه فاشتد به الحال واناجانه فبينما هو اذ شخص ببصره الى
السماء ثم قال لي يا ابن فورك لمثل هذا فليعمل العاملون ثم توفي بعد ذلك رحمه
الله واما الاخر فنحو ما روى عن مالك بن دينار رحمة الله انه دخل على جار له وقد احتضر
فقال له يا مالك جبلان من نار بين يدي اكلف الصعود عليها فسئل اهله فقالوا

كان له

وقالوا كان لم مكيا لان يكيل باحدها ويكتال بالآخرة قال قد عوتب بهما وضربت احدهما
بالاخر حتى كسرتهما ثم سئالت الرجل فقال لما يزداد الامر على الاعظا واما القبر والحال بعد
الموت فاذكر فيه حال احدهما ماذكر عن بعض الصالحين قال رايت سفيان الثوري رحمه الله برجليه ظ
في النوم بعد موته فقلت له كيف حالك يا ابا عبد الله فاعرض عني قال وليس هذا زمان
الكنى فقلت كيف حالك يا سفيان فانشاء يقول نظرت الى ربي عيانا فقال لى •
هنيأ رضاى عنك يا ابن سعيد • لقد كنت قواما اذا الليل قد دجا • بعبرة مشتاق وقلب عميد •
فدونك فاختر اي قصر تريده • وزرني فاني عنك غير بعيد • والثاني ما ذكر ان بعضهم قصرية
راى في النوم بعد موته ساحت اللون مغلولة يداه الى عنقه فقيل له ما فعل الله بك فانشا
يقول تولى زمان لعبنا به • وهذا زمان بنا يلعب • وحال الاخرين احدهما ما روي
ان بعض الصالحين قال كان لى ابن استشهد فلم اره في المنام الا ليلة توفي فيها عمر
ابن عبد العزيز رحمه الله اذ تراءى لي تلك الليلة فقلت يا بني الم تك ميتا فقال لا ولكني
استشهدت وانا حي عند الله تعالى ارزق فقلت ما جاء بك فقال نودي في اهل السماء
ان لا يبقى نبي ولا صديق ولا شهيد الا و يحضر الصلوة على عمر بن عبد العزيز فجئت
لاشهد في الصلاة عليه ثم جئتكم لازوركم واسلم عليكم واما الاخر فما روي عن هشام
ابن حيان انه قال مات لى ابن حدث فرأيته في النوم فاذا هو اشيب فقلت له يا
بني ما هذا الشيب فقال لما قدم علينا فلان وقدت جهنم لقدومه فلم يبق احد منا
الا شاب نعوذ بالله الرحيم من عذابه الاليم واما القيامة فتلويح قوله تعالى يوم نحشر
المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فواحد يخرج من قبره
فاذا البراق على راسه من العبر والتاج والحلل فيلبس ويركب الى جنات النعيم لا يخلونه
من عزة ان يمشي الى الجنة برجله وآخر يخرج من قبره فاذا الزبانية والاغلال والانكال
لا يخلون الشقي يمشي الى النار برجله بل يسحب الى الجحيم على وجهه نعوذ بالله الرحيم
من سخط ولقد سمعت بعض العلماء يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كان
يوم القيامة يخرج قوم من قبورهم لهم نجيب من نور منير كيونها لها اجنحة
خضر و يطير بهم في عرصات القيمة حتى ياتوا على حيطان الجنة فاذا راتهم الملائكة
قال بعضهم لبعض من هؤلاء فيقولون لا ندري لعلهم من امة محمد صلى الله عليه وسلم

فيأتيهم بعض الملائكة فيقولون من انتم ومن اي الامم انتم فيقولون نحن من امة محمد صلى الله
عليه وسلم فتقول لهم الملائكة هل حوسبتم فيقولون لا فيقولون هل وزنتم فيقولون
لا فيقولون هل قرأتم كتبكم فيقولون لا فتقول الملائكة ارجعوا فكل ذلك وراكم
فيقولون هل اعطيتمونا شيئا فنحاسب عليه وفي خبر اخر ما ملكنا فنعدل او نجور
ولكنا عبدنا ربنا حتى دعانا فاجبناه فينادي منادٍ صدقوا عبادي ما على المحسنين
من سبيل والله غفور رحيم اما تسمع قوله تعالى افمن يلقى في النار خير ام من يأتي آمنا
يوم القيامة فاعظم برجل يشاهد تلك الاحوال والزلازل والوقايع وهو آمن
لا يدخل قلبه الفزع ولا يكون على قلبه ثقل نسأل الله تعالى ان يجعلنا واياكم من اولئك
السعداء وما ذلك على الله بعزيز واما الجنة والنار فتأمل فيهما آيتين من كتاب الله
تعالى احدهما قوله تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء وكان
سعيكم مشكورا وقال تعالى حكاية عن آخرين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون
قال اخسؤا فيها ولا تكلمون فروي انهم يصيرون عند ذلك كلابا يتعاوون في النار
نعوذ بالله تعالى الرؤف الرحيم من عذابه الاليم فان الامر كما قال يحيى بن معاذ لا
ندري اي المصيبتين اعظم فوت الجنان ام دخول النيران اما الجنة فلا صبر لنا عنها واما
النار فلا طاقة ولا صبر عليها وعلى كل حال فوت النعيم ايسر من مقاسات الجحيم ثم الطامة
الكبرى والمصيبة العظمى هو الخلود اذ لو كان الامر على كل حال منقطعا لكان الامر
هينا ولكن الشأن في ابد بلا اخر فاي قلب يحتمل ذلك واي نفس تصبر على ذلك ولذلك
قال عيسى عليه السلام ذكر الخالدين يقطع قلوب الخائفين وذكر عند الحسن ان آخر من يخرج
من النار رجل يقال له هناد عذب الف عام ينادي يا حنان يا منان فبكى الحسن وقال
ليتني كنت هنادا فتعجبوا منه فقال ويحكم اليس يوما يخرج من النار ولا يخلد فيها
قلت فرجع الامر كله الى الاصل وهي النكتة التي تقصم الظهور وتصفر الوجوه
وتقطع القلوب وتذيب الاكباد وتدمي العيون من العباد وهي خوف نزع المعرفة

بلغ

انكسر الظهر

فهذه

فهذه الغاية التي تنتهي اليها خوف الخائفين وتبكي عليها اعين الباكين ولقد قال بعضهم ان الغموم
ثلاثة غم الطاعة ان لا تقبل وغم المعاصي ان لا تغفر وغم المعرفة ان تسلب وقال المخلصون
بل الغم كله هو الواحد بالحقيقة وهو غم المعرفة وكل غم دونه تسهل اذ له انقضاء ولقد
بلغنا عن يوسف ابن اسباط انه قال دخلت على سفيان فبكى ليلة اجمع فقلت بكاؤك هذا
على الذنوب قال فحمل تبنا وقال الذنوب على الله اهون من هذا انما اخشى ان يسلبني الله تعالى
الاسلام نسئل الله ربنا المنان سبحانه ان لا يبتلينا بمصيبة وان يتم علينا بفضاله
كبير نعمته وان يتوفانا على ملة الاسلام انه ارحم الراحمين وقد ذكر سبب سوء الخاتمة
ومعناها في كتاب احياء علوم الدين فتأمله هناك فان الخوض فيه هنا خروج الى الاكثار
فتامل هذه الجملة راشداً فان التفصيل اكثر من ان يأتي عليها الوهم والذكر فلعلك
تفلح ان شاء الله تعالى بعونه وحسن توفيقه فان قلت فاي الطريقين اسلك طريق
الخوف ام طريق الرجاء فيقال لك بل المركب بينهما فلقد قيل ان من غلب عليه الرجاء صار مرجيا
وربما يخاف عليه ان يصير مرجيا ومن غلب عليه الخوف صار حروريا والمراد ان لا ينفرد باحد حروري بيان
هما دون الاخر فان بالحقيقة الرجاء الحقيقي لا ينفك عن الخوف الحقيقي والخوف الحقيقي
لا ينفك عن الرجاء الحقيقي ولذلك قيل الرجاء كله لاهل الخوف الا الامن والخوف كله لاهل
الرجاء الا اليأس فان قلت فهل يكون احدهما ارجح واكثر ذكرا بحال فاعلم ان العبد اذا كان
صحيحاً قويا فالخوف اولى به واذا مرض وضعف لا سيما اذا اشرف على الاخرة فالرجاء اولى
به هكذا سمعت العلماء يقولون قلت وذلك لما روي ان الله تعالى يقول انا عند المنكسرة
قلوبهم من مخافتي فيصير رجاؤه اولى في ذلك الوقت لانكسار قلبه وخوفه المتقدم زمان
الصحة والقوة والامكان ولذلك يقال لهم لا تخافوا ولا تحزنوا فان قلت ليس قد جاءت
الاخبار الكثيرة في حسن الظن بالله تعالى والحذر من معصيته والخوف من عقابه والاجتهاد والترغيب في ذلك فاعلم انه من حسن الظن بالله تعالى صح
في طاعته واعلم ان ها هنا اصلا اصيلا ونكتة عزيزة يغلط فيها الكثير من الناس وهو ان
الفرق بين الرجاء والامنية ان الرجاء يكون على اصله والتمني لا يكون على اصله ~~والتمني لا يكون~~
~~على اصله~~ مثاله من زرع زرعا واجتهد وجمع بذرا ثم يقول ارجو ان يحصل لي منه مائة قفيز
فذلك منه رجاء واخر لا يزرع ولا يعمل يوما فذهب ونام واغفل سنته فاذا جاء وقت

البساذ يقول ارجوان يحصل لى مائة فيقال له من اين لك هذا الرجاء
وانما ذلك امنية بلا اصل فكذلك العبد اذا اجتهد في عبادة الله وانتهى عن معصية
يقول ارجوان يقبل الله تعالى هذا اليسير ويتم هذا التقصير ويعظم الثواب
ويعفو عن الزلل واحسن الظن فهذا منه رجاء واما اذا غفل وترك الطاعات وار
تكب المعاصي ولم يبال بسخط الله تعالى ورضاه ووعده ووعيده ثم اخذ يقول
ارجو من الله تعالى الجنة والنجاة من النار فذلك منه امنية لا حاصل تحتها سماها
رجاء او حسن ظن وذلك خطاء وضلال قلت ومما يبين هذا الاصل ما روينا
عن النبي صلى الله عليه وسلم الا قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من
اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وفي ذلك يقول الحسن البصري رحمه الله ان اقواما
الهتهم اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم حسنة يقول اني احسنت
الظن بربي وكذب لو احسن الظن بربه لاحسن العمل له ثم تلا قوله تعالى فمن
كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا فقوله تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم
بربكم ارديكم فاصبحتم من الخاسرين وعن جعفر الضبعي قال رايت ابا ميسرة العا
بد وقد بدت اضلاعه من الاجتهاد في الطاعة قلت يرحمك الله ان رحمة الله
واسعة فغضب وقال هل رايت شيئا يدل على القنوط ان رحمة الله قريب
من المحسنين قال جعفر فابكاني قوله فاذا كان الرسل والابدال والاولياء مع
كل هذا الاجتهاد في الطاعة والحذر عن المعصية فاي شيء تقول اما كان لهم حسن
ظن بالله واحسن ظنا بجوده منك بلى فانهم كانوا اعلم بسعة رحمة الله تعالى
واحسن ظنا بجوده منك ولكن علموا ان ذلك دون الجد امنية وغرور
فاعتبر بهذه النكتة وتامل حالهم وانتبه من رقدتك والله ولي التوفيق
فصل وجملة الامر انك اذا تذكرت سعة رحمة الله التي سبقت غضبه ووسعت
كل شيء ثم كنت من هذه الامة المرحومة الكريمة على الله تعالى ثم غاية فضله العظيم
وكمال جوده القديم وجعل عنوان كتابه اليك بسم الله الرحمن الرحيم ثم كثرة ايا
ديه اليك ونعمه عليك ظاهرة وباطنة من غير شفيع وتقدم سابقة لك وتذكرت
من جانب اخر كمال جلاله وعظمته وعظم سلطانه وهيبته ثم شدة غضبه الذي لا يقوم له السمو

اشتغال

ودون
اسفل

ثم والارض غاية غفلتك وكثرة ذنوبك وجنونك مع دقة امره وخطر معاملته في احاطة
علمه وبصره بالعيوب ثم حسن وعده وثوابه الذي لا يبلغ كنهه الاوهام ثم شدة وعيده
واليم عقابه الذي لا يحتمل ذكره القلوب تارة تنظر الى فضله وتارة تنظر الى عدله وتارة
تنظر الى عذابه وتارة الى رحمته ورافته وطورا تنظر الى نفسك في جفواتها وجناياتها — ذلاتها خطايا
يؤدي بك جميع ذلك الى الخوف والرجاء وكنت قد سلكت السبيل الشارع القصد
وعدلت عن الجانبين المهلكين الامن واليأس ولا تتيه فيهما مع التايهين ولا تهلك — تتيه متحير
مع الهالكين وشربت الشراب الممزوج بالعدل فلا تهلكك برودة الرجاء الصرف
ولا بحرارة الخوف فكفى بك وقد وصلت الى المقصود غانما وشفيت من العلتين سالما
ووجدت النفس وقد انبعثت للطاعة ودابت في الخدمة ليله ونهارا من غير فترة
ولا غفلة واجتنبت المعاصي والمحادي وهجرتها برة كما قال نوف ان نفرها اذا ذكر الجنة
طال شوقه واذا ذكر النار طار نومه وصرت حينئذ من الاصفياء الخواض العابدين
الذين وصفهم الله تعالى بقوله انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا
وكانوا لنا خاشعين وكنت قد قطعت هذه العقبة الخطيرة باذن الله تعالى وحسن
توفيقه وكم لك من حلاوة وصفوة في الدنيا وكم لك من ذخر كريم واجر عظيم في
العقبى والله تعالى المسؤول ان يمدك وايانا بحسن توفيقه وتسديده انه ارحم
الراحمين واجود الاجودين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم العقبة
السادسة وهي عقبة القوادح ثم عليك يا اخي امدك الله وايانا بحسن توفيقه
بعد ما استبان لك السبيل واستقام لك المسير بتمييز سعيك وصيانته
عما يفسده ويضيعه عليك واغاذك باقامة الاخلاص وذكر المنة لله تعالى والاجتناب
عن ضده لا مرين احدهما ما فعله من الفائدة وهو حسن القبول من الله تعالى ووفور الثواب والا
فيكون مردودا ذاهب الثواب كلا او بعضا على ما روي في الخبر المشهور عن النبي صلى
الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول انا اغنى الاغنياء عن الشرك من عمل عملا فاشرك فيه
غيري فنصيبي له فاني لا اقبل الا ما كان لي خالصا وقيل ان الله تعالى يقول لعبده يوم
القيامة اذا التمس ثواب عمله الم يوسع لك في المجالس الم تكن الرائس في الدنيا
الم يرخص بيعك وشراك الم تكرم هذا واشباهه من الخطر والضرر فلتعلم من حط

الرياء فضيحتان ومصيبتان اما الفضيحتان فاحدهما فضيحة السر على رؤس الملائكة وذلك ما روى ان الملائكة يصعدون بعمل العبد مبتهجين فيقول الله تعالى ردوه الى سجين فانه لم يرد لي به فيفتضح ذلك العمل والعبد والثانية فضيحة العلانية وهي يوم القيامة على رؤس الخلائق روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان المرائي ينادى يوم القيامة باربعة اسماء يا كافر يا فاجر يا غادر يا خاسر ضل سعيك وبطل اجرك فلا خلاق لك التمس الاجر ممن كنت تعمل له يا مخادع وروى انه ينادى مناد يوم القيامة يسمع الخلائق اين الذين كانوا يعبدون الناس ريائا قوموا خذوا اجوركم ممن عملتم له فاني لا اقبل عملا خالطه شيء واما المصيبتان فاحدهما فوت الجنة وذلك ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم الجنة تكلمت فقالت انا حرام على كل بخيل ومرائي والخبر يحتمل معنيين احدهما ان هذا البخيل من يبخل باقبح بخل وهو قول لا اله الا الله محمد رسول الله وهذا المرائي من يرائي باقبح رياء وهو المنافق الذي يرائي بايمانه وتوحيده وفي هذا القول توجيه والثاني انه من لم ينته عن البخل والرياء ولم يراع نفسه ففيه خطر ان يلحقه شوم ذلك فيقع في الكفر فتفوته الجنة والعياذ بالله تعالى والمصيبة الثانية دخول النار وذلك ما روى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان اول ما يدعى رجل قد جمع القرآن ورجل قاتل في سبيل الله ورجل كثير المال فيقول الله تعالى للقارى الم اعلمك ما انزلت على رسولي فيقول بلى يا رب فيقول ما عملت فيما علمت فيقول يا رب قمت به اناء الليل واطراف النهار فيقول الله عز وجل كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله عز وجل بل اردت ان يقال فلان قارئ وقد قيل ذلك ويؤتى بصاحب المال فيقول الله تعالى الم اوسع عليك حتى لم ادعك تحتاج الى احد فيقول بلى يا رب فيقول الله تعالى فما عملت فيما اتيتك فيقول كنت اصل رحمي واتصدق فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله تعالى بل اردت ان يقال عنك فلان جواد فقد قيل ذلك ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقول الله تعالى له ما فعلت فيقول امرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله تعالى له كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله بل اردت ان يقال فلان جري شجاع وقد قيل ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على ركبتي وقال يا ابا هريرة اولئك اول خلق الله تعالى تسعر بهم

نار جهنم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول النار واهلها يعجون من اهل الريا قيل يا رسول الله وكيف تعج النار
قال من حر النار التي يعذبون بها وفي هذا الفصل بلاغ لاولي الابصار والله
سبحانه ولي الهداية بفضله فان قلت فاخبرونا عن حقيقة الاخلاص والريا و
حكمها وتاثيرهما في العمل فاعلم ان الاخلاص عند علمائنا اخلاصان اخلاص
العمل لله واخلاص طلب الاجر فاما اخلاص العمل فهو ارادة التقرب الى الله تعالى
وتعظيم امره واجابة دعوته والباعث عليه الاعتقاد الصحيح وضد هذا الا
خلاص النفاق وهو التقرب الى من دون الله تعالى وقال شيخنا رحمه الله
النفاق هو الاعتقاد الفاسد الذي هو للمنافق في الله عز وجل وليس هو
من قبيل الارادة لعلة ذكرناها في موضعها واما الاخلاص في طلب الاجر فهو
ارادة نفع الاخرة بعمل الخير وكان شيخنا يقول انه ارادة نفع الاخرة بخير لم يرد
ريا بتعذر دخوله بحيث ترجى به تلك المنفعة وقد شرحنا هذه الشرايط
وقال الحواريون لعيسى عليه السلام ما الخالص من الاعمال قال الذي يعمل لله
تعالى ولا يحب ان يحمده عليه احد وهذا تعرض لترك الرياء وانما خصه
بالذكر لانه اقوى الاسباب المشوشة للاخلاص وقال الجنيد الاخلاص
تصفية الاعمال ~~الاعمال~~ من الكدورات وقال الفضيل الاخلاص دوام المراقبة
ونسيان الحظوظ كلها وهذا هو البيان الكامل والاقاويل في هذا كثيرة
ولا فائدة في تكثير النقل بعد انكشاف الحقيقة وقد قال سيد الاولين والاخرين
صلى الله عليه وسلم اذا سئل عن الاخلاص فقال تقول ربي الله ثم تستقيم كما
امرت اي لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد الا ربك وتستقيم على عبادته
كما امرت فهذه اشارة الى قطع كل ما سوى الله عز وجل عن مجرى النظر وهو الا
خلاص حقا وضد الاخلاص الرياء وهو ارادة نفع الدنيا بعمل الاخرة ثم الرياء
ضربان رياء محض ورياء مختلط فالمحض ان تريد به نفع الدنيا ونفع الاخرة
هذا هو هما واما تاثيرهما فان اخلاص العمل ان يجعل الفعل قربة
واخلاص طلب الاجر يجعله مقبولا وافرا لاجر ~~والتعظيم~~ والنفاق يحبط
والتعظيم

والمخلط ان يريد بها نفعهما في الدنيا والاخرة

العمل ويخرجه عن كونه قربة مستحقا عليه الثواب بالوعد من الله تعالى فالرياء المحض
لا يكون من العارف عند بعض العلماء وان كان يبطل نصف الثواب وعند اخر
ين قد يكون رياء المحض من العارف وانه يذهب بنصف الاضعاف والتخليط
يذهب بربع الاضعاف والصحيح عند شيخنا رحمه الله ان الرياء المحض لا يكون من العارف
مع تذكرة الاخرة ويكون مع السهو والمختار ان من تاثير الرياء رفع القبول
والنقصان في الثواب وان لا تقدير له بنصف ولا ربع وشرح هذه المسائل
يطول وقد شرحناها شرحا مستقصا في كتاب احيا علوم الدين واشبعنا القول
في اسرار معاملات الدين فان قلت فما موضع الاخلاص وفي اي طاعة يقع ويجب
فاعلم ان الاعمال عند بعض العلماء ثلاثة اقسام قسم يقع فيه الاخلاصان جميعا
وهو العبادة الظاهرة الاصلية وقسم يقع فيه اخلاص طلب الاجر دون اخلاص العمل
وهو المباحات الماخوذة للعدة قال شيخنا ان كل عمل يحتمل الصرف الى غير الله
من العبادات الاصلية يقع فيها اخلاص العمل فالعبادات الباطنة اكثرها يقع فيها
اخلاص العمل واما اخلاص طلب الاجر فقال مشايخ الكرامية لا يقع في العبادات
الباطنة اذ لا يطلع عليها احد الا الله تعالى فامتنع منها دواعي الرياء فلم تحتج
الى اخلاص طلب الاجر وكان شيخنا يقول اذا اراد من الله تعالى بالعبادات الباطنة
نفع الدنيا فهو ايضا رياء فلذلك نافلو يبعد اذا ان يقع في كثير من العبادات البا
طنة الاخلاصان وكذلك النوافل ~~يجب النوافل~~ يجب فيها الاخلاصان
جميعا عند المشروع فيها واما المباحات الماخوذة للعدة يقع فيها اخلاص
طلب الاجر دون اخلاص العمل اذ هي لا تصلح ان تكون بنفسها قربة بل هي عدة
على القربة فان قلت هذا موضعهما فبين لنا وقتهما من العمل فاعلم ان اخلاص
العمل مع الفعل يقارنه لا محالة ولا يتاخر عنه واما اخلاص طلب الاجر ربما
يتاخر عنه وعند بعض العلماء يعتبر فيه وقت الفراغ من العمل فاذا فرغ
على اخلاص او ريا فقد انقضى الامر فلا يمكنه استدراكه بعد وعند عبدان
من مشايخ الكرامية ما لم ينل المنفعة المطلوبة بالرياء يمكنه اقامة الاخلاص

في ذلك

على تسعين نح

في ذلك العمل فاذا نال المطلوب فقد فات وقال بعض العلما الفريضة يمكن اقامة
الاخلاص فيها الى الموت واما النوافل فلا سبيل الى ذلك فيها قال والفرق بينهما ان الله
تعالى ادخل العبد في الفريضة فمامول منه التسليم والتفضيل فيها واما النفل فالعبد
الذي ادخل نفسه فيه وتكلفه فطولب بحقها تكلفه قلت وفي هذه المسئلة فائدة فهي
ان من سبق منه الرياء وترك الاخلاص في عمل يمكنه استدراك ذلك وتلافيه على احد
الوجوه التي ذكرنا والمقصود من نقل مذاهب الناس في هذه الدقايق علمنا الادلة
بقلة العاملين وقلة الرغبة في سلوك هذا الطريق والتقريب على المبتدي في
العبادة فان من لم يجد لعلته دواء في هذا القول وجده في الاخر لاختلاف الاغراض
وعلل الاعمال واقامتها فافهم ذلك راشدا ان شاء الله تعالى فان قلت اكل عمل
يحتاج الى اخلاص مفرد فاعلم انه قد اختلف في ذلك فقيل انه يجب لكل عمل اخلاص
مفرد وقيل يجوز تناول اخلاص بجملة من العبادات اما العمل ذو الادوات
كالوضوء والصلاة يكفيها اخلاص واحد لان بعضها متعلق ببعض صلاحا
وفسادا فصارت كشيء واحد فان قلت ان اراد بعمله الخير نفعا من الله تعالى
ولا يريد من الناس شيئا من مدحة او سمعة او منفعة ايكون ذلك رياء فاعلم
ان ذلك محض الرياء قال علماؤنا رحمهم الله الاعتبار في الرياء بالمراد لا بالذي تريد
منه فان كان مرادك من عمل الخير نفعا دنيويا فانه رياء سواء اردته من الله تعالى
او من الناس قال الله تعالى ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الا
خرة من نصيب وليس الاعتبار بلفظة الرياء واشتقاقها من معنى الرؤية انما
سميت هذه الارادة الفاسدة بهذا الاسم لانها اكثر ما تقع من قبل الناس
ورؤيتهم فافهم ذلك راشدا فان قلت اذا كان القصد بالدنيا الذي يريدها
من الله تعالى التعفف عن الناس والقوة على عبادة الله تعالى الا يكون ذلك
رياء فاعلم ان التعفف ليس في كثرة المال والجاه والحطام وانما هو في القناعة
والثقة بكفاية الله تعالى واما القوة على عبادة الله تعالى فان كان مرادك
ذلك فلا يكون رياء وكذلك ما يتصل بامور الاخرة واسبابها ويصير ذلك
لطفا بك فان اريد بعمل الخير هذا النوع فلا تكون تلك الارادة رياء لان هذه

الاسود نصيبو بتلك النية خيراً فتصير في حكم اعمال الاخرة ولا يكون ارادة للحرث دنيا
وكذلك ان اردت ان يكون لك تعظيم عند الناس او محبة عند المشايخ والائمة
يكون قصدك من ذلك التمكن من تاييد مذهب الحق والرد على اهل البدع ونشر
للعلم او حض الناس على العبادة ونحو ذلك دون ان تقصد بذلك شرف لنفسك
من حيث هي او دنيا تنالها فان هذه كلها ارادة سديدة ونيات محمودة لا يدخل
لا شيء منها في باب الرياء اذ المقصود منها امر الاخرة بالحقيقة واعلم انى سئلت
بعض مشايخنا عما يعتاده اولياؤنا من قراءة سورة الواقعة ايام العسرة
اليسر المراد بذلك ان يدفع الله تعالى عنهم تلك الشدة ويوسع عليهم بشيء
من الدنيا على ما جرت به العادة فكيف تصح ارادة متاع الدنيا بعمل الاخرة فقال
في جوابه رحمه الله كلاما معناه ان المراد منه ان يرزقهم الله تعالى قناعة او قوتا
يكون لهم عدة على عبادة الله تعالى وقوة على درس العلم وهذه من ارادة الحرث دون
الدنيا واعلم ان هذه السيرة اعني قراءة سورة الواقعة عند الشدة في امر
الرزق والخصاصة انما هو شيء وردت به الاخبار المأثورة عن النبي صلى الله عليه
وسلم وعن الصحابة رضي الله عنهم حتى ان ابن مسعود حين عوتب في امر
ولده اذ لم يترك لهم شيئا من الدنيا قال لقد خلفت لهم سورة الواقعة ومع
ذلك الاصل في السنة جرت هذه الخصلة في سائر علمائنا رحمهم الله تعالى والا
فلا مبالاة لهم بحمد الله تعالى بشدة في امر الدنيا او سعة وهم الذين يغتنمون
ضيق الدنيا وعسرها ويتفاءلون بذلك فيما بينهم ويعدونه من الله تعالى منة
عظيمة ويخافون اذا بدا لهم سعة من الدنيا التي لا يعدها اكثر الناس الا
الاحسان والنعمة ان في ذلك استدراجا من الله تعالى عز وجل ومصيبة كيف
وبطانتهم الطي والاسفار في عموم الاحوال وكثير منهم يقولون الجوع رأس
مالنا وهذا وضع مذهب اهل التصوف وهو مذهبي ومذهب اشياخي
وبذلك جرت سيرة سلفنا واما تقصير بعض المتأخرين فلا معتبر به وانما
ذكرنا هذا الفصل لئلا يغتر فيه مخالف جهلا منه بمقاصد القوم في امورهم او
او يغلط فيه مبتدئ سليم الصدر لم يأخذ من العلم حقه فيقول كيف يليق

طعن كوز دورتن

هذا

هذا الحال باهل الزهد والتجرد وارباب الصبر والرياضة ولم يعلم ان هذا شيء ماخوذ
من السنة ثم المقصود حصول القناعة والعزة لا اتباع الشرة والشهوة والضعف
عن احتمال الشدة والعسرة واكثر ما ترى عقيب ذلك قناعة في القلب وفقد
كلب الجوع وضعفه وسلوه عن الطعام وهذا علم ذلك من امتحنه فاعلم هذه الجملة
موفقا ان شاء الله تعالى القادح الثاني العجب وانما يلزمك اجتنابه لامرين
احدهما انه يحجب عن التوفيق والتاييد من الله تعالى فان المعجب مخذول واذا
انقطع عن العبد التاييد والتوفيق فما اسرع ما يهلك ولذلك قال النبي صلى
الله عليه وسلم ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه الثاني
ان يفسد العمل الصالح ولذلك قال المسيح عليه السلام يا معشر الحواريين
كم من سراج قد اطفاته الريح وكم من عابد افسده العجب واذا كان المقصود
والفائدة من العبادة الخير وهذه الخصلة تحرم العبد حتى لا يحصل له خير
فان حصل فقليل من ذلك بنفسه حتى لا يبقى بيده شيء فحقيق ان يحذر
من ذلك ويحفظ والله ولي التوفيق والعصمة فان قلت فما حقيقة العجب
ومعناه وما اثاره وحكمه بين لنا ذلك فاعلم ان حقيقة العجب استعظام
العمل الصالح وتفضيله عند علمائنا رحمهم الله ذكر العبد حصول شرف العمل
الصالح بشيء دون الله عز وجل او الخلق او النفس قالوا وقد يكون العجب
مثلثا بان تذكر ذلك من هذه الثلاثة جميعا النفس والخلق والشيطان
ومثنى بان تذكر من اثنين وموحدا بان تذكره من واحد وضد العجب ذكر المنة
وهو ان تذكر انه بتوفيق الله تعالى وانه الذي شرفه وعظم ثوابه وقدره وهذا
الذكر فرض عند دواعي العجب نفل في ساير الاوقات. واما اثر العجب في العمل
قال بعض علمائنا ينتظر الاحباط فان تاب قبل موته سلم والا فالعجب احبط
واليه ذهب محمد بن صابر من شيوخ الكرامية والاحباط عنده ان يذهب
عن العمل جميع الاسماء الحسنة حتى لا يستحق بذلك ثوابا ولا مدحة البتة وفي
قول غيره هو ذهاب الاضعاف لا غير فان قلت كيف يلتبس على العبد

شلوه عمله عصده آداد بلغ

من الشيطان ظاهر

سبها

العارف ان الله تعالى هو الذى وفق للعمل الصالح وعظم قدره والكثر واكثر ثوابه بمنه
وفضله فاعلم ان ها هنا نكتة لطيفة وخيرة شريفة وهى ان الناس فى العجب ثلاثة
اصناف صنف منهم معجبون بكل حال وهم المعتزلة والقدرية الذين لا يرون لله عليهم
عليهم منة فى افعالهم وينكرون العون والتوفيق الخاص واللطف وذلك
لشبهة استولت عليهم وصنف منهم الذاكرون المنة بكل حال وهم المستقيمون
لا يعجبون بشئ من الاعمال وذلك لبصيرة اكرموا بها وتاييد خصوا به والصنف
الثالث المخلطون وهم عامة اهل السنة تارة يتنبهون فيذكرون منة الله تعالى
وتارة يغفلون فيعجبون وذلك لمكان الغفلة العارضة والفترة فى الا
جتهاد والنقص فى البصيرة فان قلت كيف حال المعتزلة والقدرية فى افعا
لهم فاعلم ان فى ذلك اختلافا فقيل انه يحبط لمكان اعتقادهم وقيل لا يحبط
عمل باعتقاد بالجملة من فرق الاسلام حتى يخص كل عمل باعجاب كما ان اعتقاد
اهل السنة لا يمنع العجب فى كل عمل حتى يخصه بذكر المنة فان قيل فهل سوى العجب
والرياء من قادح فى العمل قيل له اجل ان فيه لقوادح سواهما لكنا خصصنا
هما بالذكر لانهما الاصل الذى يدور عليه معظم الباب وقد قال بعض المشايخ
ان حق العبد ان يتحفظ فى العمل من عشرة اشيا النفاق والريا والتخليط
والمن والاذى والندامة والعجب والحسرة والتهاون وخوف ملامة الناس ثم ذكر
شيخنا رحمه الله عليه تعالى ضد كل خطيئة خصلة منها واضرارها بالعمل فضد النفاق
اخلاص العمل وضد الرياء اخلاص طلب الاجر وضد التخليط التفريد وضد المن
تسليم العمل لله وضد الاذى تحصين العمل وضد الندامة تثبيت النفس وضد
العجب ذكر المنة وضد الحسرة اغتنام الخير وضد التهاون تعظيم التوفيق وضد
خوف ملامة الناس الخشية واعلم ان النفاق يحبط العمل والرياء يوجب رده
والمن والاذى يحبطان الصدقة اصلا فى الوقت وعند بعض المشايخ يبطلان
اضعافها واما الندامة فانها تحبط العمل فى قولهم جميعا والعجب يذهب
اضعاف العمل والحسرة وخوف الملامة والتذلة والتهاون تخفف العمل فتذ

هب

اعرلعح

هب ورانة قلت فالقبول والرد عند اهل التحصيل برجعات الى ضروب من
التعظيم والاستخفاف والاحباط ابطال منافع تكون الفعل وبسببه ثم
تارة ابطال الثواب واخرى ابطال التضعيف والثواب منفعة بقتضيها يكون؟
الفعل بعينه وقراينه واحواله والتضعيف زيادة على هذا والرزانة
تحصيل بمقتضى قراين واحوال اخر كالاحسان الى احد من اهل الخير ثم
الى الوالدين ثم الى نبي من الانبياء ففي السر يكون رزانة ولا يكون تضعيفا سا؟
فهذا تهذيب ما تحقيقه في هذه المعاني فافهم ذلك وبالله التوفيق فصل تهذيب
فعليك بقطع هذه العقبة المخوفة ذات المقاطع والمتالف في غاية التحرز
فان صاحب بضاعة الطاعات قد قطع تلك العقبات وتحمل تلك المشقات
حتى حصلت له بضاعة من العبادة عزيزة شريفة فانه لا يخاف على بضاعته تلك
الا في هذه العقبة فان فيها مقاطع يحذر ان تسلب فيها بضاعته ومتالف
يحذر ان تبدو فيها افات تفسد عليه طاعته ثم اعظمها خطرا واعمها وقوعا
هذان المقطعان اللذان هما الرياء والعجب فلنذكر في كل واحد منهما اصولا
مقنعة بجردها لك لعلك تكفى مؤنتها باذن الله تعالى اما الرياء فاذكر فيه قول
الله تعالى الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن
لتعلموا ان الله على كل شيئ قدير وان الله قد احاط بكل شيئ علما كان
الله عز وجل يقول انى خلقت السموات والارض وما بينهما في كل هذه الصنا
يع والبدايع واكتفيت بنظرك لتعلم انى عالم قادر وانت تصلى ركعتين مع
ما فيهما من المعايب والتقصير افلا تكتفى تكتفى بنظرى اليك وبعلمي بك
وثنائي عليك وشكري لك حتى تحب ان يعلم الخلق بذلك ليمدحوك
على ذلك ايكون ذلك وفاء او عقلا يرضاه احد لنفسه ويحك افلا تعقل
والاصل الثاني ان من كان له جوهر نفيس يمكنه ان ياخذ في ثمنه الف الف
دينار فباعه بفلس اليس يكون ذلك خسرانا عظيما وغبنا فظيعا ودليلا
بينا على خسة الهمة وقصور العلم وضعف الرأي وقلة العقل فما يناله
العبد بعمله من الخلق من مدحة وحطام الى اضافة رضى رب العالمين

ويشكره وثنائه وثوابه لا قل من فلس في جنب الف الف دينار بل في جنب الدنيا
وما فيها واكثر فلا يكون من الخسس ان المبين ان تفوت لنفسك تلك الكرامات
العزيزة الشريفة بهذه الامور الحقيرة الدنية ثم ان كان ولا بد لك من طلبك
هذه الخسيسة قاصدا انت الاخرة تتبعك الدنيا بل اطلب الرب وحده يعطيك
الدارين اذ هو ما لكهما جميعا وذلك قوله تعالى من كان يريد ثواب الدنيا فعند
الله ثواب الدنيا والاخرة وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يعطي الدنيا بعمل الا
خرة ولا يعطي الاخرة بعمل الدنيا فاذا انت اخلصت النية وجردت انت الهمة
للاخرة حصلت لك الدنيا والاخرة جميعا وان اردت الدنيا ذهبت عنك الاخرة
في الوقت وربما لا تنال الدنيا كما تريد وان نلتها فلا تبقى لك فتكون قد خسرت
الدنيا والاخرة فتامل انت الغافل والاصل الثالث ان المخلوق الذي لاجله
يعمل ورضاه يطلب ولو علم انك تعمل لاجله لابغضك وسخط عليك واستهان
بك واستحقرك فكيف يعمل العاقل العمل لاجل من لو علم انه يطلب رضاه لسخط
عليه واهانه فاعمل يا مسكين لاجل من اذا عملت لاجله وقصدته بسعيك وطلبت
رضاه بذلك احبك واكرمك واعطاك حتى ارضاك واغناك عن الخلق وكفاك
فهذه هذه فافطن لها ان كنت تعقل والاصل الرابع ان من حصل له سعي يمكن
ان يكتسب به رضى اعظم ملك في الدنيا فطلب به رضى كناس خسيس بين الناس
فيكون ذلك دليلا على السفه ورداءة الرأي منه وسوء الحظ ويقال له ما حاجتك
الى رضا هذا الكناس مع امكانك على رضى الملك فكيف وقد سخط الكناس
الملك فغاتك الكل فهذا حال المرائي فاي حاجة الى رضى مخلوق حقير ضعيف
مهين وهو متمكن من تحصيل رضوان رب العالمين المغني عن الكل فان ضعفت
الهمة وكلت البصيرة حتى طلبت رضا مخلوق لا محالة فسبيلك ان تجرد اراد
تك وتخلص بسعيك لله تعالى فان القلوب والنواصي بيده عز وجل فهو
يميل اليك القلوب ويجمع لك النفوس ويشرحه من حبك الصدور فتنال
من ذلك ما لا تناله بجهدك وقصدك وان لم تفعل وقصدت بعملك رضا
المخلوقين دونه عز وجل فانه يصرف عنك القلوب وينفر عنك النفوس

عليك بسبب سخطه صح

وسخط

وبسخط عليك الخلق فيحصل لك في هذا الامر سخط الله وسخط الناس جميعا
فباء من خسران وحرمان ولقد ذكر عن ~~بعض~~ رحمه الله انه قال كان
رجل يقول والله لاعبدن الله تعالى عبادة اذكر بها فكان اول داخل في المسجد
واخر خارج منه لا يراه احد حين الصلوة الا قائما يصلي وصائما لا يفطر ويجلس الى
حلق الذكر فلبث كذا سبعة اشهر فكان لا يمر بقوم الا قالوا فعل الله بهذا
المرائي وصنع فاقبل على نفسه باللوم وقال لها اني اراني في غير شيء لاخلص
عملي كله لله تعالى فلم يزد على عمله الذي كان يعمله قبل ذلك الا انه تغيرت
نيته الى الخير فكان بعد ذلك يمر على الناس فيقولون رحم الله فلانا الان قد اقبل
على الخير ثم قرأ الحسن ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا
قال يحببهم الى المومنين ولقد صدق القائل، يا مبتغي الحمد والثوابا، في عمل يبتغي
الحلالا قد خيبت ذا رأيا وابطل السعي والكلالا من كان يرجو لقاء ربه اخلص
الضلالا فالخلد والنار هم في يديه فانه يعطك النوالا والناس لا يملكون الثقلان من فعله
شيئا فكيف رأيتهم تعالى ضلالا واما العجب فلنذكر فيه اصولا احدها ان فعل مع
العبد انما صارت له قيمة لما وقع من الله موقع الرضاء والقبول والا فترى
الاجير يعمل طول النهار بدرهمين والحارس يسهر طول الليل بدرهمين وكذلك
اصحاب الصنائع والحرف كل واحد منهم يعمل في الليل والنهار فيكون قيمة ذلك
دراهم معدودة فان صرفت الفعل الى الله فصمت لله تعالى يوما قال تعالى انما
يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب ففي الخبر اعددت لعبادي الصائمين
ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فهذا يومك الذي قيمته
درهمان مع احتمال التعب العظيم صارت له هذه القيمة بتاء خير غدا الى عشاء
ولو قمت لله ليلة قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء
بما كانوا يعملون فهذا الذي قيمته دانقان او درهمان صار له هذه القيمة والقدر
فلو جعلت لله عز وجل ساعة تصلي فيها ركعتين خفيفتين بل نفسا واحدا
قلت لا اله الا الله محمد رسول الله قال الله تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى
وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب فهذه ساعة

من انفاسك التي لا قيمة لك عند اهل الدنيا ولا عندك فكم تضيعها في لا شيء وكم يمر
عليك ساعة بلا فائدة صار لها كل هذا القدر لما انه وقع مرضيا عند الله تعالى
فعظم قدره وكثر قيمته بفضله فحق اذا للعاقل ان يرى حقارة نفسه وعمله وقلة
مقداره من حيث هو وان لا يرى الا منة الله تعالى عليه فيما شرف من قدر عمله واعظم
من جزائه وان يحذر على فعله من ان يقع على وجه لا يصلح لله تعالى ولا يقع منه
موقع الرضاء فيذهب عنه القيمة التي حصلت له ويعود الى ما كان في الاصل
من الثمن الحقير من دراهم ودوانيق واحقر واخس من ذلك ومثاله ان
العنقود من العنب والاضبارة من الريحان يكون قيمته في السوق دانقا
فاذا اهداه احد الى الملك فوقع منه موقع الرضاء فيهب له الف دينار لما وقع
من الملك موقع الرضاء فصار ما قيمته حبة بالف دينار فاذا لم يرض الملك
ورده عليه رجع الى قيمته الخسيسة من حبة او دانق فكذلك ما نحن فيه فتنبه وانظر
منة الله تعالى وصن فعالك عما يشينه عند الله تعالى والاصل الثاني ما تعلم
ان الملك في الدنيا اذا اجرى على احد جراية من طعام او كسوة او دراهم او دنانير
غير معدودة فانية فانه يستخدمه بضروب الخدمة اناء الليل واطراف النهار
مع ما في ذلك من الذل والصغار ويقوم على رأسه حتى يحط رجلاه ويسعى
بين يديه اذا ركب وربما يحتاج ان يكون على بابه طول النهار حارسا وربما يبدو
له عدو فيحتاج ان يقاتل عدوه فيبذل روحه التي لا خلف عنها لاجله كل هذه
الخدمة والكلفة والضرر لاجل تلك المنفعة الحقيرة النكرة مع انها بالحقيقة
من الله تعالى وانما هو بمنزلة السبب في ذلك وربك الذي خلقك ولم تك شيئا
ثم رباك فاحسن التربية ثم انعم عليك حسن النعم الظاهرة والباطنة في دينك
ونفسك ما لا تبلغ كنهها فهمك ولا وهمك قال الله تعالى وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها ثم انك تصلي ركعتين مع ما فيهما من المعايب والآفات ومع ما وعد
الله عليها في المستقبل من حسن الثواب وضروب الكرامات حتى تستعظم
ذلك وتعجب به فليس هذا من شأن عاقل اذا نظرت فهذه هذه والاصل الثالث
ان الملك الذي من شأنه ان يخدمه الملوك والامراء ويقوم على رأسه

الحسيسة

الجراية ما يجاري من الوظائف

السادات والعظماء ويتولى خدمة الاولياء والحكماء ويطلب مدحة العلماء والعقلاء
ويمشي بين يديه الاكابر والرؤسا اذا اذن لسوقي او قروي بمقتضى الرأفة والعناية
له في بابه حتى زاحم اولئك الملوك والسادات والاكابر والافاضل في خدمته ومدحته
ويجعل له مقاما من حضرته معلوما وينظر الى خدمته بعين الرضاء وان كانت مشوشة
معيبة اليس يقال له لقد كثرت على هذا الفقير المنة من الملك وعظمت عنايته به فان
اخذ هذا الفقير يمن على الملك بتلك الخدمة المعيبة ويستعظم ذلك ويعجب به الا يقال
ان ذلك لسفيه جدا ومجنون لا يعقل شيئا ولما تقرر هذا فان الٰهنا عز وجل
هو الملك الذي يسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح
بحمده وهو المعبود الذي يسجد له من في السموات والارض طوعا وكرها فمن الخدم
على بابه جبريل امين وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وحملة العرش والكروبيون
والروحانيون وسائر الملائكة المقربين الذي لا يحصي عددهم الا رب العالمين
في منازلهم الرفيعة وانفسهم الطاهرة وعباداتهم العظيمة ثم من خدمه الذين على
بابه آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد خير العالمين مع سائر الانبياء
والمرسلين صلوات الله عليهم اجمعين في مراتبهم المنيفة ومناقبهم العزيزة الشريفة
ومقاماتهم الكريمة وعباداتهم الجليلة الخطيرة ثم من العلماء والائمة الابرار
والزهاد في مراتبهم العظيمة الفاخرة وابدانهم النقية الطاهرة وعباداتهم
الكثيرة الخالصة المتظاهرة واذل الخدم على بابه ملوك الدنيا وجبابرتها يخرون
على الاذقان ساجدين يعفرون الوجوه في التراب خاضعين ويرفعون
حوائجهم اليه باكين ضاغرين حتى ربما ينظر اليهم نظرة ويقضي لهم بفضله حاجة او
يتجاوز عنهم بكرمه زلة فمع هذه العظمة والجلال والملك والكمال قد اذن لك
في حقارتك وعيوبك وانت الذي لو استأذنت على رئيس بلدك فربما
لا يأذن لك وان كلمت اميرنا فربما لا يكلمك وان سجدت لسلطان بلدك
بالارض فربما لا يلتفت اليك وقد اذن لك جل جلاله حتى تعبده وتثني عليه
وتخاطبه بل تذل عليه بالمسئلة وتباسطه فتستقضيه حوائجك وتستكفيه
مهماتك فيكفيك ثم انه يرضى بركعتيك في معايبها بل يعد من الثواب الجزيل

يقال عفره في التراب عفرا ضربه وعفره تعفيرا اي مرّغه

عليهما ما لا يخطر بقلب بشر وانت تعجب مع ذلك بهاتين الركعتين وتستكثر ذلك وتستعظمه
ولا ترى منة الله الكريم عليك في ذلك فما اسوءك من عبد وما اجهلك من انسان والله المستعان
وعليه التكلان واليه المشتكى من هذه النفس الجاهلة فصل وعلى وجه اخر الملك العظيم اذا اذن
بادخال الهدايا اليه فيدخل بحضرته الامراء الكبراء والرؤسا والنبلا والاغنياء بهداياهم
الكثيرة الشريفة وانواع الجواهر الثمينة والذخاير النفيسة والاموال الجليلة فان جاء
بقال له بباقة بقل او قروي بسلة عنب تساوي دانقا او حبة فيدخل في حضرته ويزحم
اولئك الاكابر والاغنياء بهداياهم الكثيرة الشريفة وهذا الملك يقبل من هذا الفقير
هديته وينظر اليه بنظر القبول والرضاء ويامر له بالنفس خلعة وكرامة الا يكون ذلك
من غاية الفضل والاكرام وان اخذ هذا الفقير يمن بذلك على الملك ويعجب به ويستعظمه
وينسى ذكر منة الملك الا يقال له هذا مجنون مضطرب العقل او سفيه سيئ الادب عظيم
الجهل فالان انك اذا قمت ليلة وصليت ركعتين فاذا فرغت فتفكر كم قام لله في هذه
الليلة من الخدام في اقطار الارض برها وبحرها سهلها وجبلها وبلادها من اصناف المتقين
والصديقين والخائفين والمشتاقين والمجتهدين والمتضرعين وكم حضرت في تلك الساعة
بباب الله عز وجل من عبادة الصافية وعزمة خالصة عن نفس خاشعة والسن ظاهرة
واعين باكية وقلوب غامرة وصدور نقية واركان نقية وصلاتك وان كنت بذلت
المجهود في تحسينها واحكامها وتزيين واخلاصها فلا تكاد تصلح لحضرة هذا الملك العظيم ولا
يتبين في جنب تلك العبادات التي تعرض هنالك كيف وقد كانت منك عن قلب غافل
مختلط بانواع العيوب وبدن نجس باقذار الذنوب ولسان متلطخ بانواع المعاصي
والفضول فكيف يصلح هذا ان يحمل الى تلك الحضرة وكيف يستاهل ان يهدى الى رب
العزة قال شيخنا رحمة الله عليه انظر ايها الغافل هل وجهت صلاة من صلاتك الى السما
كايرة بعثتها الى بيوت الاغنياء وكان ابو بكر الوراق رحمه الله يقول ما فرغت
قط من صلوة الا استحييت حتى فرغت منها اشد من حياء امراة فرغت من الزنا
ثم ان الرب الكريم سبحانه وتعالى بمحض كرمه وفضله عظم قدر هاتين الركعتين
ووعد عليهما من جزيل الثواب ما وعد وانت عبده وفي خزائنه عملت ما عملت
بتوفيقه وتيسيره ثم مع ذلك تعجب به وتنسى منة الله تعالى عليك هذا والله اعجب

والباقة من البقل حزمة منه

العجب

العجب لا يكاد يذهب مثله الا عن جاهل لا فكر له وغافل لا ذهن له وقلب ميت خال ولا خير
فيه فهذه هذه فنسئل الله حسن الكفاية بمنه وفضله فصل ثم اقول بعد هذه الجملة تيقظ
منه قد تك ايها الرجل من هذه العقبة والا كنت من الخاسرين فان هذه العقبة اشد
واشق واضر وامر عقبة استقبلتك في هذه الطريقة اذ اليها تنتهي ثمرة كل ما مضى من العقبات
فان سلمت غنمت وربحت وان كانت الاخرى والعياذ بالله فقد ضاع السعي كله وخاب
الامل وبطل العمل ثم الشان كله انه قد اجتمع في هذه العقبة ثلاثة امور الاول ان الامر
دقيق جدا والغبن شديد والخطر عظيم اما دقة الامر فان مجاري الرياء والعجب في
الاعمال دقيقة خفية بالغاية فلا يكاد يتنبه لذلك الا كل نحرير في امر الدين بصير بنه
يقظان القلب متحرز واني يطلع عليه الجاهل المغرور والغافل النؤم ولقد سمعت عابر عالم
بعض علمائنا بنيسابور يحكي ان عطا السلمي رحمه الله نسج ثوبا فاحكمه وحسنه جدا
ثم حمله الى السوق فعرضه فاسترخصه البزاز وقال ان فيه عيبا كيت وكيت فاخذه
عطاء وجلس يبكي بكاء شديدا فندم الرجل على ذلك وجعل يعتذر اليه ويبذل له
في ثمنه ما يريد فقال له عطاء ليس ذلك ما تظن انما انا عامل في هذه الصناعة وقد
اجتهدت في احكام هذا الثوب واصلاحه وتحسينه حتى لا يوجد فيه عيب فلما عرض على البصير
بعيوبه اظهر فيه عيوبا كثيرة كنت عنها غافلا فكيف اعمالنا هذه اذا عرضت غدا على
الله سبحانه كيف يبدو فيها من العيوب والنقصان الذي نحن اليوم عنه غافلون
وعن بعض الصالحين انه قال كنت ليلة في وقت السحر في غرفة لي شارعا اقرأ سورة
طه فلما ان ختمتها نعست ملكت نومة فرايت شخصا نزل من السماء بيده صحيفة
فنشرها بين يدي فاذا فيها سورة طه واذا تحت كل كلمة عشر حسنات مثبتة الا
كلمة واحدة فاني رايت مكانها محوا ولم ار تحتها شيئا فقلت والله لقد قرات هذه
الكلمة ولا ارى لها ثوابا ولا اراها اثبتت فقال الشخص صدقت قد قراتها وكتبناها
الا انا سمعنا مناديا ينادي من تحت العرش امحوها واسقطوا ثوابها فمحوناها قال
فبكيت في منامي وقلت لم فعلتم ذلك فقال مر رجل فرفعت بها صوتك لاجله
فذهب ثوابها واما شدة الغبن فلان الرياء والعجب آفة عظيمة تقع في لحظة فربما
تفسد عليك عبادة سبعين سنة وحكي ان رجلا اضاف سفيان الثوري رحمه الله

واصحابه فقال لاهله هاتوا الطبق الذى اتيت به فى الحجة الاولى لا بل الذى اتيت به فى الحجة الثانية فنظر اليه سفيان وقال يا مسكين قد افسدت عليه بهذا حجتيه ووجه اخر فى الغبن ان اقل طاعة سلمت عن هذا الرياء والعجب يكون بها عند الله من القيمة ما لا نهاية له واكثر طاعة اذا اصابتها هذه الآفة بقيت بلا قيمة الا يوم
ان يتداركها الله تعالى بفضله على ما روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال لا يقل عمل لله تعالى البتة وكيف يقل عمل مقبول وسئل النخعي رحمه الله عن عمل كذا وكذا ما ثوابه فقال اذا قبل فلا يحصى ثوابه وعن وهب قال فيمن كان قبلكم رجل عبد الله تعالى سبعين سنة صايما يفطر من سبت الى سبت فطلب من الله تعالى حاجة فلم تقض فاقبل على نفسه وقال من قبلك اتيت لو كان عندك خير قضيت حاجتي فانزل الله تعالى ملكا فقال يا ابن ادم ساعتك التي انك رايت فيها على نفسك خير من عبادتك التي مضت قدت فلينظر العاقل الى هذا الكلام اليس من الغبن ان واحدا يكدح ويتعب سبعين سنة واخر يتفكر ساعة واحدة فيكون فكره ساعة واحدة افضل من عبادة سبعين سنة و خيرا اليس من الغبن العظيم انك متمكن من ساعة خير من سبعين سنة فتترك ذلك من غير حاجة بلى والله انه لاعظم الغبن وان اغفال شرا وخسرانا وان الخصلة التي لها هذه القيمة والخطر يجب ان يحذر منه ويجتنب ولمثل هذا المعنى وقع نظر اولي الابصار من العباد في مثل هذه الدقايق واهتموا لمثل هذه الاسرار بمعرفتها اولا ثم بمراعاتها والتحفظ عنها ثانيا ولم تغبنهم كثرة الاعمال بالظاهر وقالوا الشان في الصفوة لا في الكثرة وقالوا جوهرة واحدة خير من الف خرزة واما الذين قل علمهم وكلّ في هذا الباب نظرهم فجهلوا المعاني واغفلوا ما في القلوب من العيوب واشتغلوا باتعاب النفوس من الركوع والسجود والامساك عن الطعام والشراب ونحوها فقرّهما لعدد والكثرة ولم ينظروا الى ما فيها من الخ والصفوة وما يغني عدد الجوز ولا لب فيها وما ينفع دفع السعوف ولم يحكم مبانيها وما يعقل هذه الحقايق الا العالمون بالله تعالى المكاشفون والله ولي التوفيق والهداية واما عظم الخطر فمن وجوه

واحدها

69

احدها انه ملك لا نهاية لجلاله وعظمته وله عليك نعم لا تعد ولا تحصى ولك بدنٌ معيوبٌ بعيوبٍ خفيةٍ مظروفٌ بآفاتٍ كثيرةٍ وامرٌ مخوفٌ ان وقع ذلك مع تسارع النفس اليه فتحتاج ان تستخرج عملا صافيا سالما عن بدن معيوب ونفس ميالة الى الشر امارة بالسوء على وجه يصلح لرب العالمين في جلاله وعظمته وكثرة اياديه ومننه ويقع منه موقع الرضاء والقبول والا فيفوتك الربح العظيم الذي لا تسمح النفس بفوته بل ربما تصيبك فيه مصيبة لا طاقة لك بها فهذا والله شان عظيم وخطب جسيم اما جلال الملك وعظمته بحيث ان الملائكة المقربين الابرار قائمون له بالخدمة اناء الليل واطراف النهار حتى ان منهم من هو منذ خلقه الله تعالى في قيام ومنهم منذ خلقه في ركوع ومنهم من هو في سجود ومنهم من هو في تسبيح وتهليل فلا يتم القائم قيامه ولا الراكع ركوعه والساجد سجوده ولا المسبح تسبيحه ولا المهلل تهليله مادام به صوته الى النفخة الصور ثم لما فرغوا من هذه الخدمة العظيمة نادوا باجمعهم سبحانك ما عبدناك حق عبادتك وهذا سيد المرسلين وخير العالمين اعلم الخلق وافضلهم محمد صلى الله عليه وسلم يقول لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك يقول انا لا اقدر اثني عليك ثناء انت له اهل فضلا عن ان اعبدك كما انت له اهل وهو الذي يقول ليس احد يدخل الجنة بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته واما النعم والايادي فكما قال تعالى وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها وعلى ما روي انه يحشر الناس على ثلاثة دواوين ديوان الحسنات وديوان السيئات وديوان النعم فتقابل الحسنات بالنعم فلا يوفى بحسنة الا ويؤتى بنعمة حتى تعم الحسنات وتبقى السيئات والذنوب فلله تعالى فيها المشيئة واما عيوب النفس وآفاتها فقدمناها في بابها والامر المخوف ان العبد يكدح ويداب سبعين سنة غافلا عن عيوبه وافاته فربما لا يكون واحد منها مقبولا وربما يتعب اعمالا فيفسده بساعة واحدة واعظم خطرا من ذلك كله انه ربما ينظر الله تعالى الى العبد وهو يرائي الناس بعبادته وخدمته وجعل ظاهره لله تعالى وباطنه وقلبه للخلق فيطرده طردا لا مرد له والعياذ بالله تعالى ولقد سمعت بعض الحكماء يحكي عن الحسن البصري انه رئي في المنام بعد موته فسئل عن حاله فقال اقامني الله بين يديه وقال يا حسن

جوهرة

اتذكر يوما كنت تصلي لله بين يديه وقال يا حسن في المسجد اذ رمقك الناس بابصارهم
فزدت في صلاتك حسنا فلولا اني اول صلاتك كان لي خالصًا لطردتك اليوم عن
بابي ولقطعتك عني مرة واحدة ولما كان الامر في الجملة فيه من الدقة والصعوبة
الى حد عظيم نظرا او لو الابصار فيه فخافوا على انفسهم حتى ان منهم من لا يلتفت الى
جميع ما يظهر للناس من اعماله حتى حكي عن رابعة رحمها الله تعالى انها قالت ما ظهر من
اعمالي لا اعده شيئًا وقال اخر اكتم حسناتك كما تكتم سيئاتك واخر يقول ان
امكنك ان تجعل لنفسك خبئًا من الخير فافعل وحكي انه قيل لرابعة بم ترجين
اكثر ما ترجين قالت بيأسي من جل عملي وحكي انه اجتمع محمد بن واسع ومالك
ابن دينار فقال مالك اما الطاعة او النار فقال محمد بن واسع اما رحمة الله او النار
فقال مالك ما احوجني الى معلم مثلك وعن ابي يزيد البسطامي رحمه الله انه قال كابدت
العبادة ثلاثين سنة فرايت قايلا يقول لي يا ابا يزيد خزاينه مملوة من العبادة
ان اردت الوصول اليه فعليك بالذل والافتقار وسمعت الاستاذ ابا الحسن
يحكي عن الاستاذ ابي الفضل انه كان يقول اني اعلم ان ما اعمله من الطاعات غير مقبول
عند الله تعالى فقيل له في ذلك فاجاب اني اعلم ما يحتاج اليه العبد حتى يكون مقبولا
واعلم اني لست اقوم بذلك فعلمت انها غير مقبولة قيل له فلم تفعلها قال عسى ان
ان يصلحني الله تعالى يوما ما فتكون النفس مقصودة معقودة لفعل الخير فلا احتاج
ان اعوده ها ذلك من الرأس فهذه حال هولاء الاعلام ذوي المجاهدات والاقدام
منهم كما قيل فاطلب لنفسك صحبة مع غيرهم ، وقع الاياس وخابت الامال
هيهات تدرك بالتواني سادة كدوا النفوس وساعد الاقبال ثم رايت
ان اثبت ها هنا الخبر المأثور عن الصادق المصدوق صلوة الله عليه وسلم
وقد ذكرناه في غير كتاب روي عن عبد الله بن المبارك عن رجل انه قال لمعاذ بن جبل
رضي الله عنه حدثنا حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم حفظته وذكرته
في كل يوم من شدته ودقته قال نعم ثم بكا طويلا ثم قال واشوقاه الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم والى لقائه ثم قال بينما انا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ ركب
وارد فني خلفه ثم سرنا فرفع بصره الى السماء وقال الحمد لله الذي يقضي في خلقه

ان يصلحني

مأثور منقول

ما يشاء الله يا معاذ قلت لبيك يا سيد المرسلين قال احدثك بحديث ان حفظته نفعك
وان ضيعته انقطعت حجتك عند الله تعالى يا معاذ ان الله تعالى خلق سبعة املاك
قبل ان يخلق السموات لكل سماء ملكا وجعل على كل باب من ابواب السماء منهم
ملكا بوابا على قدر الباب وجلالته فتصعد الحفظة بعمل العبد وله نور وشعاع كا
كالشمس حتى اذا بلغ سماء الدنيا والحفظة تستكثر عمله وتزكيه فاذا انتهى الى الباب
قال الملك للحفظة قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا صاحب الغيبة امرني ربي
ان لا ادع عمل من يغتاب الناس يتجاوزني الى غيري ثم يجيء الحفظة ~~[illegible]~~ من الغد
ومعهم عمل صالح له نور تستكثره الحفظة وتزكيه حتى اذا انتهوا به الى السماء الثانية
قال الملك قفوا واضربوا هذا العمل وجه صاحبه فانه اراد به عرض الدنيا امرني ربي
ان لا ادع عمله يتجاوزني الى غيري فتلعنه الملائكة حتى يمسي وتصعد الحفظة بعمل
العبد مبتهجا فيه صدقة وصيام وكثير من البر تستكثره الحفظة وتزكيه فاذا
انتهوا الى السماء الثالثة قال الملك قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه وانا
الملك صاحب الكبر امرني ربي ان لا ادع عمله يتجاوزني الى غيري انه كان يتكبر
على الناس في مجالسهم وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كما يزهر الكوكب الدري
له دوي وتسبيح بصوم وصلاة وحج وعمرة فاذا انتهوا به الى السماء الرابعة
قال الملك قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا الملك صاحب العجب امرني
ربي ان لا ادع عمله يتجاوزني الى غيري انه كان اذا عمل عملا ادخل العجب فيه وتصعد الملائكة
بعمل العبد يزف كما تزف العروس الى اهلها حتى اذا انتهوا الى السماء الخامسة
بذلك العمل الحسن من جهاد وحج له ضوء كضوء الشمس فيقول الملك انا صاحب الحسد
انه كان يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله قد سخط ما رضي الله امرني ربي ان لا
ادع عمله يتجاوزني الى غيري وتصعد الحفظة بعمل العبد بوضوء تام وصلاة كثيرة
وصيام وحج وعمرة فيتجاوزون بها الى السماء السادسة فيقول الملك
الموكل بالباب انا صاحب الرحمة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه كان لا يرحم انسانا
قط واذا اصيب عبد شمت به امرني ربي ان لا ادع عمله يتجاوزني الى غيري وتصعد
الحفظة بعمل العبد بنفقة كثيرة وصوم وصلاة واجتهاد وورع له صوت كصوت

الرعد وضوء كضوء البرق فاذا انتهوا الى السماء السابعة يقول الملك الموكل بالباب انا صاحب
الذكر ان صاحب هذا العمل اراد به الذكر في المجالس والرفعة عند القراء والجاه عند الكبراء
امرني ربي ان لا ادع عمله يتجاوزني الى غيري وكل عمل لا يكون لله خالصا فهو رياء ولا
يقبل الله عز وجل عمل المرائي وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلوة وزكاة وصيام وحج
وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر الله تعالى وتشيعه ملائكة السموات السبع حتى يقطع
الحجب كلها الى الله تعالى فيقفون بين يدي الرب جل جلاله ويشهدون له بالعمل الصالح
المخلص فيقول الله تعالى انتم الحفظة على عمل عبدي وانا الرقيب على قلبه وما في نفسه انه
لم يردني بهذا العمل ولا اخلصه لي وانا اعلم بما اراد بعمله عليه لعنتي غر الادميين وغر
كم ولم يغرني وانا علام الغيوب المطلع على ما في القلوب لا يخفى علي خافية ولا يعزب
عني عازبة علمي بما كان كعلمي بما لم يكن وعلمي بما مضى كعلمي بما بقي وعلمي بالاولين كعلمي بالاخرين
اعلم السر واخفى فكيف يغرني عبدي بعمله انما يغر المخلوقين الذين لا يعلمون وانا
علام الغيوب عليه لعنتي وتقول ملائكة سبع سموات المشيعون يا ربنا عليه لعنتك
ولعنتنا فتقول اهل السموات عليه لعنة الله ولعنة اللاعنين ثم بكا معاذ وانتحب
والنحيب رفع الصوت بالبكاء وقال يا رسول الله كيف النجاة مما ذكرت فقال يا معاذ
اقتد بنبيك في اليقين قلت انت رسول الله وانا معاذ بن جبل كيف لي بالنجاة والخلاص
قال نعم يا معاذ اذا كان في عملك تقصير فاقطع لسانك عن الوقيعة في الناس و
عن اخوانك من حملة القران خاصة وليرد ذكر عن الوقيعة في الناس ما تعلم من
من عيب نفسك ولا تزك نفسك بذم اخوانك ولا ترفع نفسك بوضع اخوانك
ولا تراء بعملك كي تعرف في الناس ولا تدخل في الدنيا دخولا ينسيك الاخرة
ولا تناج رجلا وعندك اخر ولا تتعظم على الناس فتنقطع عنك خيرات الدنيا
والاخرة ولا تفحش في مجلسك حتى يحذروك من سوء خلقك ولا تمزق الناس
بلسانك فتمزقك كلاب جهنم قوله تعالى والناشطات نشطا يقول تنزع اللحم
عن العظم قلت يا رسول الله من يطيق هذه الخصال قال يا معاذ ان الذي وصفت لك
يسير على من يسره الله عليه انما يكفيك من ذلك ان تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره
لهم ما تكره لنفسك واذا انت قد سلمت قال خالد بن معدان وكان معاذ

لا يكثر

(margin: رفع الصوت)
(margin: لابد ان يعود وانا)

لا يكثر من تلاوة القرآن كما يكثر من تلاوة الحديث وذكره في مجلسه فلما سمعت ايها الرجل
بهذا الحديث العظيم بناوه الكثير خطره الاليم اثره الذي له تطير القلوب وتحير له العقول
وتضيق عن حمله الصدور وتجزع من هوله النفوس فاعتصم بمولاك رب العالمين
والزم الباب بالتضرع والابتهال والبكا اناء الليل واطراف النهار مع المتضرعين المبتهلين
فانه لا نجاة من هذا الامر الا برحمته ولا سلامة من هذا البحر الا بنظره وعنايته فتنبه
من رقدة الغافلين واعقل الامر حقه وجاهد نفسك في هذه العقبة المخوفة لعلك
لا تهلك مع الهالكين والمستعان بالله تعالى على كل حال فانه خير معين والله ارحم الرحمين
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فصل وجملة الامر انك اذا احسنت النظر فرأيت بلغ
قدر طاعة الله تعالى ورايت عجز الخلق وضعفهم وجهلهم فلا تلتفت اليهم بقلبك
وكن زاهدا في ثنائهم ومدحهم وتعظيمهم الذي لا فائدة تحته فلا تُرِد بطاعتك
شيئا من ذلك ورأيت خِسَّةَ الدنيا وحقارتها وسرعة زوالها فلا تردها ايضا جا
بطاعتك من الله تعالى وتقول يا نفس أثنا رب العالمين وشكره واعزازه خير ام ثنا
المخلوقين العاجزين الجاهلين الذين لا يعرفون قدر عملك بالحقيقة وما تحملت
فيه وما يتكلفون حقك فيما عملت بل ربما يفضلون عليك من هو أدون منك بالف
درجة ويضيعونك في احوج الاوقات وينسونك وان لم يفعلوا ذلك فما عسى
ان يكون في ايديهم والى ماذا تبلغ قدرتهم ثم هم في قبضة الله تعالى يصرفهم
كيف يشاء والى ما يشا فاعقلي ايتها النفس ولا تضيعي طاعتك العزيزة بهم
ولا يفوتنك ثناء من ثنائه كل فخر وعطاء من عطاءه كل ذخر ولقد صدق القائل
سهر العيون لغير وجهك باطل وبكاؤهن لغير فقدك ضايع وقل يا نفس اجنة
الخلد خير أم لطخة من حرام الدنيا وحطامها النكد الفاني وانت متمكنة من ان تحصلي
تحصلي بطاعتك هذا النعيم المقيم فلا تكوني خسيسة الهمة ردية الارادة ردية الا
فعال اما ترين الحمام اذا كان سمائيا كيف تعلو قيمته ويزداد قدره فارفعي همتك كلها
الى السماء وجردي قلبك لله تعالى الواحد الذي بيده الامر كله ولا تضيعي ما طفرت
به من طاعتك بلا شيء وكذلك اذا احسنت التامل فرايت ايادي الله تعالى ومننه ايادي نعم لر اي تعداد نعمت
العظام عليك في هذه الطاعة بان امكنك منها واعطاك الالة اولا ثم ازاح عنك

حتى تفرغت لهذه الطاعة ثانيًا ثم خصك بالتوفيق والتأييد ويسرها عليك
وزينها في قلبك حتى عملتها ثالثًا ثم مع جلاله وعظمته واستغنائه عنك وعن
طاعتك وكثرة نعمه عليك اعد لك على هذا العمل اليسير الثناء الجزيل والثواب
العظيم الذي لا تستحقه رابعًا ثم شكرك على ذلك واثنى عليك واحبك خامسًا
هذا كله بفضله العظيم لا غير والا فباي استحقاق لك واي قدر لعملك الحقير المعيب
فاذكري ايتها النفس منة ربك الكريم الرحيم سبحانه فيما احسن اليك في هذه
الطاعة واستحيي من ان تلتفتي الى عملك بل الفضل والمنة لله تعالى علينا
بكل حال ولا يكون لك شغل بعد حصول هذه الطاعة الا التضرع والابتهال
الى الله تعالى بان يتقبلها اما سمعت قول خليله ابراهيم عليه السلام لما فرغ
من حذمته في بناء بيته كيف ابتهل اليه ~~كيف~~ في ان يتفضل عليه القبول فقال
ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ولما فرغ من دعائه قال ربنا وتقبل
دعائي وليمن عليك بقبول هذه الطاعة المزجاة فلقد اكمل المنة واعظم النعم
ويا لك من سعادة ودولة وعز ورفعة وكم تزيي لذلك من خلعة ونعمة ~~وذخر~~
وذخر وكرامة وان تكن الاخرى فيا لك من خسران وغبن وحرمان فاهتمي
واشتغلي بهذا الشان فاذا واظبت على مثل هذا وكررته على قلبك عند الفراغ
من طاعتك واستعنت بالله عز وجل صرفك عن الالتفات الى الخلق والنفس
وشغلك عن مراياة والعجاب وبعثك على محض الاخلاص لله تعالى في الطاعة
والتمسك بذكر منة الله تعالى عليك في جميع الحالات ويحصل لك فيما ارجو طا
عات ظاهرة لا عيب فيها وخيرات خالصة لا شوب فيها وعبادات مقبولة
لا نقص فيها بل مثل هذه الطاعة وان حصلت مثلا في العمر مرة واحدة لا غير فانها
بالحقيقة لكثيرة لعمري انها وان قل عددها لقد كثر معناها وعظم قدرها وكبر
نفعها وطاب عقباها وان التوفيق لمثلها لعزيز والفضل به لله تعالى على العبد
لكثير واي هدية اجل من هدية يقبلها رب العالمين واي سعي اكرم من سعي يشكره
ويثني عليه رب العالمين فتأمل ايها المسكين واياك ان تكون من المغبونين
واذا جرى الامر على هذه الجملة كنت من ~~المحلين~~ لله تعالى الخالصين الذاكرين
المخلصين

لمنة

قطعت ثم

لمنة الموصلين وكنت قد خلفت هذه العقبة المخوفة وسلمت من آفاتها وسبقت بخلوانها وبوقت
وثمراتها فابن على الابد بكرامتها والله سبحانه ولي التوفيق والعصمة بمنه وكرمه ولا حول
مع ولا قوة الا بالله العلي العظيم العقبة السابعة وهي عقبة الحمد والشكر ثم عليك وفقك
الله وايانا بحسن توفيقه بعد قطع هذه العقبات والظفر بالمقصود من العبادات
السالمة من الآفات بالحمد والشكر لله تعالى على هذه النعم العظيمة والمنة الكريمة و
انما يلزمك ذلك لامرين احدهما لدوام النعمة والثاني لحصول الزيادة فاما دوام النعمة
فلان الشكر قيد النعم به تدوم وتبقى وبتركه تزول وتحول قال الله تعالى ان الله
لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وقال تعالى فكفرت بانعم الله فاذاقها الله
لباس الجوع والخوف وقال تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم وقال صلى الله
عليه وسلم ان للنعم اوابد كاوابد الوحش فقيدوها بالشكر واما حصول الزيادة
اوابد كجوع فلما كان الشكر هو قيد النعمة فهو ثمن الزيادة قال الله سبحانه لئن شكرتم لازيدنكم
والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم فالسيد الحكيم اذا راى العبد قد قام بحق
بحق نعمة من عليه باخرى وبراه اهلا لها والا فيقطع ذلك عنه ثم النعم قسمان دنيوية
ودينية فالدنيوية ضربان نعمة نفع ونعمة دفع فنعمة النفع ان اعطاك المصالح
والمنافع وهي ضربان الخلقة السوية في سلامتها وعافيتها والملاذ الشهية من
المطعم والمشرب والملبس والنكح وغيرها من فوايدها ونعمة الدفع ان صرف
عنك المفاسد والمضار وهي ضربان احدهما في النفس بان سلمك من زمانتها
وساير افاتها وعللها والثاني دفع ما يلحقك به من ضرر انواع العوايق او بقصد
بسوء من انس او جن او سباع او هوام ونحوها واما النعم الدينية فضربان
نعمة التوفيق ونعمة العصمة فنعمة التوفيق ان وفقك اولا للاسلام ثم للسنة
ثم للطاعة ونعمة العصمة ان عصمك اولا عن الكفر وعن الشرك ثم عن البدعة
والضلالة ثم عن ساير المعاصي وتفصيل ذلك لا يحصيه الا السيد العالم الذي
انعم عليك كما قال سبحانه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وان دوام هذه
النعم كلها بعدما من عليك بها والزيادة عليها من كل باب منها ما لا
يبلغه وهمك ولا يدركه فهمك كلها متعلق بشيء واحد وهو الحمد والشكر

وان خصلة تكون لها كل هذه القيمة ويكون فيها كل هذه الفائدة لحقيق ان
يتمسك بها من غير اغفال بحال فانه جوهر ثمين وكيمياء عزيز والله ولي التوفيق
بفضله فان قيل فما حقيقة الحمد والشكر وما معناهما وحكمها فاعلم ان العلماء
فرقوا بين الحمد والشكر عند التحصيل بان الحمد من اشكال التسبيح والتهليل فيكون
من المساعي الظاهرة والشكر من اشكال الصبر والتفويض فيكون من المساعي
الباطنة ولان الشكر يقابل الكفران والحمد يقابل الذم ولان الحمد اعم واكثر
والشكر اخص واقل قال تعالى وقليل من عبادي الشكور فثبت انهما
معنيان متميزان ثم الحمد هو الثناء على احد بالفعل الحسن وهذا مقتضى كلام
شيخنا واما الشكر فتكلموا في معناه واكثروا فعن ابن عباس رضي الله
عنهما انه قال الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح لرب العالمين في السر والعلانية
والى نحوه ذهب بعض مشايخنا فقال الشكر هو اداء الطاعات في الظاهر
والباطن ثم رجع الى انه اجتناب المعاصي ظاهرا وباطنا وقال غيره الشكر
هو الاحتراس عن اختيار معاصي الله تحرس على قلبك ولسانك واركانك
حتى لا تعصاه بشيء من هذه الثلاثة بوجه من الوجوه والفرق بين قوله وقول
الشيخ الاول انه جعل الاحتراس معنى مثبتا زايدا على الاجتناب عن المعاصي
واما الاجتناب عن المعصية ما هو الا ان لا تفعل المعصية عند دواعيها
فلا يكون في نفسه معنى محصلا يكون العبد به مشتغلا وعن الكفران معتصما
وقال شيخنا ان الشكر هو تعظيم المنعم على مقابلة نعمة على حد يمنعه عن جفاء
المنعم وكفرانه ولو قلت تعظيم المحسن على مقابلة احسانه ليصح ان يكون من الله
تعالى الشكر للعبد لحسن وفيه تفاصيل قد شرحناها في كتاب احياء علوم الدين
ولكن التفصيل ان الشكر من العبد تعظيم يمنع من جفاء من احسن اليه وذلك بتذكر
احسانه وحسن حال الشاكر في شكره وقبح حال الكافر في كفرانه قلت ان اقل
ما يستوجبه المنعم بنعمته ان لا يتوصل بها الى معصيته وما اقبح حال من جعل نعمة المنعم
سلاحا على عصيانه فعلى العبد اذا تمنى فرض الشكر في حقيقته ان يكون له من تعظيم
الله سبحانه ما يحول بينه وبين معاصيه على حسب تذكر نعمه فاذا اتى بذلك فقد

الى

الى بما هو الاصل فيه ثم يقابل ذلك بجد الطاعة وجهد بالقيام في الخدمة اذ هو من حقوق
النعمة فلا بد من الاحتراس عن المعصية وبالله التوفيق فان قلت فما موضع الشكر
فاعلم ان موضع النعم ثم النعم دينية ودنيوية على اقدارهما واما الشدايد والمصايب
في الدنيا في نفس او اهل او مال فتكلموا في ذلك هل يلزم العبد الشكر عليها قال
بعضهم لا يلزم العبد الشكر عليها من حيث هي وانما يجب فيها الصبر واما الشكر
فهو على النعمة لا غير وقالوا لا شدة الا وفي جنبها نعم لله تعالى فيلزم الشكر على
تلك النعم المقترنة بها دون نفس الشدة وتلك النعم ما قاله عبد الله بن عمر رضي الله
عنهما ما ابتليت ببلية الا كان لله تعالى علي فيها اربع نعم اذ لم تكن في ديني واذ
لم تكن اعظم منها واذ لم احرم الرضاء واذ رجوت الثواب عليها وقد قيل ايضا
من تلك النعم ان تلك الشدة زايلة غير ثابتة دايمة وانها من الله دون غيره
واذا كانت بسبب مخلوق فانها لك عليه لا له فاذا يلزم العبد الشكر على النعم المقترنة
بالشدة وقال اخرون عليك هو الاولى عند شيخنا ان شدايد الدنيا مما يلزم
العبد الشكر عليها لان تلك الشدايد نعم بالحقيقة بدليل انها تعرض العبد
لمنافع عظيمة ومثوبات جزيلة واعواض كريمة في العاقبة يتلاشى في جنبها
مشقة هذه الشدايد واي نعمة تكون اكثر من هذه ومثال ذلك من يسقيك
دواء كريها مرا لداء شديد او يفصدك او يحجمك لعلة عظيمة مخوفة الخطر
فيؤدي ذلك الى صحة النفس وسلامة البدن وصفوة العيش فيكون
ايلامه اياك بمرارة الدواء وجراحة الفصد والحجامة نعمة بالغة بالحقيقة
ومنة ظاهرة وان كان في الصورة مكروها ينفر عنه الطبع وتستوحش
منه النفس وانت تحمد الذي تولى منك هذا بل تحسن اليه ما امكنك
فكذلك حكم هذه الشدايد الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم كيف حمد الله وشكره
على الشدايد شكره على المسار حيث قال الحمد لله على ما ساء وسر الا ترى كيف يقول
جل جلاله وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وما سماه
الله تعالى خيرا فهو اكثر مما يبلغه وهمك يؤكد هذا القول ان النعمة ليست عبارة
عن اللذة وما تشتهيه النفس بمقتضى الطبع وانما هو ما يزيد في رفعة الدرجة

ولذلك تسمى نعمة في معنى الزيادة واذا كانت المشقة مما يصلح سببا في زيادة شرف العبد ورفعة درجته فتكون نعما بالحقيقة وان كانت تعد في الشدايد والمحن بظاهرها فاعلم ذلك موفقا فان قلت فالشاكر افضل ام الصابر فاعلم انه قد قيل ان الشاكر افضل بدليل قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور وجعلهم اخص الخواص وقال في نوح عليه السلام انه كان عبدا شكورا وقال في ابراهيم عليه السلام شاكرا لانعمه ولانه في منزلة الانعام والعافية ولذلك قيل لان انعم واشكر احب الي من ان ابتلي فاصبر وقيل بل الصابر افضل لانه اعظم مشقة فيكون اعظم ثوابا وارفع منزلة قال الله تعالى انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب وقال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وقال تعالى والله يحب الصابرين قلت ان الشاكر بالحقيقة لا يكون الا صابرا والصابر بالحقيقة لا يكون الا شاكرا لان الشاكر في دار المحنة لا يخلو من محنة يصبر عليها لا محالة ولا يجزع لان الشكر فيه تعظيم المنعم على حد يمنع عصيانه والجزع عصيان والصابر لا يخلو من نعمة لما ذكرنا ان الشدايد نعم بالحقيقة على المعنى المتقدم فانه شكر بالحقيقة اذا صبر لانه حبس نفسه عن الجزع تعظيما لله تعالى وهذا هو الشكر بعينه اذ هو تعظيم يمنع عن العصيان العصيانا ولان الشاكر يمنع نفسه عن الكفران فصبر عن المعصية وحمل نفسه على الشكر وصبر على الطاعة فصار صابرا على الحقيقة والصابر اعظم لله تعالى حتى منعه تعظيمه عن الجزع فيما اصابه وحمله على الصبر فقد شكر الله تعالى فصار شاكرا بالحقيقة ولان حبس النفس عن الكفران مع قصر النفس لها شدة يصبر عليها الشاكر وتوفيق الصبر والعصمة نعمة يشكر عليها الصابر فاحدهما لا ينفك عن الاخر ولان البصيرة الباعثة عليهما واحدة وهي بصيرة الاستقامة في قول بعض علمائنا في هذه الوجوه قلنا ان احدهما لا ينفك عن الاخر فاعرف هذه الوجوه وبالله التوفيق فصل فعليك ايها الرجل ببذل المجهود في قطع هذه العقبة اليسيرة المؤنة الكثيرة الجدوى العزيزة المنصر العظيمة القدر وتامل اصلين احدهما ان النعمة انما تعطى من يعرف قدرها الشاكر ودليل ما قلنا قوله تعالى حكاية عن الكفار والرد

عليهم وانما قدر ما هو بذرو

عليهم اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اليس الله باعلم بالشاكرين ظن اولئك الجهال
ان النعمة العظيمة والمنة الكريمة انما تعطى من يكون اكثرهم مالا واشرفهم حسبا
فقالوا ما بال هؤلاء الفقراء من العبيد والاحرار اعطوا هذه النعمة العظيمة بزعمكم
دوننا فقالوا على طريق الاستكبار ومجرى الاستهزاء اهؤلاء من الله عليهم من بيننا
فاجابهم الله تعالى بهذه النكتة الزاهرة فقال اليس الله باعلم بالشاكرين تقريره
الكلام ان السيد الكريم انما يعطى نعمته من يعرف قدرها من اقبل عليها بنفسه
وقلبه فاختارها على غيرها ولا يعبا بما تحمل من اعباء المونة في تحصيلها ثم لا يزال
قايما بالباب يؤدي شكرها وكان في علمنا السابق ان هؤلاء الضعفاء يعرفون
قدر هذه النعمة ويقومون بشكرها فكانوا اولى بهذه النعمة منكم فلا اعتبار بغناكم
وبؤسكم ولا جاهكم في الدنيا ولا حشمكم ولا نسبكم في الانساب ولا حسبكم انما يستحق
والنعمة كلها الدنيا وحطامها والحسب والنسب وعلوه لا الدين والحق ومعرفته
وانما تعظمون ذلك وتتفاخرون به اما ترون انكم لا تكادون تقبلون هذا الدين
والعلم والحق الا بمنة على من آتاكم به وذلك لاستحقاركم لذلك وقلة مبالاتكم به
وان ها هؤلاء الضعفاء يقبلون انفسهم على ذلك ويبذلون مهجهم فيه ولا
يبالون بما فاتهم ولا بمن عاداهم مع ذلك لتعلموا انهم هم الذين عرفوا قدر
هذه النعمة ورسخ في قلوبهم تعظيمها وهان عليهم فوقها كل شيء دونها فطاب
لهم احتمال كل شدة يستغرقون جميع العمر في شكره فلذلك انشأ اهلوا هذه
النعمة النعمة العظيمة والمنة الكريمة في سابق علمنا وخصصناهم بها دونكم
فهذه هذه ثم اقول وكذلك فريق من الناس فمن خصهم الله تعالى بنعمة من نعم الدين
من علم او عمل او عبادة تجدهم اعرف الناس بقدرها واشدهم تعظيما لها واجدهم في
تحصيلها واعظمهم في اكرامها واقومهم بشكرها والذين حرمهم ذلك فلقلة احتفالهم
بها واجلالهم لها وتعظيمهم لحقها بعد القدر السابق فلو كان تعظم العلم والعبادة
في قلوب السوقة والعامة مثل ما هو في قلوب العلماء والمتعبدين لما آثروا اسواقهم عليه
وهان عليهم تركه الا ترى ان فقيها اذا ظفر بتعلم مسئلة كانت ملتبسة عليه كيف يرتاح
قلبه ويعظم سروره ويحل موقعها من قلبه حتى ربما انه لو وجد الف دينار او اكثر ما كان

خ بر محه بوره ع بلوغ

وبوسكم

عـ بر محه

لا يمل ؛

يعد ذلك وربما يهمه امر مسئلة في باب الدين فيتفكر فيها سنة بل عشر ابل عشرين واكثر لا يستكشف ذلك ولا يحصل حتى رزقه الله فهم ذلك فيعده اكبر منة واعظم نعمة ويرى نفسه بذلك اغنى من كل غني واشرف من كل شريف وربما يتبين مثل هذه المسئلة لسوقي او متعلم كسلان لا يرى من نفسه انه مثله في الرغبة في العلم والمحبة له فلا يستمع اليه حقه وربما ان طال عليه الكلام يمل وان يبين ذلك له فلا يعده كبيرا سر وكذلك المنيب الى الله تعالى كم مجتهد ويداب بالرياضة وصيانة النفس عن الشهوات واللذات والجام الاركان في الحركات والسكنات عسى ان يتمم الله له ركعتين بخشوع في ادب وطهارة وكم يتضرع الى الله عسى ان يرزقه الله ساعة مناجاة بصفوة وحلاوة فلئن ظفر بذلك في شهر مرة بل في سنة مرة بل في العمر كله مرة عد ذلك اكبر منة واعظم نعمة فكم يسر وكم يشكر الله تعالى ولا يكترث بما قاساه من المشقة وكابد في الليالي وهجر من اللذات فيها ثم ترى الذى يزعم انه راغب في العبادة يجب ان يحصل منها شيئا لو احتاج احدهم في تحصيل مثل هذه العبادة الصافية الى نقصان لقمة من عشائهم او ترك كلمة لا تغنيهم او دفع نوم ساعة عن اعينهم فلا تسمح انفسهم بذلك ولا تطيب قلوبهم وان اتفق لهم في النادر حصول عبادة في صفوة فلا يعدوه خطيرا ولا يقدمون فيه كثير شكر وانما يعظم سرورهم ويكثر بالظاهر حمدهم اذا حصل لهم درهم او استقامت لهم كسوة او طابت لهم مرقة او طالت لهم في سلامة البدن رفاهة فيقولون عند ذلك الحمد لله هذا من فضل الله فاني يساوي هؤلاء الغافلون العاجزون اولئك السعداء الجديين المجتهدين ولذلك صار هؤلاء المساكين عن هذا الخير محرومين واولئك المؤيدون به ظافرين فائزين وكذا قسم الامر احكم الحاكمين سبحانه وهو اعلم بالعالمين فهذا تفصيل قوله تعالى اليس الله باعلم بالشاكرين فتفهم وراع حقه واعلم انك لم تحرم قط خيرا تتمناه الا من قبل نفسك فابذل مجهودك لتعرف قدر نعم الله وتعظمها حق تعظيمها فتكون اهلا لها ولا عطائها ثم يمن عليك بابقائها كما من عليك بابتدائها على ما نذكره في الاصل الثالث انه هو الرؤف الرحيم الاصل الثاني ان النعمة انما تسلب ممن لا يعرف قدرها والذى لا يعرف قدرها الشكور الذى

75

كفرها ولا يؤدي شكرها ودليل ذلك قوله تعالى واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها الآية تقدير الكلام انا انعمنا على هذا العبد بالنعم العظام والايادي الجسام في باب الدين ما مكناه بذلك من تحصيل الرتبة الكبيرة والمنزلة الرفيعة على بابنا فيصير رفيعا عندنا عظيم القدر كبير الجاه ولكنه جهل قدر نعمتنا فمال الى الدنيا الخسيسة الحقيرة وآثر شهوة نفسه الدنية الردية ولم يعلم ان الدنيا كلها لا تزن عند الله ادنى نعمة من نعم الدين جناح بعوضة وكان في ذلك بمنزلة الكلب الذي لا يعرف الاكرام من الاهانة والرفعة والشرف من الحقارة وانما الكرامة كلها عنده في كسرة يطعم او عرق مائدة ترمى اليه سواء تقعده على سرير معك او تقيمه في التراب والقذر بين يديك فنهمته وكرامته ونعمته كلها في ذلك فهذا العبد السوء اذا جهل قدر نعمتنا ولم يعرف قدر ما آتيناه من كرامتنا فكلت بصيرته وساء في مقام القربة ادبه بالالتفات الى غيرنا والاشتغال عن ذكر نعمتنا بالاشتغال بدنيا حقيرة ولذة خسيسة فنظرنا اليه نظر السياسة واحضرناه ميدان العدل وامرنا فيه بحكم الجبروت فسلبناه جميع خلعتنا وكرامتنا ونزعنا من قلبه معرفتنا فانسلخ عاريا عن جميع ما آتيناه من فضلنا فصار كلبا طريدا او شيطانا رجيما نعوذ بالله ثم نعوذ بالله من سخطه واليم عقابه انه بنا رؤوف رحيم ثم اقنع بمثال ملك كريم يكرم عبدا له فيخلع عليه خاصة ثيابه ويقربه منه ويجعله فوق ساير خدامه وحجابه وامره بملازمة بابه ثم امر ان يبنى له في موضع القصور وتوضع له الاسرة وتنصب له الموائد وتزين له الجواري وتقام له الغلمان حتى اذا رجع من الخدمة اجلس هنالك ملكا مخدوما مكرما وما بين حال خدمته ورجوعه الى ملكه وولايته الا ساعة من نهار او اقل فان ابصر هذا العبد بجانب باب الملك سايسا للدواب في كل رغيفا او كلبا يمضغ عظما فيشتغل عن خدمة الملك بنظره اليه واقباله عليه ولا يلتفت الى ماله من الخلع والكرامة فيسعى الى ذلك السايس ويمد يده ويسأله كسرة من رغيفه او يزاحم الكلب على عظمه ويغبطها ويحظ ماهما فيه اليس الملك اذا نظر اليه على مثل هذه الحالة يقول هذا السفيه الخسيس الهمة لم يعرف حق كرامتنا ولم يقدر اعزازنا اياه بخلعتنا والتقريب الى حضرتنا مع ما

صرفنا اليه من عنايتنا واسرناله من الدخاير وضروب الايادي ماهذا الاساقط الهمة
عظيم الجهل قليل التمييز اسلبوه الخلع واطردوه عن بابنا هذا حال العالم اذا مال الى الدنيا
والعابد اذا اتبع الهوى بعد ما اكرمه الله تعالى بعبادته ومعرفة اياته وشريعته
واحكامه ثم لم يعرف قدر ذلك فيصير الى احقر شيء عند الله عز وجل واهونه عنده ويميل
اليه ويرغب فيه ويحرص عليه ويكون اعظم في قلبه واحب اليه من جميع ما اعطي من تلك
النعم العزيزة من العلم والعبادة والحكمة والحقايق وكذلك من خصه الله بانواع توفيقه
وعصمته وزينه بانوار خدمته وعبادته ويديم النظر اليه بالرحمة في اكثر اوقاته ويباهي فخر
به ملائكته واعطاه على بابه الوجاهة والقيادة واحله محل الشفاعة وانزله منزلة
العزة حتى صار بحيث لو دعاه اجابه ولباه ولو سأله اعطاه واغناه ولو اقسم عليه
لابره واوفاه ولو شفع في عالم تشفعه فيهم وارضاه ولو خطر بباله شيء لاعطاه
قبل ان يسأله بلسانه فمن كانت هذه حاله ثم لم يعرف قدر هذه النعمة الى هذه المنن
العظيمة فيعدل عن ذلك الى شهوة نفس ردية لا حياء لها او لقمة من الدنيا
الدنية التي لا بقاء لها ولم ينظر الى تلك الكرامات والخلع والهدايا والمنن والعطايا ثم
ما وعد واعد له في الاخرة من الثواب العظيم والنعيم المقيم فما احقرها من نفس وما
اسفله اسواه من عبد وما اعظم خطره لو علم وما اخسر صنيعه لو فهم
نسال الله البر الرحيم ان يصلحنا بعظيم فضله وسعة رحمته انه ارحم الراحمين فعليك ايها
الرجل ببذل المجهود حتى تعرف قدر نعم الله عليك واذا انعم عليك بنعمة الدين فا
ياك ان تلتفت الى الدنيا وحطامها فان ذلك لا يكون منك الا بضروب من التهاون
بما اولاك ربك من نعم الدين اما تسمع قوله تعالى لسيد المرسلين ولقد اتيناك
سبعا من المثاني والقران العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به الاية تقديره ان كل
من اوتي القران العظيم حق له ان لا ينظر الى الدنيا الحقيرة نظرة باستحلاء
فضلا عن ان يكون له فيها رغبة فليلزم الشكر على ذلك فانها الكرامة التي حرص
خليله ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه ان يمن بها على ابيه فلم يفعل وحرص حبيبه
المصطفى صلى الله عليه وسلم ان يمن به على عمه ابي طالب فلم يفعل واما حطام الدنيا فانه

يصيبه على كل كافر وفرعون وملحد وزنديق وجاهل وفاسق الذين هم اهون خلقه عليه
حتى غرقوا فيه ويصرفه عن كل نبي وصفي وصديق وعالم وعابد الذين هم اعز خلقه عليه
حتى انهم لا يكادون يصيبون كسرة ولا خرقة ويمن عليهم ان لا يلطخهم بقذرها حتى
قال عز من قائل لموسى عليه السلام ولو شاء ان ازينكما بزينة علم فرعون حين يراها
ان مقدرته تعجز عنها لفعلت ولكني اذود عنكما الدنيا وارغب بكما عنها وكذلك
افعل باوليائي واني لاذودهم عن نعيمها كما يذود الراعي الشفيق ابله عن مبارك الغرة
واني لاجنبهم شهواتها وعيشها وليس ذلك لهوانهم علي ولكن ليستكملوا حظهم
من كرامتي وقال تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم
سقفا من فضة الاية فانظر الفرق بين الامرين ان كنت مستبصرا وقل الحمد لله الذي
من علي بمنزلة اوليائه واصفيائه وصرف عني فتنة اعدائه ولتخص بالشكر الاوفى
وخص والحمد الاكبر والمنة العظمى والنعمة الكبرى التي هي الاسلام فانها الاولى
والاخرى بان لا تفتر ليلك ولا نهارك عن شكرها فان كنت عاجزا عن عرفان قدر
ها فاعلم بالحقيقة انك لو خلقت من اول الدنيا واخذت في شكر الاسلام من اول
الوقت الى الابد لما كنت تقوم بذلك ولما قضيت بعض الحق لما هنالك من الفوز
والفضل العظيم قلت واعلم ان الموضع لا يحتمل ذكر ما يبلغه علمي من قدر هذه النعمة
ولو امليت فيه الف ورقة لكان مبلغ علمي فوق ذلك مع اعترافي بان ما اعلمه في
جنب ما لا اعلم كنغبة في بحار الدنيا باسرها اما تسمع ويحك قوله تعالى لسيد
الاولين والاخرين وسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الايمان الى ان قال وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال
لقوم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين اما تسمع قوله
صلى الله عليه وسلم وقد سمع رجلا يقول الحمد لله على الاسلام فقال انك لتحمد الله
على نعمة عظيمة ولما قدم البشير على يعقوب عليه السلام فقال على اي دين تركته
قال على دين الاسلام قال الان تمت النعمة وقيل ما من كلمة احب الى الله تعالى
ولا ابلغ عنده في الشكر من ان يقول الحمد لله الذي انعم علينا وهدانا للاسلام
واياك ان تغفل عن الشكر وتغتر بما انت عليه في الحال من الاسلام والمعرفة والتوفيق

كنغبة
اي غرفة جرعة

والعصمة فان مع ذلك لا موضع للامن والغفلة فان الامور بالعواقب وكان سفيان الثوری
رحمه الله يقول ما امن احد على دينه الا سلب وكان شيخنا رحمه الله يقول اذا سمعت بحال الكفار
وخلودهم في النار فلا تامن على نفسك فان الامر على الخطر ولا تدری ماذا يكون من العاقبة
وماذا سبق لك في حكم الغيب ولا تغتر بصفاء الاوقات فان تحتها غوامض الآفات
وقال بعضهم يا معشر المغترين بالعصم ان تحتها انواع النقم زين الله ابليس بانواع عصمة
وهو عنده في حقايق لعنته وزين بلعام بن باعورا بانوار ولايته وهو عنده في حقايق
عداوته وعن علي كرم الله وجهه كم من مستدرج بالاحسان اليه وكم من مفتون بحسن
القول فيه وكم من مغرور بالستر عليه وقيل لذی النون المصری ما اقصى ما يخدع به
العبد قال بالالطاف والكرامات ولذلك قال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون
يسبغ عليهم النعم وينسيهم الشكر كما قيل احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ولم تخف سوء
ما ياتی به القدر وسالمتك الليالی فاغتررت بها وعند صفو الليالی يحدث الكدر واعلم
انك كلما صرت اقرب فامرك اخوف واصعب والمعاملة اشد وادق والخطر عليك اعظم
فان الشيء كلما كان ابلغ علوا اذا انقلب كان اصعب وقوعا كما قيل ما طار طير
فارتفع الا كما طار وقع فاذا لا سبيل الى الامن واغفال الشكر وترك الابتهال في الحفظ
بحال وكان ابراهيم بن ادهم رحمه الله يقول كيف تأمن وابراهيم الخليل يقول واجنبني وبني
ان نعبد الاصنام ويوسف الصديق يقول توفني مسلما وكان الثوری لا يزال يقول اللهم
سلم سلم كانه في سفينة يخشى الغرق وبلغنا عن محمد بن يوسف انه قال تأملت سفيان
الثوری ليلة فبكى الليل اجمع فقلت بكاؤك هذا على الذنوب فاخذ تبنا بيده وقال
الذنوب عند الله اهون من هذا انما اخشى ان يسلبنی الاسلام والعياذ بالله
تعالى وسمعت انا بعض العارفين يقول ان بعض الانبياء عليهم السلام سأل الله تعالى
عن امر بلعام بن باعورا وطرده بعد تلك الايات والكرامات فقال تعالى انه لم يشكرنی
يوما من الايام على ما اعطيته ولو شكرنی على ذلك مرة واحدة لما سلبته فتيقظ ايها
الرجل واحتفظ بركن الشكر جدا جدا واحمد الله تعالى على منته في الدين اعلاها الا
اسلام وادناها مثلا توفيق تسبيح او عصمة عن كلمة لا تعنيك عسى ان يتم نعمته
عليك ولا يبتليك بمرارة الزوال فان امر الامور واصعبها الاهانة بعد الاكرام

والطرد

والطرد بعد التقريب والفراق بعد التكليم لوصول الوصال والله تعالى الماجد الكريم
الرؤف الرحيم فصل وجملة الامر انك اذا احسنت النظر في منن الله تعالى العظام عليك ملخ
واياديك الكرام الجسام لديك التي لا يحصرها قلبك ولا يحيط بها وهمك حتى خلفت ومتبقتم
هذه العقبات فوجدت العلوم والبصاير وتطهرت من الاوزار الكباير العوايق ودفعت
العوارض وظفرت بالبواعث وسلمت من القوادح فكم حصل لك فيها من خصلة شريفة
ورتبة منيفة اولها التبصر والتوقيف واخرها التقريب والتشريف فتاملت فيها بعقدار
عقلك وتوفيقك وشكرت الله تعالى على قدر طاقتك بان يشغل لسانك بحمده وثنائه ويملأ
قلبك بعظمته ويبلغك مبلغا يحول بينك وبين عصيانه ويبعثك على الخدمة له بما امكنك
وبسعة طاقتك معترفا بالقصور من حق انعامه واحسانه وكلما اغفلت شكره او فترت
او زللت عاودت واجتهدت وتضرعت اليه وتوسلت وقلت يا الله يا مولاي كما بدأت
بالاحسان بفضلك من غير استحقاق فاتممه بفضلك ايضا من غير استحقاق وتناديه
بنداء الاولياء الذين وجدوا تاج هدايته وذاقوا حلاوة معرفته فخافوا على انفسهم
من حرقة الطرد والاهانة ووحشة البعد والضلالة ومرارة العزل والازالة
فتضرعوا بالباب مستغيثين ومدوا اليه الاكف مبتهلين ونادوا في الخلوات متضر
عين ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب
قلت انا تقديره والله اعلم انا وجدنا منك نعمة فطمعنا في اخرى لانك انت الجواد
الوهاب فكما وهبت لنا منية الانعام في الابتداء فهب لنا رحمة الاتمام في الا
نتهاء اما تسمع ويحك ان اول دعاء علمه رب العالمين عباده المرسلين الذين المسلمين
اصطفاهم من بين خلقه هذا الدعاء قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم
اى ثبتنا عليه وادمه لنا هكذا تتضرع اليه فان الخطر عظيم وقيل ان الحكماء نظروا فردوا
مصايب العالم ومحنها الى خمس المرض في الغربة والفقر في الشيب والموت في
الشباب والعمى بعد البصر والنكرة بعد المعرفة واحسن من ذلك قول
القائل لكل شيء اذا فارقته عوض وليس لله ان فارقت من عوض قال غيره
اذا ابقت الدنيا على المرء دينه فما فاته منها فليس بضاير وكذلك في
كل نعمة انعم بها عليك وتاييد ايدك به في قطع عقبة من العقبات

ليثبت عليك ما اعطاك ويزيدك فوق ما تود وتريد وتتمنى فاذا فعلت ذلك كنت قد خلفت
هذه العقبة الخطيرة وظفرت بالكنزين الكريمين الذين هما الاستقامة والاستزادة
فتدوم لك النعم الموجودة التي اعطاكها فلا تخشى زوالها ويزيدك من النعم المفقودة
التي لم تعط بعد ما لا تحسن ان تسئلها وتتمناها فلا تخشى فواتها وكنت حينئذٍ
من العارفين العالمين التائبين الطاهرين الزاهدين في الدنيا المتجردين
للعزمة القاهرين للشيطان المتقين حق التقوى بالقلب والاركان القاصرين
للامل القاصرين الناصحين الخاشعين المتواضعين المفوضين الراضين الصابرين
المتوكلين المخبتين الخائفين الراجين الشاكرين لانعم سيدك رب العالمين ثم
تصير بعد ذلك من المستقيمين المكرمين الصديقين فتامل هذا الكلام والله تعالى
ولي التوفيق فان قلت اذا كان الامر كذلك لقد قل من الناس العابد لهذا المعبود
والواصل الى المقصود ومن الذي يقوى على هذه المؤن وتحصيل هذه الشرايط فاعلم
ان الله تعالى كذلك يقول وقليل من عبادي الشكور ولكن اكثر الناس لا يشكرون
ولا يعقلون ولا يعلمون ثم ان ذلك يسير على من يسره الله عليه وعلى العبد الاجتهاد
وعلى الله الهداية بفضله قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا الاية
واذا كان العبد الضعيف يقوم بما عليه فما ظنك بالرب اللطيف القدير الغني الكريم
فان قلت فالعمر قصير وهذه عقبات طويلة شديدة فكيف يبقى العمر حتى تكمل هذه
الشرايط وتنقطع هذه العقبات فاعلم ان العقبات طويلة والشرايط فيها شديدة
لكن اذا اراد الله تعالى ان يجتبي عبده قصر عليه طويلها وهون عليه شديدها حتى
يقول العبد بعد قطعها ما اقرب هذه الطريق واقصرها وما اهون هذا الامر
وايسره وفي مثل ذلك قلت انا عند وقوفي على هذه الغاية علم الجد واضح لمريده
وارى القلوب عن الجد في عمى ولقد عجبت لهالك ونجاته موجودة ولقد عجبت لمن نجى
حتى ان منهم من يقطع هذه العقبات في سبعين سنة ومنهم من يقطعها في عشرين
سنة ومنهم من يقطعها في عشر سنين ومنهم من تحصل له في سنة ومنهم من يقطعها في شهر
بل في جمعة بل في ساعة حتى ان منهم من تحصل له في لحظة بتوفيق خاص وعناية سابقة اما
تذكر اصحاب الكهف كان مدتهم لحظة حيث راوا والتفتوا في وجه ملكهم دقيانوس

فقالوا

فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعوا من دونه الها لقد قلنا اذا شططا حصلت
لهم المعرفة وابصروا ما في هذه الطريق من الحقايق وقطعوا هذه الطريق فصاروا مفوضين
متوكلين مستقيمين اذ قالوا فأووا الى الكهف ينشر لكم من رحمته الآية وكل ذلك انما حصل لهم
في مقدار ساعة او لحظة اما تذكر سحرة فرعون ما كان مدتهم الا لحظة حيث راوا
معجزة موسى قالوا امنا برب العالمين فابصروا الطريق وقطعوه حقه فصاروا من ساعة
الى ساعة اجل من العارفين بالله الراضين بقضاء الله الصابرين على بلائه الشاكرين
لالائه المشتاقين الى لقائه فنادوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون ولقد حكينا ان ابراهيم
ابن ادهم رحمه الله كان على ما كان عليه من امر الدنيا فعدل عن ذلك وقصد هذه الطريق
فلم يكن الا مقدار سيره من بلخ الى مرو وذو حتى صار بحيث اشار الى رجل سقط
من القنطرة في الماء الكثير هناك ان يقف فوقف الرجل بمكانه في الهوى فتخلص
وان رابعة العدوية كانت امة كبيرة يطاف بها في سوق البصرة لا يرغب فيها
احد لكبر سنها فرحمها بعض التجار فاشتراها بنحو مائة درهم فاعتقها فاختارت هذا
الطريق فاقبلت على العبادة فما تمت لها سنة حتى زارها زهاد البصرة وقراؤها وعلماؤها
لعظم منزلتها واما الذي لم تسبق له العناية ولم يعامل بالفضل فيكله الى نفسه
فربما يبقى في شعب من عقبة واحدة سبعين سنة ولا يقطعها وكم يصيح ويصرخ ما اظلم
هذا الطريق واشكله واعسر هذا الامر واعضله فان الشان كله يرجع الى اصل واحد
وذلك تقدير العزيز العليم العدل الحكيم فان قلت لم اختص هذا بالتوفيق الخاص
وحرم هذا وكلاهما مشتركان في ربقة العبودية فعند هذا السؤال ينادى من
سرادق الجلال ان الزم الادب واعرف سر الربوبية وحقيقة العبودية فانه
لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون قلت انا ومثال هذا الطريق في الدنيا الصراط في الاخرة
في عقباتها ومسافاتها ومقاطعها واختلاف احوال الخلايق فيها فمنهم من يمر
عليه كالبرق الخاطف ومنهم من يمر عليه كالريح العاصف واخر كالفرس الجواد
واخر كالطير واخر يمشي واخر يزحف على قمته حتى يصير فحمة واخر يسمع حسيسها
واخر يؤخذ بكلاليب من نار فيطرح فيها فكذلك حال هذا الطريق مع سالكيه
في الدنيا فهما صراطان صراط في الدنيا وصراط في الاخرة فصراط الاخرة للانفس

اهوا

يرى اهوالها اهل البصاير وصراط الدنيا للقلوب يرى اهوالها ذووا البصاير والالباب
وانما اختلف الاحوال للسالكين في الاخرة لاختلاف احوالهم في الدنيا فتامل في ذلك حقه
وبالله التوفيق فصل ثم اعلم ما هو التحقيق في هذا الباب وهو انه ليس هذا الطريق في طوله
وقصره مثل المسافات الكاينة التي تسلكها الانفس فتقطعها بالاقدام فيقع قطعها
على حسب قوة الانفس وضعفها انما هو طريق روحاني تسلكه القلوب فتقطعه بالافكار
على حسب العقايد والبصاير واصله نور سماوي ونظر الهي يقع في قلب العبد ينظر به
نظرة فيرى امر الدين بالحقيقة ثم هذا النور قد يطلبه العبد مائة سنة فلا يجده ولا اثرا
منه وذلك لخطائه في الطلب وتقصيره في الاجتهاد وجهله بطريق ذلك واخر يجده في
خمسين سنة واخر في عشر واخر في يوم واخر في ساعة ولحظة بعناية رب العالمين وهو تعالى
ولي الهداية ولكن العبد مامور بالاجتهاد فعليه بما امر والامر مقسوم ومقدر والرب
حكم عدل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فان قلت ما اعظم هذا الخطر واشد هذا الامر وما اكثر
ما يحتاج اليه هذا العبد الضعيف وكل هذا العمل والجهد وتحصيل هذه الشرايط لماذا فاقول
انك لصادق لعمري في قولك ان الامر شديد والخطر عظيم ولذلك قال تعالى لقد خلقنا الانسان
في كبد وقال تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن اى خوف
منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ولذلك قال سيد المرسلين ابى لو علمتم ما اعلم لبكيتم
كثيرا ولضحكتم قليلا وما روي ان المنادي ينادي من السماء ليت هذا الخلق لم يخلقوا وليتهم
اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا ولذلك يقول السلف فعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال
وددت اني كنت خضرا تاكلني الدواب مخافة العذاب وعن عمر رضي الله عنه انه سمع انسانا
يقرا هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا قال ليتها تمت وعن ابي عبيدة
رضي الله عنه قال وددت اني كنت كبشا لاهلي فيفرقوا لحمي ويحسوا مرقي ولم اخلق وعن
وهب بن منبه رحمه الله قال خلق ابن ادم احمق ولولا حمقه ما هناه عيش وعن الفضيل رحمه
الله اني لا اغبط ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ولا عبدا صالحا اليس هؤلاء يعاينون
القيمة انما اغبط من لم يخلق وعن عطاء السلمي رحمه الله لو ان نارا اوقدت فقيل من القى نفسه
فيها صار لا شيء لخشيت ان اموت من الفرح قبل ان اصل الى النار فالامر اذا ايها الرجل
شديد كما تقول بل اشد واعظم مما تظن وتتوهم ولكنه امر قد سبق في العلم القديم

وددت
بن سودم

ونقرير

79

وتقدير اجراه العزيز العليم فلا حيلة للعبد الا بذل المجهود في العبودية والاعتصام
بحبل الله والابتهال دائما الى الله تعالى عسى ان يرحمه فيسلمه بفضله واما قولك كل هذا
لماذا فهذا الكلام يدل منك على غفلة عظيمة بل الصواب ان تقول كل هذا في جنب ما يطلبه
العبد الضعيف قليل هل تدري ما يطلب العبد الضعيف اقل ما يطلب على الجملة
شيئان احدهما السلامة في الدارين فان الدنيا وغوايلها وفتنها بحيث لم يسلم منها الملائكة
المقربون وقد سمعت حديث هاروت وماروت حتى روي انه اذا عرج بروح العبد
الى السماء تقول الملائكة التي في السموات متعجبين كيف نجا هذا من دار فسد فيها خيارنا واما
الاخرة في اهوالها وشدايدها بحيث تصرخ فيها الانبيا والرسل عليهم الصلاة والسلام
نفسي نفسي لا اسئلك اليوم الا نفسي حتى روي انه لو كان للرجل عمل سبعين نبيا لظن انه
لا ينجو فمن اراد ان يسلم من فتن هذه فيخرج منها بالاسلام سالما لا تصيبه فتنة من اهوال
هذه فيدخل الجنة سالما لا تصيبه نكبة ايكون ذلك امرا هينا واما الملك والكرامة فان الملك
نفاذ التصرف والمشية وان ذلك بالحقيقة في الدنيا لاولياء الله سبحانه وتعالى واصفيائه
الراضين يقصد له البر والبحر والارض لهم قدم الحجر والمدر لهم ذهب وفضة والانس والجن والبهايم
والطيور لهم مسخرون لا يشاؤن شيئا الا وهو كائن لانهم لا يشاؤن الا ما شاء الله
وما شاء الله كان ولا يهابون احدا من الخلق ويهابهم كل الخلق ولا يخدمون احدا الا الله ويخدمهم
كل من دون الله تعالى واين لملوك الدنيا بعشر معشار هذه الرتبة بل هم اقل واذل
واما ملك الاخرة فيقول الله تعالى واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا واعظم بما يقول رب
العزة انه ملك كبير وانت تعلم ان الدنيا باسرها قليلة وان بقائها من اولها الى اخرها
قليل وان نصيب احد منا من هذا القليل قليل ثم الواحد منا قد يبذل روحه وماله حتى ربما يظفر
بقدر قليل من هذا القليل في بقاء قليل وان حصل له ذلك فيعده بل يغبط ولا يستكثر ما بذل
فيه من المال والنفس نحو ما ذكر عن امرء القيس حيث يقول بكى صاحبي لما راى الدرب دونه
وايقن انا لاحقان بقيصرا فقلت له لا تبك عيناك انما نحاول ملكا او نموت فنعذرا
وكيف حال من يطلب الملك الكبير في دار النعيم الخالد المقيم ايستكثر مع ذلك ان يصلي ركعتين
لله تعالى او ينفق درهمين او يسهر ليلتين كلا بل كان طلب لو كان له الف الف نفس والف الف روح والف الف
عمر كل عمر مثل عمر الدنيا واكثر فيبذل ذلك كله في هذا المطلوب العزيز لكان ذلك قليلا ولئن

والثناء الحسن في الدنيا كما روي انه اما السلامة

ظفر بعده بما طلب كان ذلك غنما عظيما وفضلا من الذى اعطاه كثيرا فتنبه ايها المسكين من رقدة الغافلين
ثم انى تاملت ما يعطيه الله سبحانه العبد اذا اطاعه ولزم خدمته وسلك هذه الطريق عمره فوجدته
على الجملة اربعين كرامة وخلعة عشرون منها فى الدنيا وعشرون منها فى العقبى اما التى فى الدنيا
فالاولى ان يذكره الله تعالى ويثنى عليه واكرم بعبد ان يكون رب العزة فى ذكره وثنائه ٧
والثانية ان يشكره جل جلاله ويعظمه ولو شكرك مخلوق مثلك وعظمك لشرفت به كيف
باله الاولين والاخرين والثالثة ان يحبه ولو احبك رئيس محلة او امير بلدة لافتخرت
بذلك وانتفعت به فى مواطن عزيزة فكيف بمحبة رب العالمين والرابعة ان يكون له
وكيلا يدبر اموره والخامسة ان يكون لرزقه كفيلا يوجه اليه من حال الى حال من غير نصب
او وبال والسادسة ان يكون له نصيرا تكفيه كل عدو ويدفع عنه كل قاصد بسوء والسابعة
ان يكون له انيسا لا يستوحش بحال ولا يخاف التغير والاستبدال والثامنة عز النفس
فلا يلحقه ذل لعزته الدنيا واهلها بل لا يرضى ان يخدمه ملوك الدنيا وجبابرتها والتاسعة
رفع الهمة فيرتفع عن التلطخ بقاذر الدنيا واهلها ولا يلتفت الى زخارفها وملاهيها برفع
الرجال الالبا عن ملاعب الصبيان والنسوان والعاشرة غنى القلب فيكون اغنى من
كل غنى فى الدنيا لا يزال طيب النفس فسيح الصدر لا يفزعه جدب ولا يهمه عدم والحادية
عشر نور القلب فيهتدى بنوره قلبه الى العلوم واسرار وحكم لا يهتدى الى بعضها غيره الا
بجهد جهيد وعمر مديد والثانية عشر شرح الصدر فلا يضيق ذرعا بشئ من محن الدنيا
ومصايبها ومؤذي الناس ومكايدهم والثالثة عشر المهابة والموقع فى النفوس يحتشم
منه الاخيار والاشرار ويهابه كل فرعون وجبار والرابعة عشر المحبة فى القلوب يجعل له
الرحمن ودا فترى القلوب كلها مجبولة على حبه والنفوس كلها مطبوعة على تعظيمه
واكرامه والخامسة عشر البركة العامة فى كل شئ من كلام او نفس او فعل او ثواب او
مكان حتى يتبرك بتراب وطئه ومكان جلس فيه يوما وبانسان صحبه وراه حينا و
والسادسة عشر تسخير له الارض من البر والبحر حتى ان شاء سار فى الهوى او مشى
على الماء او قطع وجه الارض فى اقل من ساعة والسابعة عشر تسخير الحيوان من الوحوش
والسباع والهوام وغيره فتحبه الوحوش وتبصبص له الاسود والثامنة عشر ملك
مفاتيح الارض فحيث يضرب يده فله كنز ان اراد وحيثما يضرب رجله فله عين ان احتاج

وابن ماتول فلا مائدة تحضران قصد والتاسعة عشر القيادة والوجاهة على باب رب العزة
فيبتغي الخلق الوسيلة الى الله تعالى بخدمته ويستنجح الحاجات من الله تعالى بوجاهته وبركته
والعشرون اجابة الدعوة من الله تعالى فلا يسأل الله شيئا الا اعطاه اياه ولا يشفع لا
حد الا شفع فيه ولو اقسم على الله لابره بما شاء حتى ان منهم من لو اشار الى جبل لزال فلا يحتاج
الى الاشارة باليد فهذه الكرامات في الدنيا واما التي في العقبى فالاحدى والعشرون
ان يهون الله عليه اولا سكرات الموت وهي التي وجلت منها قلوب الانبياء صلوات الله
عليهم وسلامه حتى سألوا الله تعالى ان يهونها عليهم حتى ان منهم من يكون الموت
عنده مثل شربة الماء الزلال للظمآن قال الله تعالى الذين تتوفاهم الملائكة طيبين
والثانية والعشرون التثبت على المعرفة والايمان وهو الذي منه كل الخوف والفزع
وعليه كل البكاء والجزع قال الله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة
الدنيا وفي الآخرة والثالثة والعشرون ارسال الروح والريحان بالبشرى والامان قال
تعالى لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون فلا يخاف مما يقدم عليه في
العقبى ولا يحزن على ما خلفه في الدنيا والرابعة والعشرون الخلود في الجنان ومجاورة الرحمن
والخامسة والعشرون الخلوق في السر لروحه على ملائكة السموات بالاكرام والالطاف والانعام
ولبدنه في العلانية بتعظيم جنازته والمزاحمة على الصلوة عليه والمبادرة الى تجهيزه يرجون بذلك
اكثر الثواب ويعدونه اعظم غنم والسادسة والعشرون الامان من فتنة السؤال
القبر وتلقين الصواب فيامن ذلك الهول والسابعة والعشرون توسيع القبر و
تنويره فيكون في روضة من رياض الجنة الى يوم القيامة والثامنة والعشرون
ايناس روحه ونسمته واكرامها فيجعل في اجواف طيور خضر مع الاخوان الصالحين فر
حين مستبشرين بما اتاهم الله من فضله والتاسعة والعشرون الحشر في العز والكرامة
من حلل وتاج وبراق والثلاثون بياض الوجه ونوره قال تعالى وجوه يومئذ ناضرة
الى ربها ناظرة وقال تعالى وجوه يومئذ ضاحكة مستبشرة والحادية
والثلاثون الامن من اهوال يوم القيامة قال تعالى امن يأتي امنا يوم القيامة
والثانية والثلاثون الكتاب باليمين ومنهم من كفي الكتاب رأسا والثالثة والثلاثون
تيسير الحساب ومنهم من لا يحاسب اصلا والرابعة والثلاثون ثقل الميزان ومنهم لا يوقف

للوزن اصلا والخامسة والثلاثون ورود الحوض على النبي صلى الله عليه وسلم فيشرب منه شربة لا يظما بعدها
ابدا والسادسة والثلاثون جواز الصراط والنجاة من النار حتى ان منهم من لا يسمع حسيسها
وتخمد له النار والسابعة والثلاثون الشفاعة في عرصة القيامة نحوا من شفاعة الانبياء
والرسل عليهم السلام والثامنة والثلاثون ملك الابد في الجنة والتاسعة والثلاثون
الرضوان الاكبر والاربعون لقاء رب العالمين اله الاولين والاخرين والنظر اليه
بلا كيف جل جلاله ثم اقول وانما عددت ذلك على حسب فهمي ومبلغ علمي وقصوره و
نقصه ومع ذلك فقد جمعت واوجزت واجملت وذكرت الاصول والجمل ولو فصلت
بعض ذلك لما احتمله الكتاب الا ترى اني كيف جعلت ملك الابد خلعة واحدة ولو فصلتها
لارتفعت عن اربعين خلعة من نوع الحور والقصور واللباس وغير ذلك ثم كل جنس
نوع يشتمل على تفاصيل لا يحيط بها الا عالم الغيب والشهادة الذي هو خالقها
ومالكها واي مطمع لنا في معرفة ذلك وربنا سبحانه وتعالى يقول فلا تعلم نفس
ما اخفي لهم من قرة اعين ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خلق فيها ما لا عين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وان المفسرين يقولون في قوله
تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ان هذه هي الكلمات التي يقول الله تعالى
لاهل الجنة في الجنة باللطف والاكرام ومن يكن حاله هذا فانى يبلغ جزءا من الف
جزء منه وهم بشر ويحيط به علم مخلوق كلا بل تقاعدت الهمم وتقاصرت دونه العقول
وحق ان يكون ذلك كذلك كذلك وهو عطاء العزيز العليم على مقتضى الفضل العظيم
وحسب الجود القديم الا لمثل هذا فليعمل العاملون وليبذل المجتهدون جهدهم لهذا
المطلوب العظيم وليعلموا ان ذلك كله قليل في جنب ما هم اليه محتاجون واياه يطلبون
وله يتعرضون وليعلموا ان العبد لا بد له في الجملة من اربعة العلم والعمل والاخلاص
والخوف فيعلم اولا الطريق والا فهو اعمى ثم يعمل بالعلم والا فهو محجوب ثم يخلص
العمل والا فهو مغبون ثم لا يزال يخاف ويحذر من الافات الى ان يجد الامان والا
فهو مغرور ولقد صدق ذو النون المصري رحمة الله حيث قال الخلق كلهم موتى الا
العلماء والعلماء كلهم نيام الا العاملون والعاملون كلهم مغترون الا المخلصون والمخلصون
كلهم على خطر عظيم قلت انا والعجب كل العجب من اربعة احدها من عاقل غير عالم اما بهم

لمعرفة

لمعرفة مابين يديه اما ينوف ماهو مطلع بعد الموت عليه بالنظر في هذه الدلايل والعبر
والاستماع لهذه الايات والنذر والانزعاج لهذه الخواطر والهواجس في النفس قال الله
تعالى اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وماخلق الله من شيء وقال تعالى الا
يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم والثاني من عالم غير عامل اما يتذكر ما يعلم
يقينا مابين يديه من الاهوال العظام والعقبات الصعاب وهذا هو النباء العظيم
الذي انتم عنه معرضون والثالث من عامل غير مخلص الدينا تامل قوله تعالى فمن
فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا والرابع من
مخلص غير خايف اما ينظر الى معاملاته جل جلاله مع اصفيائه واوليائه وخدمه
الدالة بينه وبين خلقه حتى يقول لاكرم الخلق ولقد اوحي اليك والى الذين من
قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك الايات ونحوها حتى كان عليه السلام يقول شيبتني سورة هود
واخواتها ثم جملة الامر وتفصيله ماقاله رب العالمين في اربع ايات من الكتاب العزيز
اولها قوله عز وجل افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون ثم قال عز وجل و
لتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ثم قال عز وجل والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ثم اجمل الكل فقال وهو اصدق القائلين ومن جاهد
فانما يجاهد لنفسه ان الله لغني عن العالمين ونحن نستغفر الله رب العالمين من كل ما زل به القدم او تقابه القلم
لا توافق اعمالنا ونستغفره مما ادعيناه واظهرناه من العلم بدين الله تعالى مع التقصير
فيه ونستغفره من كل خطرة دعتنا الى تصنع وتزين في كتاب سطرناه وكلام نظمناه او
علم افدناه ونساله ان يجعلنا واياكم معشر الاخوان بما علمناه عاملين ولوجهه به
مريدين ولا يجعله وبالا علينا وان يضعه في ميزان الصالحات اذا اردت اعمالنا الينا
انه جواد كريم فهذا ما اردنا ذكره في شرح كيفية سلوك الاخرة وقد وفينا بالمقصود
وصلى الله على خير مولود ودعاء الى افضل مبعوث محمد النبي وعلى اله واصحابه وسلم تسليما
كثيرا الى يوم الدين فبين الرسالة واوضح الدلالة وعبد ربه حتى اتاه اليقين وهو حسبنا
ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم تم هذا الكتاب بحمد الله وعونه وحسن
توفيقه في يوم الجمعة المباركة في غرة جماذى الاولى من الشهور سنة ثلثين مائة والف من هجرة
النبوية غفر الله ذنوبي بحرمة الانبياء والاولياء والشهداء وعبادي الصالحين تمت بعون الله

ونستغفره من اقوالنا انه

وقف تكيه مركز افندى

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين هذا ايها الولد

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلوة على نبيه محمد وآله اجمعين اعلم ان واحدا من الطلبة المتقدمين لازم خدمة الشيخ الامام زين الدين حجة الاسلام ابي حامد محمد بن محمد الغزالي رحمه الله واشتغل بالتحصيل وقراءة العلم حتى جمع من دقايق العلوم واستكمل فضائل النفس ثم انه تفكر يوما في حال نفسه وخطر على باله وقال اني قرأت انواعا من العلوم وصرفت ريعان عمري على تعلمها وجمعها والآن ينبغي ان اعلم اي نوعها ينفعني غدا في الاخرة ويونسني في قبري وايها لا ينفعني حتى اتركها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع ودعاء لا يسمع وقلب لا يخشع فاستمرت له هذه الفكرة حتى كتب الى حضرت الشيخ حجة الاسلام محمد بن محمد الغزالي رحمه الله استفتاء وسئل عنه مسايل عنه والتمس منه نصيحة ودعاء وقال وان كان مصنفات الشيخ كالاحياء وغيره يشتمل على جواب مسائلي لكن مقصودي ان يكتب الشيخ حاجتي في ورقات حتى تكون معي مدة حياتي واعمل بما فيها مدة عمري ان شاء الله تعالى فكتب الشيخ هذه الرسالة في جوابه بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم ايها الولد والمحب العزيز اطال الله بقائك بطاعته وارشادك سلك بك سبيل احبائه ان منشور النصيحة يكتب من معدن الرسالة عليه السلام ان كان قد بلغك منه نصيحة فاي حاجة لك في نصيحتي وان لم تبلغك فقل لي ماذا حصلت في هذه السنين الماضية

ايها الولد من جملة ما نصح به رسول الله صلى الله عليه وسلم على امته قوله عليه السلام علامة اعراض الله تعالى عن العبد اشتغاله بما لا يعنيه وان امرأ ذهبت ساعة من عمره في غير ما خلق له لجدير ان يطول عليه حسرته ومن جاوز عمره الاربعين سنة ولم يغلب خيره على شره فليتجهز مقعده الى النار وفي هذه النصيحة كفاية لاهل العلم ايها الولد النصيحة سهل وقبولها مشكل لانها في مذاق متبع الهوى مر اذ المناهي محبوبة في قلوبهم على الخصوص لمن كان طالب العلم الرسمي مشتغلا فضل النفس ومناقب الدنيا فانه يحسب ان العلم المجرد له وسيلة سيكون نجاته وخلاصه فيه وانه مستغن عن العمل وهذا اعتقاد الفلاسفة سبحان الله العظيم لا يعلم هذا القدر انه حين حصل العلم اذا لم يعمل به يكون الحجة عليه آكد كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه وروى ان جنيدا قدس الله روحه العزيز رؤي في المنام بعد موته فقيل له ما الخبر يا ابا القاسم قال طاحت العبارات وفنيت الاشارات ما نفعنا الا ركعات التي ركعناها في جوف الليل

ايها الولد لا تكن من الاعمال مفلسا ولا من الاحوال خاليا وتيقن ان العلم المجرد لا

اى حاصل

حتى افعله

تأمل

يأخذ

ياخذ الولد مثاله لو كان على رجل في برية عشرة اسياف هندية مع اسلحة اخرى وكان الرجل شجاعا
واهل حرب فحمل عليه اسد مهيب فما ظنك هل تدفع الاسلحة شر الاسد منه بلا استعمالها
وضربها ومن المعلوم انها لا تدفع الا بالتحريك والضرب فكذا لو قرا رجل مائة الف مسئلة
علمية وعلمها وتعلمها ولم يعمل بها لا يفيده الا بالعمل ومثاله لو كان لرجل حرارة ومرض
صفراوي يكون علاجه بالسكنجبين والكشكاب فلا يحصل البرء الا باستعمالها شعر اباشد خملى
~~كرحي ... ...~~ ولو قرات العلم مائة سنة وجمعت الف كتاب لا تكون
مستعدا لرحمة الله تعالى الا بالعمل قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى وقوله ومن
كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا جزاء بما كانوا يعملون جزاء بما كانوا يكسبون وقوله ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا وقوله ومن يفعل ذلك يلق اثاما
يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيه مهانا وقوله الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا
وما تقول في هذا الحديث بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلوة
وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلا والايمان قول باللسان
وتصديق بالجنان وعمل بالاركان ودليل الاعمال اكثر من ان يحصى وان كان العبد يبلغ الجنة
بفضل الله تعالى وكرمه ولكن بعد ان يستعد بطاعته وعبادته لان رحمة الله قريب من المحسنين
ولو قيل يبلغ ايضا بمجرد الايمان قلنا نعم لكن متى يبلغ كم من عقبة كؤد تستقبله الى ان يصل واول
تلك العقبات الايمان انه هل يسلم من السلب ام لا واذا وصل يكون جنيا مفلسا قال حسن
رضي الله عنه يقول الله تعالى يوم القيمة ادخلوا يا عبادي الجنة برحمتي واقتسموها باعمالكم ايها الولد ما لم تعمل
لم تجد الاجر حكاية ان رجلا من بني اسرائيل عبد الله تعالى سبعين سنة فاراد الله تعالى ان يجلوه
على الملائكة فارسل الله تعالى اليه ملكا يخبره انه مع تلك العبادات لا يليق به الجنة فلما بلغه قال
العابد نحن خلقنا للعبادة فينبغي لنا ان نعبده فلما رجع الملك قال الهي انت تعلم بما قال العابد فقال
الله تعالى اذ هو لم يعرض عن عبادتنا فنحن مع الكرم لا نعرض عنه اشهدوا يا ملائكتي
اني قد غفرت له وقال صلى الله عليه وسلم حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوا اعمالكم قبل ان توزنوا
وقال علي رضي الله عنه من ظن انه بدون الجهد يصل فهو متمن ومن ظن انه يبذل الجهد يصل
فهو متعنى متغن وقال الحسن رحمه الله طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وقال عالم الحقيقة
ترك ملاحظة العمل لا ترك العمل وقال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد

فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا

الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله المغفرة ايها الولد كم من ليال احييتها بتكرار العلم و
مطالعة الكتب وحرمت على نفسك النوم لا اعلم ما كان الباعث فيه ان نيتك عرض الدنيا وجذب
حطامها وتحصيل مناصبها والمباهات على الاقران والامثال فويل لك ثم ويل لك وان كان قصدك
فيه احياء شريعة النبي عليه السلام وتهذيب ذميمة اخلاقك وتذكية النفس الامارة السوء
فطوبى لك ثم طوبى لك ولقد صدق من قال شعر سهر العيون لغير وجهك ضايع وبكاؤهن
لغير فقدك باطل ايها الولد عش ما شئت فانك ميت واحبب من شئت فانك مفارق
واعمل ما شئت فانك مجزى به ايها الولد اي شيء حاصل لك من تحصيل علم الكلام والخلاف والطب
والدواوين والاشعار والنجوم والعروض والنحو والصرف غير تضيع العمر بخلاف ذي الجلال
انى رايت في الانجيل ان عيسى عليه السلام قال من ساعة ان يوضع الميت على الجنازة الى ان يوضع
على شفير القبر يسئل الله تعالى بعظمته منه اربعين سؤالا اوله يقول عبدي طهرت منظر الخلق
سنين وما طهرت منظري ساعة وكل يوم ينظر في قلبك ويقول الله تعالى يا عبدي ما تصنع
بغيري وانت محفوف بخيري اما انت اصم لا تسمع ايها الولد العلم بلا عمل جنون والعمل بغير
علم لا يكون واعلم ان علما مجردا بلا عمل لا يبعدك اي لا يكفيك اليوم عن المعاصي ولا يحملك
على الطاعة لكن لن يبعدك غدا عن نار جهنم واذا لم تعمل اليوم ولم تدارك الايام الماضية
تقول غدا يوم القيامة فارجعنا نعمل صالحا فيقال لك يا احمق انت من هناك تجي ايها الولد
اجعل الهمة في الروح والهزيمة في النفس والموت في البدن لان منزلك القبر واهل المقابر
ينتظرونك في كل لحظة متى تصل اليهم اياك ثم اياك ان تصل اليهم بلا زاد قال ابو بكر الصديق
رضي الله عنه هذه الاجساد قفص الطيور او اصطبل الدواب فتفكر في نفسك من ايهما
انت ان كنت من الطير العلوي فحين تسمع طنين طبل ارجعي الى ربك راضية مرضية تطير
صاعدا الى ان تقعد في اعالي بروج الجنان كما قال صلى الله عليه وسلم اهتز عرش الرحمن من
موت سعد بن معاذ رضي الله عنه والعياذ بالله ان كنت من الدواب السفلى كما قال الله تعالى اولئك
كالانعام بل هم اضل فلا تأمن من انتقالك من زاوية الدار الى هاوية النار وروي ان الحسن البصري
رحمه الله عليه اعطي شربة قدح من ماء بارد فاخذ القدح ثم غشي عليه وسقط من يده فلما
افاق قيل له ما لك يا ابا سعيد قال ذكرت امنية اهل النار حين يقولون لاهل الجنة
ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله ايها الولد ان كان ~~اجر لو تعفو~~ كافيا لك

ولا تخفاه

[illegible]

ولا تحتاج الى عمل سواه لكان نداء هل من سائل هل من مستغفر الله تعالى هل من تائب ضايعًا فلا فائدة
وروي ان جماعة من الصحابة رضي الله عنه ذكروا عبد الله بن عمر رضي الله عنه عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال عليه السلام نعم الرجل هو لو كان يصلي بالليل وقال عليه السلام لرجل من اصحابه يا فلان
لا تكثر النوم بالليل فان كثرة النوم بالليل تدع صاحبه فقيرًا يوم القيمة ايها الولد ومن
الليل فتهجد به امر وبالاسحار هم يستغفرون شكر والمستغفرين بالاسحار ذكر قال
عليه السلام ثلثة اصوات يحبها الله تعالى صوت الديك وصوت الذي يقراء القران وصوت
المستغفرين بالاسحار قال سفيان الثوري رحمه الله ان الله تعالى خلق ريحًا تهب وقت الاسحار
تحمل الاذكار والاستغفار الى الملك الجبار وقال ايضا اذا كان اول الليل ينادي منادٍ
من تحت العرش الا ليقم العابدون فيقومون ويصلون ما شاء الله ثم ينادي منادٍ في شطر
الليل الا ليقم القانتون فيقومون ويصلون الى السحر فاذا كان السحر ينادي منادٍ الا
ليقم المستغفرون فيقومون ويستغفرون فاذا طلع الفجر ينادي منادٍ الا ليقم الغافلون
فيقومون من فروشهم كالموتى نشروا من قبورهم ايها الولد روي في وصايا لقمان الحكيم
لابنه انه قال يا بني لا يكونن الديك اكيس منك فانه ينادي بالاسحار وانت نائم لقد
احسن من قال شعر لقد هتفت في جنح ليل حمامة على فنن وهنا واني لنائم كذبت وبيت الله
لو كنت عاشقا لما سبقتني بالبكاء حمائم وازعم اني هائم ذو صبابة لربي ولا ابكي وتبكي بهائم
ايها الولد خلاصة العلم ان تعلم الطاعة والعبادة ما هي اعلم ان الطاعة والعبادة متابعة
الشرع في الاوامر والنواهي بالقول والفعل يعني كلما تقول وتفعل وتترك قوله وفعله
يكون باقتداء الشرع كما لو صمت يوم العيد وايام التشريق تكون عاصيًا او صليت في ثوب
مغصوب او في ثوب لبسه حرام كالحرير في الرجال وان كانت صورة عبادة تاثم ايها الولد
ينبغي لك ان يكون قولك وفعلك موافقًا للشرع اذ العلم والعمل بلا اقتداء الشرع ضلالة و
ينبغي لك ان لا تغتر بشطح وطامات الصوفية لان سلوك هذه الطريقة يكون بالمجاهدة
وقطع شهوة النفس وقتل هواها بسيف الرياضة لا بالطامات والترهات واعلم ان
اللسان المطلق والقلب المطبق المملوء بالغفلة والشهوة علامة الشقاوة حتى لا تقتل
النفس بصدق المجاهدة لن تحيي قلبك بانوار المعرفة واعلم بان بعض مسائلك التي سئلتني
عنها لا يستقيم جوابه بالكتابة والقول الان تبلغ تلك الحالة تعرف ما هي والا فعلمها

من المستحيلات لانها ذوقية وكل ما يكون ذوقيا لا يستقيم بالقول وصفه بالقول كحلاوة الحلو ومرارة المر
لا يعرف الا بالذوق كما حكي ان عنينا كتب الى صاحب له عرفني لذة المجامعة كيف يكون فكتب في جوابه يا
فلان اني كنت حسبتك عنينا فقط الان عرفت انك عنين واحمق واعلم ان هذه اللذة ذوقية ان تصل
اليها تعرف والا لا يستقيم وصفها بالقول والكتابة ايها الولد بعض مسائلك ~~التي سألتني~~ مسائل
التي سألتني عنه من هذا القبيل واما بعض مسائلك التي سألتني عنه يستقيم له الجواب فقد ذكرنا
في احياء العلوم وغيره ونذكر ههنا نبذة منه ونشير اليه فقد وجب على السالك اربعة امور فنقول
اول الامر اعتقاد صحيح لا يكون فيه بدعة الثاني توبة نصوح لا ترجع بعدها الى الذلة الثالث
استرضاء الخصوم حتى لا يبقى لاحد عليك حق الرابع تحصيل علم الشريعة قدر ما تؤدي
به اوامر الله تعالى فالزيادة على هذا القدر ليس بواجب ثم ان تحصل من العلوم الاخرة ما يكون
منه النجاة ~~وهذا الكلام يكون لك مفهوما مع حكاية~~ حكي ان الشيخ الشبلي رحمة الله عليه خدم
اربع مئات استاذ وقال قرأت منهم اربعة الاف حديث ثم اخترت منه حديثا واحدا عملت
به وخليت ما سواه لاني تاملته فوجدت خلاصي ونجاتي فيه وكان علم الاولين والاخرين
كله مندرجا فيه فاكتفيت به وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبعض اصحابه اعمل لدنياك
بقدر مقامك فيها واعمل لاخرتك بقدر بقائك فيها واعمل لله تعالى بقدر حاجتك اليه واعمل
للنار بقدر صبرك عليها ايها الولد اذا علمت هذا الحديث لا حاجة لك الى العلم الكثير وتامل
في حكاية اخرى وهي ان حاتم الاصم كان من اصحاب شقيق البلخي رحمة الله عليه فسأله يوما
فقال صاحبتني منذ ثلث وثلثين سنة ما حاصلك فيها قال حصلت ثماني فوائد من العلم
وهي تكفيني منه لاني ارجو خلاصي ونجاتي فيها فقال شقيق ما هي قال حاتم الاصم الفائدة الاولى
اني نظرت الى الخلق فرايت لكل واحد منهم محبوبا ومعشوقا يحبه ويعشقه وبعض
ذلك المحبوب يصاحبه الى مرض الموت وبعضه يصاحبه الى شفير القبر ثم يرجع كله ويتركه فريدا
وحيدا ولا يدخل معه في قبره منهم احد فتفكرت وقلت افضل محبوب المرء ما يدخل معه في
قبره ويؤنس فيه فما وجدته الا الاعمال الصالحة فاخذتها محبوبا لي لتكون سراجا في قبري
ويؤنسني فيه ولا تتركني فريدا واحدا والثانية اني رايت الخلق يقتدون اهواءهم ويبا
درون الى مرادات انفسهم فتاملت في قوله تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس
عن الهوى فان الجنة هي الماوى وتيقنت ان القران حق صادق فبادرت الى خلاف نفسي

وتشمرت

وتشمرت لمجاهدتها وما اتبعها بهواها حتى ارتاضت لطاعة الله تعالى وانقادت الفائدة الثالثة
انى رايت الخلق يسعى في جمع حطام الدنيا ثم يمسكه قابضا يده فتاملت في قوله تعالى ما
عندكم ينفد وما عند الله باق فبذلت محصولي من الدنيا لوجه الله تعالى ففرقته بين المساكين
ليكون ذخرا لي عند الله تعالى والفائدة الرابعة انى رايت بعض الخلق يظن ان شرفه وعزه في كثرة
الاموال وكثرة الاولاد فافتخروا الاقوام والعشاير فاغتروا بهم وزعم اخرون انه في ثروة
وحسب بعضهم العز والشرف في غصب اموال الناس وظلمهم وسفك دمائهم واعتقدت
طائفة انه في اتلاف المال واسرافه وتبذيره فتاملت في قوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقيكم
فاخترت التقوى واعتقدت ان القران حق صادق وظنهم وحسبانهم كلها باطل وزائل والفائدة
الخامسة انى رايت الناس يذم بعضهم بعضا ويغتاب فوجدت اصل ذلك من الحسد في المال (بعضهم بعضا ه)
والجاه والعلم فتاملت في قوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا فعلمت
ان القسمة كانت من الله تعالى في الازل فما حسدت احدا ورضيت بقسمة الله تعالى والفا
ئدة السادسة انى رايت الناس يعادى بعضهم بعضا لسبب وغرض فتاملت في قوله تعالى
ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فعلمت انه لا يجوز عداوة احد غير الشيطان والفائدة
السابعة انى رايت كل احد يسعى بجد ويجتهد مبالغة لطلب القوة والمعاش بحيث يقع به
في شبهة وحرام ويذل نفسه وينقص قدره فتاملت في قوله تعالى وما من دابة في الارض
الا على الله رزقها فعلمت ان رزقي على الله تعالى وقد ضمنه فاشتغلت بعبادته وقطعت
طمعي عن سواه والفائدة الثامنة انى رايت كل احد معتمد الى شيء مخلوق بعضهم الى الدينار
والدراهم وبعضهم الى الملك وبعضهم الى الحرفة والصناعة وبعضهم الى مخلوق مثله فتاملت
في قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وتوكلت على الله وهو حسبي ونعم الوكيل
فقال شقيق يا حاتم الاصم وفقك الله تعالى انى قد نظرت التورية والزبور والانجيل
والفرقان فوجدت في الكتب الاربعة تدور على هذه الفائدة الثمانية فمن عمل بها كان
عاملا بهذه الكتب الاربعة ايها الولد قد علمت من هاتين الحكايتين انك لا تحتاج
الى تكثير العلم والان ابين لك ما يجب على سالك سبيل الحق واعلم انه ينبغي للسالك
شيخ مرشد مربي ليخرج الاخلاق السوء منه بتربيته ويجعل مكانها خلقا حسنا
ومعنى التربية يشبه فعل الفلاح الذي يقلع الشوك ويخرج النباتات الاجنبية

من بين

من بين الزرع ليحسن نباته ويكمل ريعه ولابد للسالك من شيخ يربيه ويرشده الى
سبيل الله تعالى وشرط الشيخ الذى يصلح ان يكون نايبا للرسول صلى الله عليه وسلم وان يكون
عالما لان كل عالم لا يصلح له وانى ابين لك بعض علامة على سبيل الاجمال حتى لا يدعى كل احد
انه مرشد فنقول من يعرض عن حب الدنيا وحب الجاه وكان قد تابع لشيخ بصير
يتسلسل متابعته الى سيد المرسلين وكان محسنا رياضة لنفسه من قلة الاكل والقول
والنوم وكثرة الصلوة والصوم والصدقة وكان بمتابعة الشيخ البصير فى طبيعة
جاعل محاسن الاخلاق له سيرة كالصبر والشكر والتوكل واليقين [illegible]
والقناعة والسخاوة والحلم والتواضع وطمانية النفس والعلم والصدق والوفاء
والوقار والسكون والتأنى وامثالها فهو اذا نور من انوار النبى عم يصلح للاقتداء به
لكن وجود مثله نادر اعز من الكبريت الاحمر ومن ساعدته السعادة فوجد شيخا كما ذكرنا
صفته وقبل الشيخ فينبغى ان يحترمه ظاهرا وباطنا اما احترام الظاهر ان لا يجادل له ولا
يشتغل بالاحتجاج معه فى كل مسئلة وان علم خطاؤه ولا يلقى بين يديه سجادته الا وقت
اداء الصلوة فاذا فرغ يرفعها ولا يكثر نوافل الصلوة بحضرته ويعمل ما يامره الشيخ
من العمل بقدر وسعه وطاقته واما احترام الباطن فهو ان كل ما يسمع ويقبل منه فى الظاهر
لا ينكره فى الباطن لا فعلا ولا قولا لئلا يلتبس بالنفاق وان لم يستطع يترك صحبته
الى ان يوافق باطنه ظاهره ويحترز عن مجالسة صاحب السوء ليقصر ولاية الشياطين
الجن والانس من صحن قلبه فيصفى عن لوث الشيطنة وعلى كل حال يختار الفقر ثم اعلم على الغنا
ان التصوف له خصلتان الاستقامة والسكون من الخلق فمن استقام فاحسن خلقه
بالناس وعاملهم بالحلم فهو صوفى والاستقامة ان يفدى حظ نفسه لنفسه
وحسن الخلق بالناس ان لا تحمل الناس على مراد نفسك بل تحمل نفسك على مرادهم
مالم يخالفوا الشرع ثم انك سئلتنى عن العبودية وهى ثلثة احدها محافظة امر الشرع
وثانيها الرضاء بالقضاء والقدر وقسمة الله تعالى وثالثها ترك رضاء نفسك
فى طلب رضاء الله تعالى وسئلتنى من التوكل وهو ان تستحكم اعتقادك بالله تعالى عالم
فى ما وعد يعنى تعتقد ان ما قدر لك سيصل اليك لا محالة وان اجتهد من فى العالم على صرفه
عنك ومالم يكتب لك لن يصل اليه وان ساعدك جميع العالم وسئلتنى عن الاخلاص

هو ان يكون اعمالك كلها لله تعالى ولا يرتاح قلبك بمحامد الناس ولا يبالي بمذامهم واعلم
ان الرياء يتولد من تعظيم الخلق وعلاجه ان تراهم مسخرين تحت القدرة الله تعالى وتحسبهم كا
لجمادات في عدم القدرة على ايصال الراحة والمشقة لتخلص عن مراياتهم ومتى تحسبهم ذوي
قدرة وارادة لن يبعد عنك الرياء ايها الولد الباقي من مسائلك بعضها مسطور في مصنفاتي
فاطلبه ثمة وكتابة بعضها حرام وكن اعمل انت بما تعلم لينكشف لك ما لم تعلم ايها الولد بعد
اليوم لا تسألني ما اشكل عليك الا بلسان الجنان قوله تعالى ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم
لكان خيرا لهم واقبل نصيحة الخضر عليه السلام لموسى عليه السلام فلا تسألني عن شيء حتى احدث
لك منه ذكرا ولا تستعجل حتى تبلغ اوانه يكشف لك والاية سأريكم آياتي فلا تستعجلون
فلا تسأل قبل الوقت وتيقن انك لا تصل الا بالسير لقوله تعالى اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كا،
ايها الولد بالله ان تسر ترى العجائب في كل منزل وابذل روحك فان رأس هذا الامر بذل
الروح كما قال ذو النون المصري لاحد من تلاميذه ان قدرت على بذل الروح فتعال والا فلا
تشتغل بترهات الصوفية ايها الولد اني انصحك بثمانية اشياء اقبلها مني لئلا
يكون علمك خصما عليك يوم القيامة تعمل منها اربعة وتدع منها اربعة اما اللواتي تدع
احدها ان لا تناظر احدا في مسئلة ما استطعت لان فيها آفة كثيرة واثمها من نفعها
اكبر اذ هي منبع كل خلق ذميم كالرياء والحسد والكبر والحقد والعداوة والمباهاة
وغيرها نعم لو وقع مسئلة بينك وبين شخص او قوم وكان ارادتك فيها ان تظهر الحق
ولا تضيع فحينئذ جاز البحث لكن لتلك الارادة علامتان احديهما ان لا تفرق بين ان
ينكشف الحق على لسانك او على لسان غيرك وثانيهما ان يكون البحث في الخلاء
احب اليك من ان يكون في الملاء واسمع اني اذكر لك هنا فائدة اعلم ان السؤال
عن المشكلات كعرض مرض القلب الى الطبيب والجواب له يسعى لاصلاح مرضه
واعلم ان الجاهلين المرضى قلوبهم والعلماء هم الاطباء والعالم الناقص لا يحسن
المعالجة والعالم الكامل لا يعالج كل مريض بل يعالج من يرجو فيه قبول المعالجة
والصلاح واذا كانت العلة مزمنة او عقيما لا يقبل العلاج فحذاقة الطبيب فيه
ان يقول هذا لا يقبل العلاج فلا تشتغل بمداواته لان فيه تضييع العمر ثم اعلم
ان مرض الجهل على اربعة انواع احدها يقبل العلاج والباقي لا يقبل العلاج

اما الذى لا يقبل احدها من كان له سؤال البر واعتراضه من حسده وبغضه فكلما تجيبه
باحسن الجواب وافصح واوضح لا يزيد له ذلك الا بغضا وحسدا فالطريق ان لا
تشتغل بجوابه سر كل العداوة قد ترجى ازالتها الا عداوة من عاداك عن حسده
فينبغى ان تعرض عنه وتترك مع مرضه كما قال الله تعالى فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم
يرد الا الحيوة الدنيا والحسود بكل ما يقول ويفعل يوقد النار فى زرع عمله قال
عليه السلام الحسد ياكل الحسنات كما ياكل النار الحطب والثانى ان يكون علته من
الحماقة وهو ايضا لا يقبل العلاج كما قال عيسى عليه السلام انى ما عجزت عن احياء الموتى
وقد عجزت عن معالجة الاحمق وذلك رجل يشتغل بطلب العلم زمانا قليلا ويتعلم
شيئا من العلوم العقلى والشرعى فيسئال ويعترض من حماقته على العالم الكبير المضى
عمره فى العلوم العقلى والشرعى وهذا الاحمق لا يعلم ان ما اشكل عليه هو ايضا مشكل
للعالم الكبير فاذا لم يتفكر هذا القدر يكون سؤاله من الحماقة فينبغى ان لا يشتغل بجوابه
والثالث ان يكون مسترشدا وكلما لا يفهم من كلام الاكابر يحمل على قصور فهمه
وكان سؤاله للاستفادة لكن يكون بليدا لا يدرك الحقايق فلا ينبغى الاشتغال
بجوابه ايضا كما قال النبى عليه السلام نحن معاشر الانبياء امرنا ان نكلم الناس
على قدر عقولهم واما المرض الذى يقبل العلاج فهو ان يكون مسترشدا عاقلا
فهما لا يكون مغلوب الحسد والغضب وحب الشهوات والجاه والمال ويكون طالب
الطريق المستقيم ولم يكن سؤاله واعتراضه عن الحسد وتعنت وامتحان هذا
يقبل العلاج ويجوز ان يشتغل بجواب سؤاله بل يجب عليك اجابته الثانى
مما تدع وهو ان تحذر وتحترز من ان تكون واعظا او مذكرا لان آفته كثيرة
الا ان تعمل بما تقول اولا ثم تعظ به الناس فتفكر فيما قيل لعيسى عليه السلام يا ابن
مريم عظ نفسك اولا وان اتعظت فعظ الناس والا فاستحى ربك وان ابتليت
بهذا العمل احترز عن خصلتين الاولى عن التكلف فى الكلام بالعبارات والاشارات
والطامات والابيات والاشعار لان الله يبغض المتكلفين وهذا التكليف الجاوز
عن الحد يدل على خراب الباطن وغفلت القلب ومعنى التذكير ان يذكر العبد
نار الاخرة وتقصير نفسه فى خدمة الخالق ويتفكر فى عمره الماضية الذى افنا فى ما لا

جواب الاحمق السكوت

يعنه

86

يعنيه ويتفكر تذكره فيما بين يديه من العقبات من سلامة الايمان في الخاتمة وكيفية حالة
في قبضة ملك الموت وهل يقدر على جواب منكر ونكير بحاله في القيمة وسهم ومواقفها
وهل يعبر عن الصراط سالما ام يقع في الهاوية وبستمر ذكر هذه الاشياء في قلبه
وينزعج عن قراره فغليان هذه النيران ونوحة هذه المصائب يسمى تذكرا واما الوعظ
واعلام الخلق واطلاعهم على هذه الاشياء وتنبيههم على تقصيرهم بعيوب انفسهم
يسمى حرارة هذه النيران اهل المجلس وتجرعهم تلك المصائب ليتداركوا العمر الماضي
بقدر الطاقة ويتحسروا على الايام الخالية في غير طاعة الله تعالى هذه الجملة على هذا
الطريق يسمى وعظا كما لو رأيت ان السيل قد هجم على دار احد وكان هو مع اهله فيها
فتقول الحذر الحذر فروا من السيل وهل يشتهي قلبك في هذه الحالة ان تخبر صاحب الدار
خبرك بتكليف العبارات والنكتة والاشارات فلا تشتهي البتة فكذلك حال الواعظ
فينبغي ان يجتنبها والخصلة الثانية ان لا يكون همتك في وعظك ان ينعر الخلق في مجلسك
ويظهر الوجد ويشقوا الثياب هو سوسرمو ليقال نعم المجلس هذا لان كله ميل الدنيا
وهو يتولد من الغفلة بل ينبغي ان يكون عزمك والرياء وهمتك ان تدعو الناس من الدنيا
الى الاخرة ومن المعصية الى الطاعة ومن الحرص الى الزهد ومن البخل الى السخاء ومن الغرور
الى التقوى وان تحبب اليهم الاخرة وان تبغض عليهم الدنيا وتعلمهم علم العبادة والزهد
لان الغالب في طباعهم الزيغ عن منهج الشرع والسعي فيما لا يرضي الله تعالى به والا
شتغال بالاخلاق الردية فالق في قلوبهم الرعب وروعهم وحذرهم عما هم من المخاوف
لعل صفات باطنهم تتغير ومعاملة ظاهرهم تتبدل ويظهر الحرص والرغبة في الطاعة
والرجوع عن المعصية وهذا طريق الوعظ والنصيحة وكل وعظ لا يكون هكذا فهو
وبال على من قال وسمع بل قيل انه غول وشيطان يذهب بالخلق عن الطريق الضلالة
ويهلكهم فيجب عليهم ان يفروا منه لان ما يفسد هذا القائل من دينهم لا يستطيع بمثله
الشيطان ومن كان ذا يد ينفع وقدرة تجب عليه ان ينزله عن منابر المسلمين ويمنع عما باشر
فانه من جملة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والثالث مما تدع الا انه لا تخالط
الامراء والسلاطين ولا تراهم لان رؤيتهم ومجالستهم ومخالطتهم آفة عظيمة
ولو ابتليت بها دع عنك مدحهم وثناءهم لان الله تعالى يغضب اذا مدح الفاسق

ويهتم

ونفريطهم وتبصيرهم

حيث يرعوا

ويحسن ان

وينبغي للواعظ ان يعو
كل رجل قد غلب عليه الرجاء
الى الخوف وكل رجل
قد غلب عليه الخوف الى
الرجاء

والظالم ويدعو لهم لطول بقائهم فقد احب ان يعصى الله تعالى في ارضه والرابع مما تدع ان لا
تقبل شيئا من عطاء الامراء وهداياهم وان علمت انه من الحلال لان الطمع منهم يفسد
الدين لانه يتولد منه المداهنة ومراعات جانبهم والموافقة في ظلمهم وهذا كله فساد
في الدين واقل مضرته انك اذا قبلت عطاءهم وانتفعت من دنياهم احببتهم ومن
احب احدا يحب طول عمره وبقائه بالضرورة وفي محبة بقاء الظالم ارادة الظلم على
عباد الله تعالى وارادة خراب العالم فاي شيء يكون اضر من هذا للدين والعاقبة واياك
واياك ان يخدعك استهواء الشيطان او قول بعض الناس لك بان الافضل والاولى
ان تاخذ الدينار والدرهم منهم وتفرقها بين الفقراء والمساكين فانهم ينفقون في الفسق
والمعصية وانفاقك على ضعفاء الناس خير من انفاقهم فان اللعين قد قطع اعناق
كثير من الناس بهذه الوسوسة وآفته فاحش كثير قد ذكرناه في احياء العلوم فاطلبه
واما ثم الاربعة التي ينبغي لك ان تفعلها الاول ان تجعل معاملتك مع الله تعالى بحيث
لو عامل بها معك عبدك ترضى بها منه ولا يضيق خاطرك عليه ولا تغضب والذي لا ترضى لنفسك
من عبدك المجازي لا يرضى ايضا الله تعالى وهو سيدك الحقيقي والثاني كلما عملت بالناس
اجعل كما ترضى لنفسك منهم لانه لا يكمل ايمان عبد حتى يحب لسائر الناس ما يحب
لنفسه والثالث اذا قرات العلم او طالعته ينبغي ان يكون علمك يصلح قلبك ويزكي
نفسك كما لو علمت ان عمرك ما بقي غير اسبوع فبالضرورة لا تشتغل فيها بعلم الفقه
والخلاف والاصول والكلام وامثالها لانك تعلم ان هذه العلوم لا ينفعك بل تشتغل
بمراقبة القلب ومعرفة صفات النفس والاعراض عن علايق الدنيا وتزكي نفسك عن الاخلاق
الذميمة وتشتغل بمحبة الله تعالى وبعبادته والاتصاف بالاوصاف الحسنة ولا يمر
على عبد يوم وليلة الا ويمكن ان يكون موته فيها ايها الولد اسمع مني كلاما آخر وتفكر فيه
حتى تجد خلاصا لو انك اخبرت ان السلطان بعد اسبوع يجيئك زائرا اعلم انك في
تلك المدة لا تشتغل الا باصلاح ما علمت ان نظر السلطان سيقع عليه
من الثياب ومن البدن والدار والفراش وغيرها والان تفكر الى ما اشرت
به فانك فهم والكلام الفرد يكفي للكيس قال رسول الله ان الله لا ينظر الى صوركم ولا
الى اعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم ونياتكم وان اردت علم احوال القلب فانظر الى الاحياء

وغيره

وغيره من مصنفاتي وهذا العلم فرض عين وغيره فرض كفاية الامقدار ما يؤدي به فرايض الله تعالى
والله تعالى فرض عليه يوفقك حتى تحصله والرابع ان لا تجمع من الدنيا اكثر من كفاية سنة
كما كان رسول الله عليه السلام يعد ذلك لبعض حجراته وقال اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا ولم يكن يعد ذلك
لكل حجراته بل يعد لمن علم ان في قلبها ضعفا واما من كان صاحبة يقين ما كان يعد
لها قوت يوم ونصف ايها الولد اني كتبت في هذا الفصل ملتمساتك فينبغي لك ان تعلم ما فيها
ان تعمل بها ولا تنساني فيه من ان تذكرني في صالح دعائك واما الدعاء الذي
سئلت مني فاطلبه من دعوات الصحاح واقرا هذا الدعاء في اوقاتك خصوصا
اعقاب الصلوة اللهم اني اسئلك من النعمة تمامها ومن العصمة دوامها ومن الرحمة شمولها ومن العافية حصولها
ومن العيش ارغده ومن العمر اسعده ومن الاحسان اتمه ومن الانعام اعمه ومن الفضل اعذبه ومن اللطف انفعه اللهم
كن لنا ولا تكن علينا اللهم اختم بالسعادة آجالنا وحقق بالزيادة آمالنا واقرن بالعافية غدونا وآصالنا
واجعل الى رحمتك مصيرنا ومآلنا واصبب سجال عفوك على ذنوبنا ومن علينا باصلاح عيوبنا واجعل التقوى زادنا وفي دينك
اجتهادنا وعليك توكلنا واعتمادنا وثبتنا على نهج الاستقامة واعذنا في الدنيا من موجبات الندامة يوم القيمة وخفف عنا
ثقل الاوزار وارزقنا عيش الابرار واكفنا واصرف عنا شر الاشرار واعتق رقابنا ورقاب آبائنا وامهاتنا واخواننا
ورقاب المؤمنين والمؤمنات من النار برحمتك يا عزيز يا غفار برحمتك يا ارحم الراحمين

هذا كتاب الوصية الامام الاعظم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلوة على سيدنا
محمد وعلى آله واصحابه اجمعين هذا كتاب الوصية الامام الاعظم ابي حنيفة رضي الله عنه امام الائمة
هادي الامام كاشف الغمة فريد وقته ووحيد عصره موضح الطريقة مظهر الحقيقة احد السيف
حسام الشريعة المجاهد على التحقيق ابي حنيفة نعمان بن ثابت رضي الله عنه وارضاه على اعتقاده
مذهب اهل السنة والجماعة لما مرض امام المسلمين مرضا شديدا استجمع عنده اصحابه وتلامذه
وقد اشتهوا منه الوصية على طريقة اهل السنة والجماعة فامر بخادمه حاسوحتى اجلسه وجلس
الخادم خلف ظهره فاسنده اليه ثم قال رضي الله عنه اعلموا اصحابي واخواني ان مذهب اهل السنة
والجماعة على اثنى عشر خصلة فمن كان منكم يستقيم على هذه الخصال لا يكون مبتدعا ولا صاحب
الهوى فعليكم بهذه الخصال حتى تكونوا في شفاعة نبينا محمد عليه السلام يوم القيمة قال اولها
الايمان هو اقرار باللسان وتصديق بالجنان ومعرفة بالقلب والاقرار وحده لا يكون
ايمانا لانه لو كان ايمانا لكان المنافقون كلهم مؤمنين وكذلك المعرفة وحدها لا يكون

ايمانا لانها لو كان ايمانًا لكان اهل الكتاب كلهم مؤمنين قال الله تعالى في حق المنافقين والله
يشهد ان المنافقين لكاذبون وقال الله تعالى في حق اهل الكتاب الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه
كما يعرفون ابناءهم فصل والايمان لا يزيد ولا ينقص لانه لا يتصور نقصانه الا بزيادة
الكفر ولا يتصور زيادته الا بنقصان الكفر وكيف يجوز ان يكون الشخص الواحد في حالة
واحدة مؤمنًا وكافرًا والمؤمن مؤمن حقًا والكافر كافر حقًا وليس في الايمان شك
لقوله تعالى اولئك هم المؤمنون حقًا واولئك هم الكافرون حقًا وعامة امة محمد صلى الله عليه
عليه وسلم من اهل التوحيد كلهم مؤمنون حقًا والعاصون من امة محمد عم كلهم مؤمنون
حقًا وليسوا بكافرين فصل العمل غير الايمان والايمان غير العمل بدليل ان كثيرًا من الاوقات
يرتفع العمل من المؤمنين لا يجوز ان يقال ارتفع عنه الايمان فان الحائض يرتفع الله عنها ولا يجوز
ان يقال يرفع الله عنها الايمان او امرهما بترك الايمان وقد قال لها الشارع دعي الصوم
ثم اقضيه ولا يجوز ان يقال دعي الايمان ثم اقضيه ويجوز ان يقال ليس على الفقير الزكوة
ولا يجوز ان يقال ليس على الفقير الايمان فصل نقر بان تقديره الخير والشر كله من الله
تعالى لان لو زعم احد ان تقدير الخير والشر من غيره لصار كافرًا بالله سبحانه تعالى وبطل توحيده
ان كان له التوحيد فصل نقر بان الاعمال ثلثة فريضة وفضيلة ومعصية والفريضة بامر الله
تعالى ومشيته ومحبته ورضائه وقضائه وقدرته وتخليقه وحكمه وعلمه وتوفيقه وكتابه في اللوح
المحفوظ والفضيلة ليست بامر الله ولكن بمشيته ومحبته ورضائه وقدرته وارادته وقضائه
وحكمه وعلمه وتوفيقه وتخليقه وكتابه في اللوح المحفوظ والمعصية ليست بامر الله ولكن بمشيته
لا بمحبته ولا بقضائه لا برضائه وبتقديره لا بتوفيقه وبخذلانه وبتخليقه لا بمعونته
وعلمه وكتابه في اللوح المحفوظ فصل ونقر بان الله تعالى على العرش استوى معناه استوى
من غير ان يكون له حاجة واستقرار عليه قال الله تعالى الرحمن على العرش استوى
موجد للعرش وغير العرش بل هو حافظ العرش وغير العرش من غير احتياج فلو كان
كان محتاجًا اليه لما قدر على ايجاد العالم والحفظ والتدبير كالمخلوقين ولو كان محتاجًا
الى الجلوس والقرار عليه فقبل العرش اين كان الله تعالى تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا فصل
نقر بان القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق ووحيه وتنزيله وصفته لا هو ولا غيره
بل صفته على التحقيق مكتوب في المصاحف مقرو بالسن محفوظ في الصدور غير حال

فيها

فيها والحبر والكاغد والكتابة كلها مخلوقة لانها افعال العباد وفعل العبد ايضاً مخلوق
وكلام الله تعالى غير مخلوق لان الكتابة والحروف والكلمات والآيات كلها آلة القرآن لحاجة العباد
اليها وكلام الله تعالى قائم بذاته ومعناه مفهوم بهذه الاشياء فمن قال بان كلام الله تعالى مخلوق
فهو كافر بالله العظيم والله تعالى معبود لا يزال عما كان وكلامه مقروّ ومكتوب من غير مزايلة عنه
فصل نقر بان افضل هذه الامة بعد نبينا محمد عم ابو بكر الصديق ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضوان الله تعالى
عليهم اجمعين لقوله تعالى والسابقون السابقون اولئك هم المقربون في جنات النعيم فكل
من كان اسبق فهو افضل عند الله ويحبهم كل مؤمن تقي ويبغضهم كل منافق شقي فصل نقر
بان العبد مع اقواله واقراره ومعرفته مخلوق فلما كان الفاعل مخلوقاً فافعاله اولى ان يكون مخلوق
فصل نقر بان الله تعالى خلق الخلق ولم يكن لهم طاقة لانهم ضعفاء عاجزون محدثون والله تعالى خالقهم
لقوله تعالى والله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون والكسب من العمل الحلال
حلال وجميع المال حلال من الحرام حرام جميع المال حرام والناس على ثلثة اصناف المؤمن المخلص في ايمانه
والكافر الجاحد في كفره والمنافق المظاهر في نفاقه والله تعالى سبحانه وتعالى فرض على المؤمنين العمل وعلى
الكافر الايمان وعلى المنافق الاخلاص لقوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم يعني ايها المؤمنون
اطيعوا وايها الكافرون آمنوا وايها المنافقون اخلصوا فصل نقر بان الله تعالى جعل الاستطاعة
مع الفعل لا قبل الفعل ولا بعد الفعل لانه لو كان قبل الفعل لكان العبد مستغنياً عن الله تعالى
وقت الفعل وهذا خلاف حكم النص لقوله تعالى والله الغني وانتم الفقراء ولو كان بعد الفعل
لكان من المحال لانه حصول الفعل بلا استطاعة ولا طاقة فصل نقر بان المسح على الخفين واجب
للمقيم يوما وليلة وللمسافر ثلثة ايام ولياليها لان الحديث ورد هكذا ومن انكر يخشى عليه الكفر
لانه قريب من الخبر المتواتر والقصر في المقيم والافطار في السفر رخصة بنص الكتاب لقوله تعالى
واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة وفي الافطار قوله تعالى
فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر فصل نقر بان الله تعالى امر بالقلم بان تكتب
فقال القلم ماذا اكتب يا رب فقال الله تعالى اكتب ما هو كائن الى يوم القيمة لقوله تعالى
وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر فصل نقر بان العذاب القبر كائن
لا محالة لقوله تعالى سنعذبهم مرتين ولقوله تعالى ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون
العذاب وسؤال المنكر ونكير حق لورود الحديث والجنة والنار حق وهما مخلوقان لاهلهما

الآن لا تفنيان ولا يفنى اهلها لقوله تعالى في حق المؤمنين اعدت للمتقين وفي حق الكافر
اعدت للكافرين خلقهما الله تعالى للثواب والعقاب والميزان حق لقوله تعالى ونضع الموا
زين القسط ليوم القيمة وقراة الكتاب حق لقوله تعالى اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم
عليك حسيبا فصل نقر بان الله تعالى يحيى هذه النفوس بعد الموت ويبعثهم في يوم كان
مقداره خمسين الف سنة للجزاء والثواب واداء الحقوق لقوله تعالى وان الله يبعث من
في القبور ولقاء الله تعالى لاهل الجنة حق يرونه اهل الجنة بلا كيف وكيفية ولا تشبيه
ولا جهة لقوله تعالى وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة وشفاعة نبينا محمد عليه السلام
لمن كان هو اهل لها حق لكل من هو من اهل الجنة وان كان صاحب كبيرة وعايشة رضي الله عنها
بعد خديجة الكبرى رضي الله عنها افضل نساء العالمين وهي ام المؤمنين ومطهرة من الزنا
وبرية عما قالت الروافض فمن شهد عليها بالزنا فهو مردود في الدنيا والاخرة واهل الجنة
في الجنة خالدون واهل النار في النار خالدون لقوله تعالى في حق المؤمنين اولئك اصحاب
الجنة هم خالدون وفي حق الكفار اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون تم تم تم تم تم
بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين قال اصل التوحيد وما يصح الاعتقادات عليه يجب ان يقول
امنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والبعث بعد الموت والقدر خيره وشره
من الله تعالى والحساب والميزان والجنة والنار حق كله والله تعالى واحد لا من طريق العدد
ولكن من طريق انه لا شريك له لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد لا يشبه شيئا من الاشيا
من خلقه ولا يشبه شيئا من خلقه لم يزل ولا يزال باسمائه وصفاته الذاتية في العقلية اما
صفاته الذاتية فالحيوة والقدرة والعلم والكلام والسمع والبصر والارادة واما الفعلية
والتخليق والترزيق والانشاء والابداع والصنع وغير ذلك من صفات الفعلية لم يزل ولا يزال
بها بصفاته واسمائه لم يحدث له صفة ولا اسم لم يزل عالما بعلم والعلم صفته في الازل
وقادرا بقدرته والقدرة صفته في الازل وخالقا بتخليقه والتخليق صفة في الازل وفا
علا بفعله والفعل صفة في الازل وفاعل هو الله تعالى والفعل صفة في الازل والمفعول مخلوق
وفعل الله تعالى غير مخلوق وصفاته في الازل غير محدثة ولا مخلوقة ومن قال انها مخلوقة او
محدثة او وقف او شك فيها هو كافر بالله تعالى والقران كلام الله تعالى في المصاحف
مكتوب وفي القلوب محفوظ وعلى نبي الله منزل ولفظنا بالقران مخلوق وكتابتنا مخلوق

وقرائتنا

وقراءتنا مخلوق والقرآن غير مخلوق وما ذكره الله في القرآن حكاية عن موسى وغيره من الانبياء
وعن فرعون وابليس فان ذلك كله كلام الله تعالى كما في قوله تعالى اخبارا عنهم وكلام الله تعالى غير
مخلوق وكلام موسى ع م وغيره من المخلوقين مخلوق والقرآن كلام الله تعالى لا كلامهم وسمع موسى كلام الله تعالى
كلم الله موسى تكليما وقد كان الله متكلما ولم يكن كلم موسى وقد كان الله خالقا في الازل ولم يخلق فلما
كلم الله موسى كلمه بكلامه الذي هو له صفة في الازل وصفاته كلها بخلاف صفة المخلوقين يعلم لا كعلمنا
ويقدر لا كقدرتنا ويرى لا كرؤيتنا ويتكلم لا ككلامنا ويسمع لا كسمعنا نحن نتكلم بالآلات
والحروف والله تعالى يتكلم بلا آلة ولا حروف والحروف مخلوقة وكلام الله غير مخلوق وهو شيء
لا كالاشياء ومعنى الشيء اثباته بلا جسم ولا جوهر ولا عرض ولا حد له ولا ضد له ولا ند له
ولا مثل له وله يد ووجه ونفس كما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس
فهو له صفات بلا كيف ولا يقال ان يده قدرته او نعمته لان فيه ابطال الصفة وهو قول
اهل القدر والاعتزال ولكن يده صفته بلا كيف وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا
كيف خلق الله الاشياء لا من شيء وكان الله عالما في الازل بالاشياء قبل كونها وهو الذي
قدر الاشياء وقضاها في الازل ولا يكون في الدنيا ولا في الآخرة شيء من الاشياء الا بمشيته
وعلمه وقضائه وقدره وكتبه في اللوح المحفوظ لكن كتبه بالوصف لا بالحكم والقضاء والقدرة
والمشية صفاته في الازل بلا كيف يعلم الله تعالى المعدوم في حال عدمه معدوما ويعلم انه كيف
افنائه ويعلم الله القائم في حال قيامه قائما واذا قعد فقد علم قاعدا في حال قعوده من غير ان يتغير
علمه او يحدث له علم ولكن التغير والاختلاف والاحوال عند المخلوقين خلق الله تعالى الخلق
سليما من الكفر والايمان ثم خاطبهم بالايمان وامرهم ونهاهم عن الكفر فكفر من كفر بفعله وانكاره
وجحوده بخذلان الله اياه وآمن من آمن بفعله واقراره وتصديقه كل ذلك بتوفيق الله تعالى
اياه ونصرته لما اخرج ذرية آدم من صلبه فجعلهم عقلا فخاطبهم بالايمان وامرهم ونهاهم
فاقروا له بالربوبية فكان ذلك منهم ايمانا فهم يولدون على تلك الفطرة فمن كفر بعد ذلك
فقد بدل وغير ومن آمن وصدق فقد ثبت عليه وداوم ولم يجبر احدا من خلقه على الكفر
ولا على الايمان ولا خلقهم مؤمنا ولا كافرا ولكن خلقهم اشخاصا والايمان والكفر فعل العباد
ويعلم الله تعالى من كفر في حال كفره كافرا فاذا آمن بعد ذلك علم مؤمنا في حال ايمانه واحبه
من غير ان يتغير علمه وصفته وجميع افعال العباد من الحركات والسكون كسبهم على الحقيقة والله

حالتها وهي كلها ما كانت واجبة بامر الله تعالى بمحبته ورضائه وعلمه ومشيته قضائه و
تقديره والمعاصي كلها بعلمه وقضائه وتقديره ومشيته لا بمحبته ولا برضائه ولا بامره والا
نبياء كلهم منزهون عن الصغاير والكباير والكفر والقبايح وقد كانت سبت منهم
زلات وخطيئات ومحمد عبده ورسوله وحبيبه ونبيه وصفيه ونقيه ولم يعبد الصنم ولم
يشرك بالله طرفة العين ولم يركب الصغيرة ولا كبيرة فقط وافضل الناس بعد رسول
الله عم ابو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب الفاروق ثم عثمان بن عفان ذي النورين ثم علي
بن ابي طالب رضوان الله تعالى عليهم اجمعين عابدين الله على الحق نتولاهم جميعا ولا نذكر
احدا من الصحابة الا بخير ولا نكفر مسلما بذنب من الذنوب وان كان كبيرة اذا لم يستحلها ولا
نزيل عنه اسم الايمان ونسميه مومنا حقيقة ويجوز ان يكون مومنا فاسقا غير كافر
والمسح على الخفين سنة والتراويح في ليال شهر رمضان سنة والصلوة خلف بر وفاجر من
المومنين جايزة ولا نقول ان المومن لا يضره الذنوب ولا انه لا يدخل النار ولا انه يخلد
في النار وان كان فاسقا بعد ان يخرج من الدنيا مومنا ولا نقول ان حسناتنا
مقبولة وسيئاتنا مغفورة كقول المرجئة ولكن نقول من عمل عملا حسنة بجميع شرايطها
خالية من العيوب المفسدة ولم يبطلها حتى يخرج من الدنيا فان الله تعالى لا يضيعها بل
يقبلها منه ويثيبه عليها وما كانت من السيئات دون الشرك والكفر ولم يتب عنها
صاحبها حتى مات مومنا فانه مشية الله تعالى ان شاء عذبه وان شاء عفى عنه ولم يعذبه
ابدا بالنار والرياء اذا وقع في عمل من الاعمال فانه يبطل اجره وكذلك العجب والايات للا
نبياء عم والكرامات للاولياء واما التي تكون لاعدائه مثل ابليس وفرعون والدجال
فما روي في الاخبار انه كان ويكون لهم لا نسميها ايات وكرامات ولكن نسميها قضاء
حاجات لهم وذلك لان الله يقضي حاجات اعدائه استدراجا وعقوبة لهم فيغترون
ويزدادون طغيانا وكفرا وذلك كله جائز ممكن كان الله خالقا قبل ان يخلق ورازقا
قبل ان يرزق والله تعالى يرى في الاخرة ويراه المومنون وهم في الجنة باعين رؤيتهم
بلا تشبيه ولا كيفية ولا يكون بينه وبين خلقه مسافة والايمان هو الاقرار والتصديق
واما اهل السماء والارض لا يزيد ولا ينقص والمومنون مستوون في الايمان والتوحيد
متفاضلون في الاعمال والاسلام هو التسليم والانقياد لامر الله تعالى فمن طريق اللغة

فرق بين الايمان والاسلام ولكن يكون الايمان بلا اسلام واسلام بلا ايمان وهما كالظهر مع
البطن والدين اسم واقع على الايمان والاسلام والشرايع كلها نعرف الله تعالى
حق معرفته كما وصف الله نفسه في كتابه بجميع صفاته وليس يقدر احد ان يعبد الله تعالى
حق عبادته كما هو اهله ولكن يعبده بامره ويستوي المؤمنون كلهم في المعرفة واليقين
والتوكل والمحبة والرضاء والخوف والرجاء والايمان وفي ذلك ويتفاوتون فيما دون الايمان في ذلك
كله والله تعالى متفضل على عباده عادل قد يعطي من الثواب اضعاف ما يستوجب العبد تفضلا
منه وقد يعاقب على الذنب عدلا منه وقد يعفو فضلا منه وشفاعة الانبياء عليهم السلام حق وشفاعة
النبي عليه السلام للمؤمنين المذنبين ولاهل الكبائر منهم المستوجبين العقاب حق ووزن الاعمال
بالميزان يوم القيمة حق وحوض النبي ع م حق وقصاص فيما بين خصوم الحساب يوم القيمة حق فان
لم تكن لهم الحسنات فطرح السيئات عليهم حق جائز والجنة والنار مخلوقتان اليوم لا تفنيان
ابدا ولا يموت حور العين ابدا ولا يفنى عقاب الله تعالى ولا ثوابه سرمدا والله تعالى يهدي من
يشاء فضلا منه ويضل من يشاء عدلا منه لا ظلما واضلاله خذلانه لانه وتفسير الخذلان لا يوافق
العبد على ما يرضاه وهو عدل منه وذلك عقوبة المخذول على المعصية ولا يجوز ان يقول ان الشيطان
سلب الايمان من العبد المؤمن قهرا ولكن نقول العبد يدع الايمان فحينئذ يسلب منه الشيطان
وسؤال المنكر والنكير حق كائن في القبر واعادة الروح الى بدن العبد في قبره وضيق القبر وعذابه
كائن للكفار كلهم ولبعض عصاة المؤمنين المسلمين وكل شيء ذكره العلماء بالفارسية
من صفات الله تعالى فجائز عز اسمه القول سوى اليد الفارسية ويجوز ان يقال فيه برويء خداي
عز وجل بلا تشبيه ولا كيفية وليس قرب الله تعالى ولا بعده من طريق طول المسافة وقصرها
ولكن على معنى الكرامة والهوان والمطيع قريب منه بلا كيف والعاصي بعيد منه بلا كيف والقرب والبعد
والاقبال يقع على المناجي وكذلك جواره في الجنة والوقوف بين يديه بلا كيف والقران منزل
على رسول الله عليه السلام وهو المصاحف مكتوب وايات القران في معنى الكلام كلها مستوية
في الفضيلة والعظمة لان لبعضها فضيلة الذكر وفضيلة المذكور مثل اية الكرسي لان المذكور
فيها جلال الله تعالى وعظمته وصفاته فاجتمعت فيها فضيلتان فضيلة الذكر وفضيلة المذكور
ولبعضها فضيلة الذكر فحسب مثل قصة الكفار وليس للمذكور فيها فضل وهم الكفار وكذلك
الاسماء والصفات كلها مستوية في العظام والفضل لا تفاوت بينهما قاسم وظاهر وابراهيم

كانوا ابن رسول الله عليه السلام وفاطمه ورقيه وزينب وام كلثوم يكن جميعًا بنات رسول

الله عم واذا اشكل على الانسان شيئ من دقايق علم التوحيد فانه ينبغي ان يعتقد في الحال

الى ما هو الصواب عند الله الى ان يجد عالمًا فيسئاله ولا يسعه تاخير الطلب ولا يعذر بالوقف

ويكفر ان وقف وخبر المعراج حق ومن رده فهو مبتدع ضالٌ وخروج الدجال وياجوج وماجوج

وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى من السماء وساير علامات يوم القيمة على ما وردت به الاخبار

الصحيحة حق كائن والله يهدى من يشاء الى صراطٍ مستقيم تمت بعون الله غفر الله [illegible]

العصيان بحرمة الانبياء والاولياء والشهداء والصالحين في يوم الثالث من شهر جمادى الاول

سنة ستة وثلثين ومائة والف

١١٣٦

91

بسم الله الرحمن الرحيم وبه العون قال الشيخ الامام العامل حجة الاسلام ابو حامد

محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي رحمه الله تعالى امين الحمد لله وحده والصلوة والسلام

على خير خلقه سيدنا محمد واله وصحبه هذا كتاب الكشف والتبيين في غرور الخلق اجمعين

اعلم ان الخلق قسمان حيوان وغير حيوان والحيوان قسمان مكلف ومهمل فالمكلف

من خاطبه بالعبادة وامره بها ووعده الثواب عليها ونهاه عن المعاصي وحذره

العقوبة ثم المكلف قسمان مؤمن وكافر والمؤمن قسمان طايع وعاص وكل واحد

من الطايعين والعاصين ينقسم الى قسمين عالم وجاهل ثم رايت الغرور لا بد

لجميع المؤمنين المكلفين والكافرين الا من عصمه رب العالمين وانا بحمد الله اكشف

غرورهم وابين الحجة فيه واوضحه غاية الايضاح وابينه غاية البيان باوجز ما يكون

اي اختصار

من العبارة وابدع ما يكون من الاشارة فالمغرورون من الخلق ما عدا الكافر اربعة

اصناف صنف من العلما وصنف من العباد وصنف من ارباب الاموال وصنف من المتصوفة

فالاول ما ابتدا به الغرور الكافر وهم قسمان منهم من غرته الحيوة الدنيا ومنهم

من غره بالله الغرور اما الذين غرتهم الحيوة الدنيا فهم الذين قالوا النقد خير من

النسيئة ولذات الدنيا يقين ولذات الاخرة شك ولا يترك اليقين بالشك وهذا

قياس فاسد وهو قياس ابليس لعنه الله تعالى في قوله انا خير منه فظن ان الخيرية

في النسب وعلاج هذا الغرور شيئان اما تصديق وهو الايمان واما برهان اما التصديق

فهو ان يصدق الله سبحانه وتعالى في قوله وما عند الله خير وابقى وما الحيوة الدنيا الا

متاع الغرور وتصديق الرسول فيما جاء به واما البرهان فهو ان يعرف فساد وجه قياسه

ان قوله الدنيا نقد والاخرة نسيئة مقدمة صحيحة واما النقد خير من النسيئة فهو محل التلبيس

وليس

وليس الامر كذلك بل ان كان النقد مثل النسية في المقدار والمقصود فهو خير وان كان اقل منه
فالنسية خير منه ومعلوم ان الاخرة ابدية والدنيا غير ابدية واما قوله وهو الدنيا يقين والاخرة
شك فهو ايضا باطل بل ذلك يقين عند المؤمنين وليقينه مدركان احدهما الايمان والتصديق
على وجه التقليد للانبياء والعلما كما يقلد الطبيب الحاذق في الدواء والمدرك الثاني الوحي للانبياء
والالهام للاولياء ولا تظن ان معرفة النبي صلى الله عليه وسلم لامور الاخرة ولامور الدنيا تقليد
لجبريل فان التقليد ليس بمعرفة صحيحة والنبي صلعم حاشاه من ذلك بل قد انكشف له الاشيا وشاهدها
بنور البصيرة كما شاهدت انت المحسوسات بالعين الظاهرة فصل والمؤمنون بالسنتهم
وعقايدهم اذ ضيعوا امر الله تعالى وهجروا الاعمال الصالحات وتدنسوا بالشهوات فهم مشاركون
للكفار في هذا الغرور فالحيوة الدنيا للكفار والمؤمنين جميعا واما غرور الكافرين بالله
فمثاله قول بعضهم في انفسهم بالسنتهم انه ان كان الله معيدنا فنحن احق به من غيرنا كما اخبر الله تعالى عنهم في سورة الكهف حين قال ما اظن
ان تبيد هذه ابدا وما اظن الساعة قائمة الاية وسبب هذا الغرور قياس من اقيسة
ابليس لعنه الله وذلك انهم ينظرون مرة الى نعم الله تعالى عليهم في الدنيا فيقيسون
عليها نعم الاخرة ومرة الى تاخير عذاب الله عنهم في الدنيا فيقيسون عليه عذاب الاخرة كما اخبر الله
تعالى عنهم في الدنيا انهم يقولون لولا يعذبنا الله الاية ومرة ينظرون الى المؤمنين
وهم فقراء فيزدرونهم ويقولون اهؤلاء من الله عليهم من بيننا ويقولون لو كان خيرا
ما سبقونا اليه وترتيب القياس الذي نظم في قلوبهم انهم يقولون قد احسن الله
تعالى بنعيم الدنيا وكل محسن محب فهو محب وكل محب فهو محسن محبته بل يكون محسنا ولا يكون محبا بل ربما يكون الاحسان
سبب هلاكه على التدريج وذلك محض الغرور بالله عز وجل ولذلك قال عليه الصلوة والسلام
ان الله تعالى يحمي عبده من الدنيا كما يحمي احدكم مريضه من الطعام والشراب وهو يحبه ولذلك

كان ارباب البصاير اذا اقبلت عليهم الدنيا حزنوا واذا اقبل عليهم الفقر فرحوا وقالوا مرحبا
بشعار الصالحين وقد قال الله تعالى فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه الاية
وقال تعالى ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون
وقال الله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملي لهم ان كيدي متين وقال تعالى
فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة
فاذا هم مبلسون فمن آمن بالله لم يومن من هذا الغرور ومنشاء هذا الغرور الجهل بالله وصفاته
فان من عرف الله فلا يامن من مكره ولا ينظر فرعون وهامان ونمرود وما داخلهم مع ما
اعطاهم الله من المال وقد حذر الله تعالى مكره فقال تعالى فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون
وقال الله تعالى ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين وقال تعالى فمهل الكافرين امهلهم رويدا
فمن اوتي نعمة يحذر ان تكون نقمة

فصل

واما غرور العصات من المومنين بالله
فقولهم غفور رحيم وانما نرجو عفوه فاتكلوا على ذلك واهملوا الاعمال وذلك من قبل
الرجاء فانه مقام محمود في الدين وان رحمة الله واسعة ونعمته شاملة وكرمه عميم وانا
موحدون ومومنون نرجوه بوسيلة الايمان والكرم والاحسان وربما كان منشاء حالهم
التمسك بصلاح الاباء والامهات وذلك نهاية الغرور فان اباءهم مع صلاحهم وورعهم
كانوا خائفين وظنهم قياسهم الذي سول لهم الشيطان ان من احب انسانا احب اولاده
فان الله قد احب اباءكم الى الطاعات فاتكلوا على ذلك واغتروا بالله ولم يعلموا ان نوحا
عليه السلام اراد ان يحمل ولده في السفينة فمنع واغرقه الله سبحانه وتعالى باشد ما اغرق
قوم نوح وان نبينا محمدا صلعم طلب زيارة قبر امه وفي الاستغفار لها فاذن له في الزيارة
ولم يوذن له في الاستغفار ونسوا قوله سبحانه وتعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وان ليس
للانسان الا ما سعى ومن ظن انه ينجو بتقوى ابيه كمن ظن انه يشبع باكل ابيه او يروى
بشرب ابيه فالتقوى فرض عين لا يجزي والد عن ولده عند جزاء التقوى يوم يفر المرء
من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه الا على سبيل الشفاعة ونسوا قوله عليه الصلوة والسلام

الكيس

93

الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع هوى نفسه وتمنى على الله وقوله تعالى

ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله والله

غفور رحيم وقال تعالى جزاءً بما كانوا يعملون وهل يصح الرجاء الا ان يتقدمه عمل والا

فهو غرور لا محالة فصل ويقرب طوائف لهم طاعات ومعاص الا ان معاصيهم اكثر

وهم يتوقعون المغفرة ويظنون انه يترجح كفة حسناتهم اكثر من كفة السيئات وهذا

غاية الجهل فترى الواحد يتصدق بدراهم معدودة من الحلال والحرام ويكون ما تناوله من

اموال الناس والشبهات اضعافه وهو كمن وضع في كفة الميزان عشرة دراهم ووضع

في الكفة الاخرى الفا دراهم واراد ان تميل الكفة التي فيها عشرة دراهم وذلك غاية الجهل

فصل ومنهم من يظن ان طاعته اكثر من معاصيه لانه يحاسب نفسه ولا يتفقد

معاصيه واذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذي يستغفر بلسانه او يسبح في الليل والنهار مثلا

مائة ثم يغتاب المسلمين ويتكلم بما لا يرضاه الله طول النهار ويلتفت الى ما ورد في فضل التسبيح ويغفل

عما ورد في عقوبة الكذابين والنمامين والمنافقين وذلك محض الغرور فحفظ لسانه عن المعاصي

آكد من تسبيحاته فنعوذ بالله من ضد ناعن التنبه فصل في بيان اصناف المغرورين واقسام

كل صنف الصنف الاول من المغرورين العلما والمغرورون منهم فرق ففرقة منهم لما احكمت

العلوم الشرعية والعقلية تعمقوا فيها واشتغلوا بها واهملوا تفقد الجوارح وحفظها

من المعاصي والزامها الطاعة واغتروا بعلمهم وظنوا انهم عند الله بمكان وانهم قد بلغوا

من العلم مبلغا لا يعذب الله تعالى مثلهم بل يقبل في الخلق شفاعتهم ولا يطالبهم بذنوبهم

وخطاياهم وهم مغرورون فانهم لو نظروا بعين البصيرة علموا ان العلم علمان علم معاملة

وعلم مكاشفة وهو العلم بالله سبحانه وتعالى وبصفاته ولا بد من علوم المعاملة لتتم

الحكمة المقصودة وهي المعاملة بمعرفة الحلال والحرام ومعرفة اخلاق الناس المذمومة والمحمودة

ومثالهم مثال طبيب طبب غيره وهو عليل قادر على طب نفسه ولم يفعل وهل ينفع الدواء بالوصف

هيهات لا ينفع الدواء الا من شربه بعد الحمية وغفلوا عن قوله سبحانه وتعالى قد افلح من زكاها

وقد خاب من دساها ويقال من يعلم تزكيتها وكان اعلمها وعلمها الناس وغفلوا عن قوله

صلعم ان اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه وغير ذلك كثير وهؤلاء
مغرورون نعوذ بالله منهم وانما غلب عليهم حب الدنيا وحب الدنيا او حب الراحة في العاجلة
وظنوا ان علمهم ينجيهم في الاخيرة من غير عمل وفرقة اخرى احكموا العلم والعمل الظاهر
وتركوا المعاصي الظاهرة وغفلوا عن قلوبهم فلم يمحوا منها الصفات المذمومة عند الله كالكبر والرياء
والحسد وطلب الرياسة والعلو وارادة الثنا في الاقران والشركاء وطلب الشهرة في البلاد والعباد
وذلك غرور وسببه غفلتهم عن قوله صلعم الرياء الشرك الاصغر وقوله الحسد ياكل الحسنات
كما ياكل النار الحطب وقوله صلعم حب المال والشرف ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء
البقل الى غير ذلك من الاخبار وغفلوا عن قوله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم فغفلوا عن قلوبهم
واشتغلوا بظواهرهم ومن لا يصفي قلبه لا تصح طاعته وهو كمريض ظهر به الجرب فامر بالطلاء
وشرب الدواء فاشتغل بالطلاء وترك شرب الدواء فازال ما بظاهره ولم يزل ما بباطنه
واصل ما على ظاهره مما في باطنه فلا يزال جربه يزداد مما في باطنه استزاح الظاهر فكذلك الخبائث
اذا كانت كامنة في القلب يظهر اثرها على الجوارح وفرقة اخرى علموا هذه الاخلاق الباطنة
وعلموا انها مذمومة من وجه الشرع الا انهم لعجبهم بانفسهم يظنون انهم منفكون عنها وانهم
ارفع عند الله من ان يبتليهم بذلك وانما يبتلى به العوام دون من بلغ مبلغهم في العلم فاما
هم اعظم عند الله من ان يبتليهم فظهرت عليهم مخائل الكبر والرياسة وطلب العلو والشرف
وغرورهم انهم ظنوا ان ذلك ليس بكبر وانما هو عز الدين واظهار لشرف العلم ونصرة دين الله تعالى
وغفلوا عن فرح ابليس وعن نصرة النبي صلعم بماذا كانت وبما رغم الكافرين وغفلوا عن تواضع
الصحابة رضي الله عنهم اجمعين وتذللهم وفقرهم ومسكنتهم حتى عوتب عمر رضي الله عنه بذاذته
عند قدومه الى الشام فقال انا قوم اعزنا الله بالاسلام ونطلب العز في غيره ثم هذا المغرور
يطلب العز للدين بالثياب الرفيعة ويزعم انه يطلب عز الدين وشرفه ومنها اطلق اللسان
بالحسد في اقرانه وفي من اورد عليه شيئا ان ذلك حسد ويقول انما هو غضب للحق ورد على
المبطل في عداوته وظلمه فهو في هذا مغرور فانه لو طعن على غيره من العلماء من اقرانه ربما لم يغضب
وربما يفرح وان اظهر الغضب عند الناس ربما يظهر العلم ويقول غرضي به اقتداء الخلق وهو مراء لانه لو كان

الحق

انما يحبه

لو كان

لو كان غرضه صلاح الخلق لاحب صلاحهم على يد غيره ممن هو مثله او فوقه او دونه وربما
يدخل على السلطان ويتودد اليه ويثني عليه فاذا سئل عن ذلك قال انما غرضي ان انفع المسلمين
وادفع عنهم الضرر وهو مغرور ولو كان غرضه ذلك فرح به على يد غيره ممن هو مثله عند السلطان
يشفع في دفع الغصب وربما ياخذ من اموالهم فاذا خطر بباله انه حرام قال له الشيطان هذا مال لا مالك
له وهو لمصالح المسلمين وانت امام المسلمين وعالمهم وبك قوام الدين وهذه ثلث تلبيسات
احدها انه مال لا مالك له والثاني انه لمصالح المسلمين والثالث انه امام وهل يكون اماما الا من
اعرض عن الدنيا كالانبياء والصحابة ومثله قول عيسى عليه الصلوة والسلام العالم السوء كصخرة
وقعت في فم الوادي فلا هي تشرب الماء ولا تترك الماء يخلص الى الزرع واصناف غرور اهل العلم
كثيرة وما يفسده هؤلاء اكثر مما يصلحوه وفرقة اخرى احكموا العلم وطهروا الجوارح وزينوها
بالطاعات واجتنبوا ظاهر المعاصي وتفقدوا اخلاق النفس وصفات القلب من الرياء والحسد والكبر
والحقد وطلب العلو وجاهدوا انفسهم في التبري منها وقلعوا من القلب منابتها الجلية القوية
ولكنهم مغرورون اذ بقي في زوايا القلب من خفايا مكائد الشيطان وخفايا خدع النفس ما دق
وغمض فلم يفطنوا لها واهملوها ومثالهم كمثل من يريد تنقية الزرع من الحشيش فدار عليه وفتش
عن كل حشيش فقلعه الا انه لم يفتش عما لم يخرج راسه بعد من تحت الارض وظن ان الكل
قد ظهر وبرز فلما غفل عنها ظهرت وافسدت عليه الزرع فهؤلاء ان عثروا يغتروا فربما تركوا
مخالطة الخلق استكبارا عنهم وربما نظروا اليهم بعين الحقارة وربما اجتهد بعضهم في
تحسين نظمه لئلا ينظر اليه بعين الركاكة وفرقة اخرى تركوا المهم من العلوم واقتصروا
على علم الفتاوى في الحكومات والخصومات وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق
لمصالح المعايش وخصصوا اسم الفقيه وسموا الفقه علم المذهب وربما ضيعوا مع ذلك
علم الاعمال الظاهرة والباطنة ولم يتفقدوا الجوارح ولم يحرسوا اللسان من الغيبة والبطن
عن الحرام والرجل عن السعي الى السلاطين وكذا سائر الجوارح ولم يحرسوا قلوبهم عن الكبر والرياء
والحسد وسائر المهلكات وهؤلاء مغرورون من وجهين احدهما من حيث العمل وقد ذكرت العمل
وجه علاجه في الاحياء وان مثالهم مثل المريض يعلم الدواء من الحكماء ولم يعمله فهؤلاء مشرفون على الهلاك

من حيث انهم تركوا تزكية انفسهم وتحليتها واشتغلوا بكتاب الحيض والديات والدعاوى والظهار
واللعان وضيعوا اعمارهم فيها وانما غرهم تعظيم الخلق لهم واكرامهم ورجوع احدهم قاضي ومفتي
ويطلي كل واحد في صاحبه واذا اجتمعوا زاد الطغيان والثاني من حيث العلم وذلك لظنهم انه
لا علم الا بذلك وانه الموصل للنجاة وانما النجاة حب الله تعالى ولا يتصور حب الله الا بمعرفته ومعرفته
ثلثة معرفة الذات ومعرفة الصفات ومعرفة الافعال ومثال هؤلاء من اقتصر على بيع الزاد
في طريق الحاج ولم يعلم ان الفقه هو الفقه على الله تعالى ومعرفته وصفاته المحرقة والمرجوة ليشعر
القلب الخوف ويلازم التقوى كما قال الله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة الاية ومن هؤلاء
من اقتصر على علم الفقه على الخلافيات ولا يهمه الا العلم بطريق المجادلة والالزام وافحام الخصم
ودفع الحق لاجل المباهاة فهو طول الليل والنهار في التفتيش في مناقضات ارباب المذهب
والتفقد لعيوب الاقران وهؤلاء لم يقصدوا العلم وانما قصدوا مباهات الاقران ولو اشتغلوا
بتصفية قلوبهم كان خيرا لهم من علم لا ينفع الا في الدنيا ونفعه في الدنيا ليكثر وذلك ينقلب
في الاخرة نارا تلظى وادلة المذهب يشتمل عليها كتاب الله وسنة رسول الله صلعم وما اقبح غرور
هؤلاء وفرقة اخرى اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة والرد على المخالفين ومناقضاتهم واستكثروا من
علم المقالات المختلفة واشتغلوا بتعلم الطريق في مناظرة اولئك وافحامهم ولكنهم على فرقتين الفرقة
الواحدة مضلة والفرقة الاخرى محقة اما غرور الفرقة الضالة فلغفلتها عن ضلالتها وظنها
بنفسها النجاة فهم فرق كثيرة يكفر بعضهم بعضا وانما ضلوا من حيث انهم لم يحكموا شروط الادلة
ومناهجها فرأوا الشبهة دليلا والدليل شبهة واما غرور المحقة فمن حيث انهم ظنوا بالجدل انه اهم
الامور وافضل القربات في دين الله تعالى وزعمت انه لا يتم لاحد دينه ما لم يفحص ويبحث وان من
صدق الله تعالى من غير بحث وتحرير دليل فليس بمؤمن كامل ولا بمقرب عند الله ولم يلتفتوا الى القرن
الاول وان النبي صلعم شهد لهم بانهم خير الخلق ولم يطلب منهم الدليل كما روى ابو امامة عن النبي صلعم
وفرقة اخرى اشتغلوا بالوعظ واعلاهم رتبة من يتكلم في اخلاق النفس وصفات القلب من الخوف
والرجاء والصبر والشكر والتوكل والزهد واليقين والاخلاص والصدق وهم مغرورون لانهم
يظنون بانفسهم اذا تكلموا بهذه الصفات ودعوا الخلق اليها فقد اتصفوا بها وهم منفكون

عنها

عنها الا عن قدر يسير لا ينفك عنه عوام المسلمين وغرور هؤلاء اشد الغرور لانهم يعجبون بانفسهم غاية الاعجاب ويظنون انهم ما ترقوا في علم المحبة الا وهم محبون لله تعالى وما قدروا على تحقيق دقايق الاخلاص الا وهم مخلصون ولا وقفوا على خفايا عيوب النفس الا وهم عنها منزهون وكذلك جميع الصفات ومنهم احب في الدنيا الشهرة حرصه على الدنيا وقوة رغبته فيها ويحث على الاخلاص وهو غير مخلص ويظهر الدعاء الى الله تعالى وهو منه فار ويخوف بالله وهو منه آمن ويذكر بالله وهو له ناس ويقرب الى الله وهو منه متباعد ويذم الصفات المذمومة وهو بها متصف ويصرف الناس عن الخلق وهو على الخلق اشدهم حرصا لو منع عن مجلسه الذي يدعو فيه الناس لضاقت عليه الارض ويزعم ان غرضه اصلاح الخلق ولو ظهر من اقرانه من اقبل الخلق عليه ومن صلحوا على يديه لمات غما وحسدا ولو اثنى واحد من المترددين اليه على بعض اقرانه لكان اعظم خلق الله تعالى اليه فهؤلاء اعظم الناس غرة وابعدهم عن التنبه والرجوع الى السداد وفرقة اخرى منهم عدلوا عن المنهج الواجب في الوعظ وهم وعاظ اهل الزمان كافة الا من عصمه الله تعالى فاشتغلوا بالطامات والشطح وتلفيق كلمات خارجة عن قانون الشرع والعدل طلبا للاغراب وطائفة اشتغلوا بطيارات النكت وتسجيع الالفاظ وتلفيقها وهمتهم في الاسجاع والاستشهاد باشعار الوصال والفراق وغرضهم ان يكثر في مجلسهم الزعاق والتواجد ولو على اغراض فاسدة فهؤلاء شياطين الانس ضلوا واضلوا فان الاولين ان لم يصلحوا انفسهم فقد اصلحوا غيرهم وصححوا كلامهم ووعظهم واما هؤلاء فانهم يصدون عن سبيل الله ويجرون الخلق الى الاغراض والمغرور بالله بلفظ الجراءة فيزيدهم كلا منهم جراءة على المعاصي ورغبة في الدنيا لا سيما اذا كان الواعظ متزينا بالثياب والخيل والمراكب وتقنيطهم من رحمة الله تعالى حتى ييسوا من رحمة الله وفرقة اخرى منهم قنعوا بكلام الزهاد واحاديثهم في ذم الدنيا فيعيد وبنها على نحوها يحفظ من كلام حفظوه من غير احاطة بمعانيه فيعظهم بفعل ذلك على المنابر وبعضهم في المحاريب وبعضهم في الاسواق مع الجلسا ويظن انه ناج عند الله وانه مغفور له بحفظه لكلام الزهاد مع خلوه عن العمل وهؤلاء اشد غرورا ممن كان قبلهم وفرقة اخرى شغلوا اوقاتهم في علم الحديث اعني في سماعه وجمع الروايات الكثيرة منه وطلب الاسانيد الغريبة الغالية فهمة احدهم ان يدور في البلاد ويرى الشيوخ ليقول انا اروي عن فلان ولقيت فلانا ومعي من الاسانيد ما ليس مع غيري وغرورهم من وجوه منها انهم كحملة الاسفار فانهم لا يصرفون العناية الى فهم

ص

من اظهر الزهد في الدنيا

السنة وتدبر معانيها وانهم قاصرون على النقل ويظنون ان ذلك تكفيهم وهيهات بل المقصود

من الحديث فهمه وتدبر معاني الحديث فالاول في الحديث السماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر

وهؤلاء اقتصروا على السماع ثم لم يحكموه وان كان فائدة الاقتصار عليه والحديث في هذا الزمان

يقرأه الصبيان وهم غرة غافلون والشيخ الذي يقراء عليه ربما كان غافلا لا يتصفح الحديث

ولا يعلم وربما ينام ويروى عنه الحديث وهو لا يعلم وكل ذلك غرور وانما الاصل في سماع

الحديث ان يسمعه من رسول الله صلعم او من الصحابة رضوان الله عليهم او من التابعين ويصير

سماعه من الصحابة كسماعه من رسول الله صلعم وهو ان يصغي ويحفظ ويرويه كما حفظه

حتى لا يشك في حرف واحد منه وان شك فيه لم يجز له ان يرويه او يعيبه به ويخطائه

ان اخطاء وحفظ الحديث يكون بطريقين احدها بالقلب مع الاستدامة بالتكرار والذكر

والثاني يكتب كما يسمع ويصحح المكتوب ويحفظ كيلا يصل اليه يد من يغيره ويكون حفظ

الكتاب او يكون في خزانته محروسا حتى لا تمتد اليه غيره اصلا ولا يجوز ان يكتب سماع

الصبي في المهد وللسماع شروط كثيرة والمقصود من الحديث العمل به ومعرفته وله مفهومات

كثيرة كما للقرآن روى عن بعض المشايخ انه حضر مجلس السماع وكان اول حديث سمعه قوله

صلعم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فقام وقال يكفيني هذا حتى فرغ ثم اسمع غيره

فهكذا يكون سماع الاكياس وهو ابو سعيد ابن اخي الحلبي المنتهى حضر في مجلس زاهد ابن احمد

السرخسي وفرقة اخرى اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر وغريب اللغة واغتروا به

وزعموا انه غفر لهم وانهم من علماء الامة اذ قوام الدين والسنة بعلم اللغة والنحو فافنوا

اعمارهم في دقائق النحو واللغة وذلك غرور فلو عقلوا لعلموا ان لغة العرب كلغة الترك

المضيع عمره في لغة العرب كالمضيع عمره في لغة الترك والهند وانما فارقها لورود

الشرع فيكفي في اللغة علم الغريبة في الاحاديث والكتاب ومن النحو ما يتعلق بالحديث

والكتاب واما التعمق فيه الى درجة لا تتناهى فهي فضول مستغنى عنه الصنف الثاني

من المغرورين ارباب العبادات والاعمال والمغرورون منهم فرق كثيرة فمنهم من غروره في الجهاد

ومنهم من غروره في الزهد فمنهم فرقة اهملوا الفرائض واشتغلوا بالفضائل والنوافل

وكما تعمقوا حتى خرجوا الى السرف والعدوان كالذى تغلب عليه الوسوسة فى الوضوء فيبالغ فيه ولو يرضى الماء المحكوم بطهارته فى فتاوى الشرع وتعدّ الاحتمالات البعيدة قريبة فى النجاسة واذا آل الامر الى اكل الحلال قدّر الاحتمالات القريبة البعيدة وربما اكل الحرام المحض ولو انقلب هذا الاحتياط من الماء الى الطعام لكان اولى واشبه بسيرة الصحابة رضى الله عنهم اذ توضأ عمر رضى الله عنه بماء فى جرة نصرانية مع ظهور احتمال النجاسة وكان مع هذا يدع ابوابا من الحلال خوفا من الوقوع فى الحرام وفرقة اخرى غلبت عليهم الوسوسة فى نية الصلوة فلا يدعه الشيطان يعتقد نية صحيحة بل يوسوس عليه حتى تفوته الجماعة وتخرج الصلوة عن الوقت وان تم تكبيرة الاحرام فيكون فى قلبه تردد فى صحة نية وقد يتوسوس فى التكبير فيكون قد يغير صفة التكبير لشدة الاحتياط ويفوته سماع الفاتحة ويفعلون ذلك فى اول الصلوة ثم يغفلون فى جميع الصلوة ولا يحضرون قلوبهم ويغترون بذلك ولم يعلموا ان حضور القلب فى الصلوة هو واجب لهم وانما غرهم ابليس وزين لهم وقال هذا الاحتياط تتميزون به عن العوام وانتم على خير من عند ربكم وفرقة اخرى غلبت عليها الوسوسة فى اخراج حروف الفاتحة وسائر الاذكار من مخارجها فلا يزال يحتاط فى التشديدات والفرق بين الضاد والظاء بهمة على ذلك ولا يتفكرون فى اسرار الفاتحة ولا فى معانيها ولا يعلم انه لم يكلف الخلق فى تلاوة القرآن من تحقيق مخارج الحروف الا ما جرت به عادتهم فى الكلام وهذا غرور عظيم ومثالهم مثال من حمل رسالة الى مجلس السلطان وامر ان يؤديها على وجهها فاخذ يؤدى الرسالة ويتأنق فى مخارج الحروف ويكررها ويعيدها مرة بعد اخرى وهو مع ذلك غافل عن مقصود الرسالة ومراعى حرمة المجلس وهذا يرد الى دار المجانين ويحكم عليه بفقد العقل وفرقة اخرى اغتروا بقراءة القرآن فيهذرونه هذرا وربما يختمون فى اليوم والليلة ختمة والسنتهم تجرى به وقلوبهم تتردد فى اودية الامانى والتفكر فى الدنيا ولا يتفكرون فى معانى القرآن لينزجر بزواجره ويتعظ بمواعظه ويقف عند اوامره ونواهيه ويعتبر بمواضع الاعتبار منه ويتلذذ به من حيث المعنى لا من حيث النظم ومن قرأ كتاب الله تعالى فى اليوم والليل مائة مرة ثم ترك اوامره ونواهيه فهو مستحق للعقوبة وربما قد يكون له صوت طيب فهو يقرأ ويتلذذ به ويغتر باستلذاذه ويظن ان ذلك مناجاة الله تعالى وسماع كلامه وهيهات

فيه هذرمون هذرمة

ما بعده اذ لذته في صوته ولو ادرك لذة كلام الله تعالى ما نظر الى صوته ولا وقته ولا تعلق
خاطره ولذة كلام الله تعالى انما هي من حيث المعنى وفرقة اخرى اغتروا بالصوم وربما صاموا الدهر
وصاموا الايام الشريفة وهم فيها لا يحفظون السنتهم من الغيبة ولا خواطرهم من الرياء وبطونهم
من الحرام عند الافطار ولا من الهذيانات من انواع الفضول وذلك غرور عظيم وهولاء تركوا الواجب
واتبعوا المندوب وظنوا انهم يسلمون وهيهات انما يسلم من اتى الله بقلب سليم وفرقة اخرى
اغتروا بالحج من غير خروج بالزاد الحلال وربما يضيعون الصلوة المكتوبة في الطريق ويعجزون
عن طهارة الثوب والبدن ويتعرضون لمكس الظلمة حتى يوخذ منه ولا يحترزون في الطريق
وهو يطلب به الرياء والسمعة فيعصي الله في كسب الحرام اولا وفي انفاقه للرياء ثانيا ثم يحضر
البيت بقلب ملوث برذائل الاخلاق وذميم الصفات وهو مع ذلك يظن انه على خير من ربه
وهو مغرور وفرقة اخرى اخذت في طريق الحسبة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر باشر
ينكر على الناس ويامرهم بالخير وينسى نفسه واذا امرهم بالخير عنف وطلب الرياسة والعز واذا
باشر منكرا فانكر عليه غضب وقال انا المحتسب فكيف ينكر علي وقد يجمع الناس في مجلسه او
مسجده ومن تأخر عنه غلظ عليه القول وانما غرضه الرياء والرياسة وعلامته انه لو قام بالمسجد
غيره لحرد عليه بل منهم من يوذن ويظن انه يوذن لله تعالى ولو جاء غيره واذن في وقت
غيبته قامت عليه القيامة وقال لم اخذت حقي وزحمت وكذلك قد يتقلد امامة المسجد ويظن
انه على خير وانما غرضه ان يقال انه امام المسجد وعلامته انه لو قدم غيره وان كان اورع منه
واعلم ثقل عليه ذلك وفرقة اخرى جاوروا بمكة والمدينة واغتروا بهما ولم يراقبوا قلوبهم
ولم يطهروا ظواهرهم وبواطنهم وربما كانت قلوبهم متعلقة ببلادهم وتراهم يتحدثون بذلك
ويقولون جاورت بمكة كذا وكذا سنة وهذا الغرور لان الاولى ان يكون ببلده وقلبه متعلق
بمكة وان جاور فيحفظ حق الجوار فان جاور بمكة حفظ حق الله تعالى وان جاور رسول الله بالمدينة
حفظ حق رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن لم يقدر على ذلك وهولاء مغرورون بالظواهر وظنوا
ان المجاورة تنجيهم وهيهات وربما لا تسمح نفسه بلقمة يتصدق بها على فقير وما اصعب المجاورة
في حق الخلق فكيف مجاورة الخالق ولهذا ما احسن من يجاور ربه ويحفظ جوارحه وقلبه وفرقة اخرى

زهدت في المال وقنعت من الطعام واللباس بالدون ومن المسكن بالمساجد وظنت انها ادركت
رتبة الزهاد وهم مع ذلك راغبون في الرياسة والجاه والزهادة انما تحصل باحد اشياء اما
بالعلم او بالوعظ او بمجرد الزهد فقد تركوا اهون الامور وباؤا باعظم المهلكات فان الجاه
اعظم من المال ولو اخذ المال وترك الجاه كان الى السلامة اقرب فهؤلاء مغرورون بظنهم
انهم من الزهد في الدنيا ولم يفهموا مكر الدنيا وربما تقدم الاغنياء الفقراء ومنهم من يعجب بعمله
ومن يؤثر الخلوة وهو عن شروطها خال ومنهم من يعطى له المال ولا ياخذه خيفة ان يقال بطل زهده
وهو راغب في الدنيا خائف من ذم الناس ومنهم من يشدد على نفسه في اعمال الجوارح حتى يصلي
في اليوم والليلة مثلا الف ركعة ويختم القران وهو في جميع ذلك لا يخطر له مراعات القلب
وتفقده وتطهيره من الرياء والكبر والعجب وسائر المهلكات وربما يظن ان العبادات الظاهرة
ترجح بها كفة الحسنات وهيهات ذرة من ذي تقوى وخلق واحد من خلق الاكياس افضل من امثال
الجبال عملا بالجوارح ثم قد يغتر بقول له انك من اوتاد الارض واولياء الله واحبائه فيفرح بذلك
ويظهر له تزكية نفسه ولو شوتم يوما واحدا ثلث مرات او مرتين لكفر وجاحد من فضل ذلك ربه وربما
قال لمن سبه لا يغفر الله لك ابدا وفرقة اخرى حرصت على النوافيل ولم يعظم اعتدادها بالفرايض
فتارة يفرح بصلوة الضحى وصلاة الاوابين وامثال هذه النوافيل لا يجد لصلوة الفريضة لذة ولا حيرا من الله نقاء
لشدة حرصه على المبادرة بها في اول الوقت وينسى قوله قوله صلى الله عليه وسلم ما يتقرب الى المتقربون
بافضل من اداء ما افترضته وترك الترتيب من الخيرات من جملة الشرور وربما يتعين على الانسان فرضان
احدهما يفوت والاخر لا يفوت او نفلان احدهما يضيق وقته والاخر يتسع وقته فان لم يحفظ
الترتيب كان مغرورا ونظائر ذلك اكثر من ان يحصى فان المعصية ظاهرة وانما الفاضل لوجه
تقديم بعض الطاعات على بعض كتقديم الفرايض كلها على النوافيل وتقديم الفروض الاعيان على
فروض الكفايات التي لا قائم بها على ما قام بها غيره وتقديم الاهم من فروض الاعيان على ما دونه
وتقديم ما يفوت مثل ما تقديم حق الوالدة على الوالد وتقديم نفقة الابوين على الحج وتقديم
الجمعة اذا حضر وقتها على الظهر وتقديم الدين على فروض غيره وما اعظم للعبدان يتفقد ذلك
وتنبه له ولكن الغرور في الترتيب دقيق خفي لا يقدر عليه الا العلماء الراسخون في العلم

ارباب الاموال والمغرورون م

الصنف الثالث من المغرورين منهم فرق ففرقة منهم يحرصون على بناء المساجد والمدارس والرباطات والصهاريج للماء وما يظهر للناس ويكتبون اسمائهم بالاجر عليه ليتخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت اثرهم وهم يظنون انهم استحقوا المغفرة بذلك وقد اغتروا فيه من وجهين احدهما انهم قد اكتسبوها من الظلم والشبهات والرشى والجهات المحظورة فهم قد تعرضوا لسخط الله تعالى في كسبها فالواجب عليهم التوبة وردها الى ملاكها ان كانوا احيا او الى ورثتهم فان لم يبق منهم احد وانقرضوا فالواجب صرفها في اهم المصالح وربما يكون الاهم التفرقة على المساكين واي فائدة في بنيان يستغني عنه ويموت ويتركه وانما غلب على هؤلاء الرياء والشهرة ولذة الاخلوص وقصد الخير في الانفاق وعلو الابنية ولو كلف واحد منهم ان ينفق دينارا على مسكين لم تسمح نفسه بذلك لان حب المدح والثنا مستكن في باطنه وفرقة اخرى ربما اكتسبوا المال الحلال واجتنبوا الحرام وانفقوه على المساجد وهي ايضا مغرورة من وجهين احدهما الرياء وطلب السمعة والثناء فانه ربما يكون في جواره او بلده فقراء وصرف المال اليهم اهم فان المساجد كثيرة والغرض الجامع وحده فيجزئ عن غيره وليس الغرض بناء مسجد في كل سكة وفي كل درب والمساكين والفقراء محتاجون وانما خفا عليهم دفع المال في بناء المسجد لظهور ذلك بين الناس ولما يسمع من الثناء عليه من عند الخلق فيظن انه يعمل لله وهو يعمل لغير الله تعالى والله اعلم بذلك

في زخرفة المساجد وتزيينها بالنقوش المنهي عنها الشاغلة قلوب المصلين لانهم ينظرون اليها وتشغلهم عن الخشوع في الصلوة وعن حضور القلب وهو المقصود وكلما طرا على المصلين في صلوتهم وفي غير صلاتهم فهو في رقبة الباني للمسجد اذ لا يحل تزيين المسجد بوجه قال الحسين رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اراد ان يبني مسجده بالمدينة اتاه جبريل وقال ابنه سبعة اذرع طوله في السماء ولا تزخرفه ولا تنقشه وغرور هؤلاء رءوا المنكر معروفا واتكلوا عليه

وفرقة اخرى ينفقون الاموال في الصدقات على الفقراء والمساكين ويطلبون به المحافل الجامعة ومن الفقراء من عادتهم الشكر والافشاء بالمعروف ويكرهون

مجامع

المتصدق

التصدق في السر ويرون اخفاء الفقير لما يأخذه منهم خيانة عليهم وكفرانا وربما تركوا
جيرانهم جايعين ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما في اخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب
يهون لهم السفر ويبسط لهم في الرزق ويرجعون محرومين مسلوبين يهوي باحدهم
بعيره بين القفار والرمال وجاره مأسور الى جنبه فلا يواسيه ولا يتفقده وفرقة اخرى
من ارباب الاموال يحفظون الاموال ويمسكونها بحكم البخل ويشتغلون بالعبادات البدنية
التي لا يحتاجون فيها الى نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم القرآن وهم مغرورون لان
البخل المهلك قد استولى على باطنهم فهم محتاجون الى قمعه باخراج المال فاشتغلوا بطلب
فضائل وهم مستغنون عنها ومثالهم مثال من دخلت في ثوبه حية وقد اشرف على الهلاك
وهو مشغول بطلب السكنجبين ليسكن به الصفراء ومن لدغته حية كيف يحتاج الى ذلك
ولذلك قيل لبشر ان فلانا كثير الصوم والصلوة فقال المسكين ترك حاله ودخل في حال غيره
وانما حال هذا اطعام الطعام للجايع والانفاق على المساكين فهو افضل له من تجويع نفسه ومن
صلوته مع جمعه الدنيا ومنعه للفقراء وفرقة اخرى غلب عليهم البخل فلا تسمح نفوسهم الا
باداء الزكوة فقط ثم انهم يخرجونها من المال الخبيث الردي الذي يرغبون عنه ويطلبون
من الفقراء من يخدمهم ويتردد في حاجاتهم او من يحتاجون اليه في المستقبل لاستسخار لهم
في الخدمة ومن لهم فيه على الجملة غرض ويسلمونها الى شخص بعينه واحد من الكبار ممن
يستظهر بحشمة لينال بذلك عنده منزلة فيقوم بحاجته وكل ذلك مفسد للنية و
محبط للعمل وصاحبه مغرور يظن انه مطيع لله تعالى وهو فاجر اذ يطلب بعبادة
الله عوضا من غيره فهذا وامثاله مغرورون بالاموال وفرقة اخرى من عوام الخلق
وارباب الاموال والفقراء اغتروا بحضور مجالس الذكر واعتقدوا ان ذلك يغنيهم
ويكفيهم فاتخذوا ذلك عادة ويظنون ان لهم على مجرد سماع الوعظ دون العمل ودون
الاتعاظ اجرا وهم مغرورون لان فضل مجالس الذكر لكونها مرغبة في الخير فاذا لم يهيج
الرغبة فلا خير فيها والرغبة محمودة لانها تبعث على العمل وربما يغتر بما يسمعه من الوعظ
وربما يداخله رقة كرقة النساء فيبكي وربما يسمع كلاما مخوفا فلا يزال يصفق بين يديه

ويقول يا سلام سلم ونعوذ بالله وسبحان الله وحسبي الله ولا حول ولا قوة الا بالله ويظن
وانه قد اتى بالخير كله وهو مغرور وانما مثاله مثال المريض الذي يحضر الى مجالس الاطباء فيسمع
ما يصفونه من الادوية ولا يفعلها ولا يشتغل بها ويظن انه يجد الراحة بذلك والجائع الذي
يحضر عند من يصف له الاطعمة اللذيذة فكل وعظ لا يغير منك صفة تغيير تغير بدونها
افعالك حتى تقبل الى الله تعالى وتعرض عن الدنيا وتقبل اقبالا قويا وان لم تفعل فذلك الوعظ
عظ زيادة حجة عليك فاذا رايته وسيلة لك كنت مغرورا الصنف الرابع من المغرورين
المتصوفة وما اغلب الغرور على هؤلاء المغرورين منهم متصوفة اهل الزمان الا من عصمه
الله تعالى اغتروا بالزي والمنطق والهيئة فشابهوا الصادقين من الصوفية في زيهم
وهيئتهم والفاظهم وادابهم ومراسمهم واصطلاحاتهم واحوالهم الظاهرة في السماع
والرقص والطهارة والصلوة والجلوس على السجادة مع اطراق الراس وادخاله في الجيب
كالمتفكر في تنفس الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث وفي الصياح الى غير ذلك فلما تعلموا
ذلك ظنوا ان ذلك ينجيهم ولم يتعبوا انفسهم قط بالمجاهدة والرياضة والمراقبة
للقلب وتطهير الباطن والظاهر من الاثام الخفية والجلية وكل ذلك من منازل التصوف
ثم انهم يتكالبون على الحرام والشبهات واموال السلاطين ويتنافسون في الرغيف
والفلس والحبة ويتحاسدون على النقير والقطمير ويمزق بعضهم اعراض بعض مهما
خالفه في شيء من غرضه وهؤلاء غرورهم ظاهر ومثالهم مثال عجوز سمعت ان الشجعان
والابطال والمقاتلين تثبت اسماؤهم في الديوان فتزينت بزيهم ووصلت الى الملك
فعرضت عليه ميزان العرض فوجدت عجوزا سوءا فقيل لها اما تستحيي من استهزائك
بالملك اطرحوها حول الفيل فدكها حتى ماتت وفرقة اخرى ازدادت على هؤلاء
في الغرور اذ صعب عليها الاقتداء في بذاذة الثياب والرضاء بالدون في المطعم والمنكح
والمسكن وارادت ان تتظاهر بالتصوف ولا بد من التزي بزيهم فتركت الخز والابريسم
وطلبت المرقعات النفيسة والفوط الرفيعة والسجادة المصبوغة وقيمتها اكثر
من قيمة الخز والابريسم ولا يجتنبون معصية ظاهرة فكيف باطنه واغا غرضهم رغد

العيش

العيش واكل الاموال السلاطين وهم مع ذلك يظنون بانفسهم الخير وضرر هؤلاء على المسلمين اشد من ضرر اللصوص لان هؤلاء يسرقون القلوب بالزي ويقتدي بهم الغير فيكونون سبب هلاكهم فان اطلع على فضايحهم وبواطن اهل التصوف كذلك فيصرح بذم الصوفية على الاطلاق وفرقة اخرى ادعت علم المكاشفة ومشاهدة الحق ومجاورة المقامات والوصل والملازمة في عين الشهود والوصول القرب ولا يعرف ذلك ولا وصل اليه الا باللفظ والاسم فتلقف من الالفاظ الطامة كلمات فهو يرددها ويظن ان ذلك من اعلى علم الاولين والاخرين فهو ينظر الى الفقراء والمقربين والمحدثين واصناف العلماء بعين الازدراء فضلا عن العوام حتى ان الفلاح ليترك فلاحته والحايك حياكته ويلازم اياما معدودة ويتلقف تلك الكلمات الزايفة ويراه يرددها كانه يتكلم عن الوحي يخبر عن اسرار الاسرار يستحقر بذلك جميع العباد والعلماء فيقول في العباد اجراء متعوبون ويقول في العلماء انهم بالحديث محجوبون ويدعي لنفسه انه الواصل بالحق للحق وانه من المقربين وهو عند الله من الفجار المنافقين وعند ارباب القلوب من الحمقاء الجاهلين لم يحكم قط علما ولا يهذب خلقا ولم يرتب علما ولم يراقب قلبا سوى اتباع الهوى وتلقف الهذايانات ولو اشتغلوا بما ينفعهم كان احسن لهم وفرقة اخرى جاوزت هؤلاء فاحسنت الاعمال وطلبت الحلال واشتغلت بتفقد القلب وصار احدهم يدعي المقامات من الزهد والتوكل والرضى والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلامتها وافاتها فمنهم من يدعي الوجد وحب الله ويزعم انه واله بالله تعالى قبل معرفته وذلك لا يتصور قط ثم انه لا يخلو من مقارفة ما يكره الله تعالى وايثار هوى نفسه على امر الله تعالى وعن ترك بعض الامور حياء من الخلق ولو خلا لما تركها حياء من الله تعالى وليس يدري ان كل ذلك يناقض الحب وبعضهم ربما يميل الى القناعة والتوكل فيخوض البوادي بلا زاد ليصحح التوكل وليس يدري ان ذلك بدعة لم ينقل عن السلف السلف والصحابة رضي الله تعالى عنهم وقد كانوا اعرف بالتوكل منه ما فهموا من التوكل المخاطرة بالروح وترك الزاد بل كانوا ياخذون الزاد وهم متوكلون على الله تعالى لا على الزاد وهذا ربما ترك الزاد

وهو متوكل على سبب من الاسباب واثق به وما مقام من المقامات المنجية الا وفيها غرور
وقد اغتر بها قوم وقد ذكرنا مداخل الآفات فيها في ربع المنجيات وفرقة اخرى ضيقت على
انفسها من القوت طلبت منه الحلال الخالص واهملت تفقد القلب والجوارح من غير هذه الخصلة
الواحدة ومنهم من اهمل الحلال في مطعمه وملبسه ومكسبه يتعمق في ذلك لم يدر المسكين ان الله
تعالى لم يرض من العباد الا بالكمال والطاعات فمن اتبع البعض واهمل البعض فهو مغرور
وفرقة اخرى ادعت حسن الخلق والتواضع والسماحة فتصدوا لخدمة الصوفية فجمعوا قوما
وتكلفوا خدمتهم واتخذوا ذلك شبكة للحطام وجمعا للمال وانما غرضهم الارتفاق وغرضهم
الاستتباع وهم يظهرون ان غرضهم الخدمة والتبعية ثم انهم يجمعون من الحرام والشبهات
لينفقوا عليهم ليكثر اتباعهم وينشر بالخدمة اسمهم وبعضهم ياخذ من السلطان وينفق عليهم
وبعضهم من ياخذ لينفق في طريق الحج على الصوفية ويزعم ان غرضه البر والانفاق وباعث
جميعهم الرياء والسمعة وذلك اهمالهم لجميع اوامر الله تعالى ظاهرا ورضاهم باخذ الحرام والانفاق
منه ومثال ذلك كالذي ينفق المال الحرام في طريق الحج لمن يعمر مسجد الله تعالى ويطينها بالعذرة
ويزعم ان قصده العمارة وفرقة اخرى اشتغلت بالمجاهدة وتهذيب الاخلاق وتطهير
النفس من عيوبها وصاروا يتعمقون فيها فاتخذوا البحث عن عيوب النفس ومعرفة
خداعها علما وحرفة لهم فهم في جميع احوالهم مشتغلون بالحفظ عن عيوب النفس واستنباط
دقيق الكلام في آفاتها فيقولون هذا في النفس عيب والغفلة في كونه عيبا عيب ويستغرقون
فيه بكلمات مسلسلة وضيعوا في ذلك اوقاتهم كانهم وقفوا مع انفسهم ولم يتعلقوا
بخالقهم ومثالهم مثال من اشتغل باوقات الحج وعوائقه ولم يسلك طريق الحج وذلك
لم يغنه عن الحج وفرقة اخرى جاوزت هذه الرتبة وابتدؤوا سلوك الطريق وانفتحت
لهم ابواب المعرفة فلما شموا من مبادي المعرفة رائحة تعجبوا منها وفرحوا بها
واعجبتهم غرائبها فتعلقت قلوبهم بالالتفات اليها والتفكر فيها وفي كيفية انفتاح
بابها عليهم وانسدادها على غيرهم وكل ذلك غرور لان عجائب طريق الله تعالى ليس
لها نهاية فمن وقف مع كل اعجوبة وتقيد بها قصر خطاه وحرم الوصول الى المقصد

ومثاله

١٥٥

ومثاله مثال من قدم على ملك فرأى على باب ميدانه روضة فيها ازهار وانوار ولم يكن قد راها
قبل ذلك ولا راى مثلها فوقف ينظر اليها حتى فاته الوقت الذي يمكنه فيه لقاء الملك فانصرف
خائبا وفرقة اخرى جاوزت هؤلاء ولم تلتفت الى ما يفيض عليها من الانوار في الطريق ولا الى
ما يتيسر لهم من العطايا الجزيلة ولم يلتفتوا اليها ولا عن حواليها بل كانوا جادين في السير فلما
قاربوا الوصول ظنوا انهم وصلوا فوقفوا ولم يتعدوا ذلك وغلطوا فان لله تعالى
سبعين حجابا من نور وظلمة ولا يصل السالك الى حجاب من تلك الحجب ويظن انه قد
وصل واليه الاشارة بقوله تعالى اخبارا عن ابرهيم عليه افضل الصلوة والسلام اذ قال
فلما جن عليه الليل راى كوكبا الآية وما اكثر في هذا المقام فاقل حجاب بين العبد
وربه نفسه فانه امر رباني عظيم ونور من انوار الله تعالى اعني سر القلب الذي بها يتجلى
حقيقة الحق كما هي حتى انه يسع بجملة العالم كله ومحيط به صور الكل وعند ذلك مشرق
نوره اشراقا عظيما اذ يظهر فيه الوجود كله على ما عليه وهو في اول الامر محجوب بمشكاة
هي الساترة فاذا تجلى نوره وانكشف جمال القلب بعد اشراق نور الله تعالى عليه ربما
التفت صاحب القلب الى القلب فراى من جماله الفايق ما يدهشه فربما صرح وقال
انا الحق فان لم يتضح له ما وراء ذلك ووقف عنده هالك وبهذا الغلط نظر النصارى
الى المسيح عليه الصلوة والسلام لما روا من اشراق نور الله تعالى عليه فغلطوا كمن راى
كوكبا في مرآت او في ماء فيظن ان الكوكب في المراة او في الماء فيمد يده اليه ليأخذه
فهو مغرور وانواع الغرور في طريق السلوك الى الله تعالى لا تحصى في مجلدات ولا يستقصي
الا بعد شرح جميع العلوم الخفية وذلك مما لا رخصة في ذكره وقد يجوز اظهارها
حتى لا يقع المغرور فيها وبالله التوفيق تمت كلام الفصيح باذن حرى

بسم الله الرحمن الرحيم كالك شرك خفي وما يبقى توحيدك
الا اذا خرجت عنك وكلما اخلصت يكشف لك انه هو لا انت
فتستغفر منك وكلما وحدت بان لك الشرك فتجدد في كل ساعة
ووقت توحيدا وايمانا وكلما خرجت منهم زاد ايمانك وكلما خرجت
منك زاد يقينك يا اسير الشهوات والعبادات يا اسير المقامات والمكاشفات
انت مغرور وانت مشتغل بك عنه اين الاشتغال به عنك عز وجل
حاضر ناظر هو معكم اينما كنتم في الدنيا والاخرة اذا كنت معه حجبك
عنك واذا كنت معك استعبدك له الايمان خروجك عنهم واليقين عنهم
خروجك عنك اذا زاد ايمانك نقلت من حال الى حال واذا زاد يقينك
نقلت من مقام الى مقام الشريعة لك حتى تطلبه منه لك والحقيقة
حتى تطالبه لك به عز وجل حيث لا حيث ولا اين فالشريعة حدود
وجهات والحقيقة لا حد ولا جهة القايم مع الشريعة فقط تفضل عليه
بالمجاهدة والقايم بالحقيقة تفضل عليه بالمنة وشتان ما بين المجاهدة
والمنة القايم مع المجاهدة موجود والقايم مع المنة مفقود الاعمال
متعلقة بالشرع والتوكل متعلق بالايمان والتوحيد متعلق بالكشف
الناس تايهون عن الحق بالعقل وعن الاخرة بالهوى فمتى طلبت

الحق

١٥١

الحق بالعقل ضالت ومتى طلب الآخرة بالهوى ضالت المؤمن ينظر بنور الله

تعالى والعارف ينظر به اليه مادمت انت معك امرناك فاذا فنيت

عنك توليناك ما تولاهم الا بعد فنائهم مادمت انك انت انت فانت مريد

فاذا افناك عنك فانت مراد اليقين الادوم غيبة عنك ووجود به

كم بين ما يكون به ان كنت بأمره حضعت لك الاسباب وان كنت به تضعضعت

لك الاكوان اول المقامات الصبر على مراده واوسطها الرضاء بمراده

واخرها ان تكون بمراده العلم طريق الى العمل والعمل طريق العلم والعلم طريق

المعرفة والمعرفة طريق الكشف والكشف طريق الفنى ما صلحت ما دام فيك

بقية لسواه اذا حولت السوى افنيناك عنك فصلحت لنا فاودعناك

سرنا اذا المريبق عليك حركة لنفسك كمل يقينك واذا المريبق وجود

كمل توحيدك اهل الباطن مع اليقين واهل الظاهر مع الايمان فمتى

تحرك قلب صاحب اليقين نقض يقينه ومتى لم يخطر له خاطر كمل يقينه

ومتى تحرك صاحب الايمان بغير الامر نقض ايمانه ومتى تحرك بالامر

كمل ايمانه معصية اهل اليقين كفر ومعصية اهل الايمان نقض المتقي

مجتهد والمحب متكل والعارف ساكن والموجود مفقود لا سكون

لا سكون لتقي ولا حركة لمحب ولا عزم لعارف ولا وجود لموجود وما تحصل

المحبة الا بعد اليقين المحب الصادق قد حلا قلبه بما سواه وما دام عليه

بقية لسواه فهو ناقص المحبة من تلذذ بالبلاء فهو موجود ومن تلذذ بالنعماء

فهو موجود فاذا افناهم عنهم ذهب التلذذ بالبلاء والنعماء المحب انفاسه

حكمة والمحبوب انفاسه قدرة العبادات للمعاوضات والمحبة للقربات

اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على

قلب بشر لما اراد وليّ ان اعطيتهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت اذا افناك

عنك بالحكم وعن ارادتك بالعلم تصير عبدا صرفا لا اهواء ولا ارادة فحينئذ

يكشف لك فتضمحل العبودية في الوحدانية فيفنى العبد ويبقى الرب عز وجل

الشريعة كلها قبض والعلم كله بسط والقدرة كلها دلال طريقنا محبة لا

عمل وفناء لا بقاء اذا دخلت في العمل كنت لك واذا دخلت في المحبة كنت له العابد

رائي لعبادته والمحب رائي لمحبته اذا عرفته كانت انفاسك به وحركاتك

له واذا جهلته كانت حركاتك بك العابد ماله سكون والزاهد ماله رغبة

والصادق ماله اركان والعارف لا حول ولا قوة ولا اختيار ولا ارادة

ولا حركة ولا سكون والموجود ماله وجود اذا استانست به استوحشت

منه

١٥٢

منك من استغل بنا له اعمينا ه ومن استغل بنا لنا بصرناه اذا زال هواك
يكشف لك عن باب الحقيقة فتفني ارادتك فيكشف لك عن الوحدانية فتحقق
انه هو بلا انت ان سلمت اليه قربك وان نازعته ابعدك ان تقربت
به قربك وان تقربت بك ابعدك ان طلبته لك كلفك وان طلبته له
دللك قربك خروجك منك وبعدك وقوفك معك ان جيئت بلا انت
قبلك وان جيئت بك حجبك عامل لا يكاد يخلص من رؤية عمله فلكن قبيل
المنة لا قبيل العمل ان عرفته سكنك وان جهلته تحركت فالمراد ان تكون
ولا تكون العوام اعمالهم منهمات والخواص اعمالهم قربات والخاص الخاص اعمالهم
درجات كلما اجتنبت هواك قوي ايمانك وكلما اجتنبت ذاتك قوي توحيدك
الخلق حجاب وانت حجاب والحق محتجب عنك بك وانت محجوب عنه
بهم فانفصل عنك تشهده والسلام وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه
وسلم وحسبي الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والحمد لله
رب العالمين

سبحان من لا يزول ولا يزال



